(سلسلة تقريب التراث الإسلامي إلى القارئ المعاصر ٨)

كتاب النساء

لابن قتيبة

(٢١٣ – ٢٧٦ هـ)

(من كتابه الشهير عيون الأخبار)

جمع ودراسة

محمد علي أبو زهرة

فإنْ تَسْألُوني بالنِّساءِ فإنَّني خَبِيرٌ بأدْواءِ النِّساءِ طَبِيبُ

علقمة بن عبدة الفحل

إهداء

إلى الأميرة أُمّ السُّلطان عبدالحميد

تمهيد:

صاحبُنا اليومَ العلّامةُ الكبيرُ ذو الفنون، الأديبُ الفقيهُ المحدِّثُ المؤرخُ أبو محمد عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم بن قتيبة الدِّينَوَري (٢١٣ – ٢٧٦ هـ) صاحب المصنفات الشهيرة.

ولد في بغداد وسكن الكوفة ثم ولي قضاء الدِّينَوَر فترةً فنُسب إليها، وأخذ العلم في بغداد على يد مشاهير علمائها، فأخذ الحديث عن أئمته المشهورين وفي مقدمتهم إسحاق بن راهويه أحد أصحاب الإمام الشافعي. وأخذ اللغة والنحو والقراءات على أبي حاتم السجستاني، وعن أبي الفضل الرياشي، وكان عالماً باللغة العربية والشعر وكثير الرواية عن الأصمعي، كما تتلمذ على عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي، وحرملة بن يحيى، وأبي الخطاب زياد بن يحيى الحساني، وغيرهم.

بعد أن اشتهر ابن قتيبة وعرف قدره اختير قاضياً لمدينة الدِّينَوَر من بلاد فارس، وكان بها جماعة من العلماء والفقهاء والمحدِّثين، فاتصل بهم، وتدارس معهم مسائل الفقه والحديث. وعاد بعد مدة إلى بغداد، واتصل بأبي الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير الخليفة المتوكل، وأهدى له كتابه أدب الكاتب. واستقر ابن قتيبة في بغداد، وأقام فيها حلقة للتدريس. ومن أشهر تلاميذهِ: ابنه القاضي أبو جعفر أحمد بن قتيبة، وأبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه.

عرف ابن قتيبة منذ بواكير الصبا بنهمه العلمي؛ فقد كانت نفسه تواقة للتعلق بالعلوم، وفي ذلك يقول: «وقد كنت في عنفوان الشباب وتطلب الآداب أحب أن أتعلق من كل علم بسبب، وأن أضرب فيه بسهم». وساعده على ذلك أن بغداد كانت يومئذ تعج بالعلماء والأدباء والشعراء، وقد نهل ابن قتيبة العلوم من أفواه أئمتها في عصره حتى أضحى إماماً في اللغة ناصراً للسنة قامعاً للبدعة حتى قيل فيه: خطيب الفقهاء وفقيه الخطباء. وتولى قضاء دِينَوَر، وطال مكثه بها، واتجهت أنظار الناس إليه، وأخذوا عنه العلم والأدب، ورغبوا في مصنفاته لما امتازت من عمق وأصالة، وأسلوب مشرق رصين، ودفاعه المحمود عن العرب والإسلام.

ثناء العلماء عليه

قال أبو القاسم الأزهري: «وما رأيت أحداً يدفعه عن الصدق فيما يرويه».

وقال الخطيب البغدادي: «كان ثقة ديِّناً فاضلاً».

وقال ابن الأنباري: «كان فاضلاً في الفقه والنحو والشعر، متقناً في العلوم، وله المصنفات المذكورة والمؤلفات المشهورة».

وقال الذهبي: «العلّامة الكبير ذو الفنون، صنف وجمع، وبعد صيته».

وقال: «من أوعية العلم لكنه قليل العمل في الحديث».

وقال ابن كثير: «أحد العلماء والأدباء والحفاظ والأذكياء، كان ثقة نبيلاً».

كتاب عيون الأخبار

من أشهر مؤلفات ابن قتيبة. قسمه المؤلف الكتاب إلى عشرة كتب صغيرة الأول: كتاب السلطان، ويتناول: السلطان وسيرته وسياسته، واختيار العمال، وصحبة السلطان وآدابها، والمشاورة والرأي، والسر وكتمانه وإعلانه، والكتابة والكتاب والأحكام والتلطف.

وهذا الكتاب الجامع لشتى العلوم، أملته طبيعتان: طبيعة العصر وطبيعة المؤلف، فلقد كان العصر جامعاً لعلوم مختلفة وثقافات متعددة، فاذا بذلك معترك يشارك فيه الكثير من مختلف الطبقات والثقافات والأجناس.

ويعد «ابن قتيبة» في كتابه «عيون الاخبار» الأول من نوعه الذي التزم أسلوباً جديداً من حيث الاختيار، ثم التبويب ثم الترتيب، وكان صاحب رسالة في تأليفه هذا الكتاب، فلقد كان حريصاً على أن يجمع للمتعلم المتأدب، هذا العلم وذاك الأدب.

والكتاب ثمرة جهد طويل، وحين اجتمعت له تلك الحصيلة الكبيرة من أخبار وأشعار، أخذ في تقسيمها وتصنيفها، ليكون في اختياراته وتبويبه ثم بفهرسته، مبتدعاً قريباً فيما ابتدع من أصحاب المدرسة الحديثة وبذلك يكون كتاب «عيون الاخبار» جامعاً لقاح العقول، ونتاج أفكار الحكماء ونبذة الاشياء وحيلة الادب. ثم هو قد أودعه كما يقول: طرقاً من محاسن كلام الزهاد في الدنيا، كما أنه لم يخل من نادرة طريفة، وفطنة لطيفة حتى

لا يشعر القارئ بالتعب ويُعرض عن الكتاب.

كتاب النساء :

وهو الكتاب العاشر والأخير في موسوعة عيون الأخبار، وفيه تكلم عن أخلاق النساء، وما يُختار منهن، وما يُكره، وذوي الكفاية من الرجال، والحضِّ على النكاح، وذمِّ التبتل، والحسن، والجمال، والقبح، والدمامة، والطول، والقصر، ثم تلاها بذكر المهور، وأوقات النكاح، وخُطَبه، ووصايا الأولياء للنساء، وسياسة النساء ومعاشرتهن.

لماذا إفراد كتاب النساء؟

لَمَّا وجدت كتاب (عيون الأخبار) كبيراً وقد قسمه ابن قتيبة إلى عشرة كتب؛ وفي سبيل تقريبه إلى القارئ المعاصر رأيت أن أقدم له هذه (الكتب) مفردة؛ ليسهل عليه قراءتها. وقد بدأت بآخرها وهو كتاب النساء، وذلك لطرافة موضوعه وقربه إلى نفس القارئ.

وكان عملي في هذا الجمع الآتي:

- تخريج جميع الأحاديث النبوية الشريفة التي وردت فيه، من كتب الحديث المعروفة.
- ترجمة للأعلام الواردة في الكتاب من شعراء وغيرهم.
- ضبط الأبيات الشعرية رواية وألفاظاً، مع شرح مفرداتٍ، وأحياناً شرح أبياتٍ.

- عزو الأشعار التي لم يعزها ابن قتيبة إلى أصحابها. وقد توصلت إلى عزو كثير منها. كما توصلت إلى كثير من المواطن والكتب التي ذكرت هذه الأشعار.
- تصويب أخطاء الطبعات السابقة وما أكثرها[1].
- التعليق على المواضع التي تحتاج إلى مزيد شرح وتوضيح.

وهذا المنهج التزمته وأخذت به نفسي فيما وفقني الله في إخراجه من كتب التراث، في المشروع الذي سميته (سلسلة تقريب التراث الإسلامي إلى القارئ المعاصر) وهذا هو الكتاب الثامن بفضل الله في هذه السلسلة[2].

رحم الله ابن قتيبة وجزاه عنا خيراً والحمد لله رب العالمين.

أبو زهرة

الكويت في ٢٠٢٢/١/١م

---

[1] وهذه التصويبات سيجدها القارئ منثورة في مواضعها من الهوامش.

[2] وقد سبقه لي سبعة أعمال في الجمع والدراسة هي: (بهجة المجالس لابن قتيبة – تهذيب تاريخ ابن خياط – مختصر زاد المعاد – قصة الإيمان – تحقيق العواصم من القواصم – حقوق آل البيت في مفهوم ابن تيمية – الشواهد الشعرية في معجم البلدان لياقوت الحموي) إضافة إلى كتابين آخرين خارج السلسلة هما: علماء معاصرون نصروا الإسلام، وغرباء. وكلها كتب منشورة على مواقع نشر الكتب الإلكترونية مثل موقع: نور، وموقع فولة بوك (في صفحة: محمد علي أبو زهرة).

كتاب النساء

في أخلاقهن وخلقهن وما يُختار منهن وما يُكره

عن مجاهد عن يحيى بن جعدة قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: "تُنكَحُ المرأةُ لدينِها وحَسَبِها وحُسْنِها، فعليكَ بذاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يداك"[1].

ثم قال صلى الله عليه وسلم: "ما أفاد رجلٌ بعد الإسلامِ خيراً مِنَ امرأةٍ ذاتِ دينٍ تَسُرُّه إذا نَظَرَ إليها وتُطيعُهُ وتحفَظُهُ في نفسِها ومالِهِ إذا غابَ عنها"[2].

وعن عائشة رضي اللّه عنها قالت: لا تُدْخَلُ المرأةُ على زوجها في أقلِّ من عشرِ سنينَ.

قالت عائشة: وأُدْخِلْتُ على رسولِ اللّه صلى اللّه عليه وسلم وأنا بنتُ تسع سنين[3].

في أصناف النساء والرجال

قال الأصمعيّ: أخبرنا شيخٌ من بني العَنْبَر قال: كان يقال: النساء ثلاثٌ: فهيِّنةٌ ليِّنةٌ عفيفةٌ مسلِمة تُعين أهلَها على العيش ولا تُعين العيشَ على

---

[1] أخرجه البخاري (٥٠٩٠)، ومسلم (١٤٦٦).

[2] أخرجه النسائي (٣٢٣١) واللفظ له، وأحمد (٧٤٢١).

[3] أخرجه البخاري (٣٨٩٤)، ومسلم (١٤٢٢).

أهلِها، وأخرى وِعاءٌ للولد، وأخرى غُلٌّ قَمِلٌ[1] يضعُهُ اللّه في عُنُق مَنْ يشاء ويفُكُّه عمن يشاء. والرجال ثلاثةٌ: فهيِّنٌ ليِّنٌ عفيفٌ مسلمٌ، يُصْدِر الأمورَ مصادِرَها، ويُورِدُها موارِدَها، وآخرُ يَنْتهي إلى رأيِّ ذي اللُّبِّ والمقدرة فيأخذ بأمرِه، ويَنْتهي إلى قوله، وآخرُ حائرٌ بائرٌ، لا يأتمر لرُشْدٍ، ولا يُطيع مرشداً.

عن جعفر بن محمد عن أبيه عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: خير نسائكم العفيفة في فَرْجها، الغَلِمة لزوجِها[2].

وعن عروة بن الزّبير قال: ما رَفَع أحدٌ نفسَه بعدَ الإيمانِ باللّهِ بمثْلِ مَنْكَحِ صدْقٍ، ولا وَضَع نفسَه بعدَ الكفرِ باللّهِ بمثْلِ مَنْكَحِ سُوء. ثم قال: لَعَنَ اللّهُ فلانةً، ألْفَتْ بني فلانٍ بِيضاً طُوالاً فقَلَبَتْهم سُوداً قِصاراً[3].

قال بعض شعراء بني أسد:

وأوّلُ خُبْثِ الماءِ خُبْثُ ترابِهِ وأوّلُ خُبْثِ القومِ خُبْثُ المناكِحِ[4]

---

[1] قال الميداني في مجمع الأمثال: (غُلٌّ قَمِلٌ) يضرب للمرأة السيئة الخلق. قَال الأَصمَعي: إنهم كانوا يغلّون الأسير بالقِدِّ، وعليه الوَبَر، فإذا طال القِدُّ عليه قَمِل فلقيَ منه جَهْداً، فضُرب لكل ما يُلقى منه شدة.

[2] امرأة غَلِمة: شديدةُ الشهوة للجماع.

[3] يعني أنها سفيهة هدمت بيتها. انظر: العقد الفريد لابن عبد ربه.

[4] نسبه الجاحظ في (الحيوان) إلى أبي المطراب عبيد بن أيّوب العنبريّ اللص. مع اختلاف في بعض ألفاظ الشطر الثاني.

قال الأصمعيّ: قال ابن زبير: لا يمنَعْكم مِنْ تزوُّجِ امرأةٍ قصيرةٍ قِصَرُها، فإنَّ الطويلة تَلِد القصيرَ، والقصيرةَ تَلِد الطويل؛ وإياكم والمذكَّرة[1] فإنها لا تُنجب.

قال أبو عمرو بن العلاء: قال رجل: لا أتزوّج امرأةً حتى أنظر إلى ولدي منها. قيل له: كيف ذاك؟ قال: أنظر إلى أبيها وأمِّها فإنها تَجيء بأحدهما.

عن ابن أبي مُلَيكة أنّ عمر قال: يا بَني السائب، إنكم قد أَضْويتم فانِكحوا في النزائع[2].

في أنواع النساء

قال الأصمعيّ: قال رجل: بناتُ العمِّ أصبر، والغرائب أنجب، وما ضَرَبَ رؤوسَ الأبطال كابنِ أعجميّة.

عن أوفى بن دَلْهَم أنه كان يقول: النساء أربع: فمنهنّ سمعمع[3] لها شيئُها أجْمَع، ومنهن تَبَع تَضُرُّ ولا تَنْفَع، ومنهنّ صَدْع تفرِّق ولا تجْمَع، ومنهن غيثٌ هَمِعٌ إذا وقع ببلد أمْرَعَ.

---

[1] المذكرة: المشبهة بالرجال.

[2] أضويتم: ضعفتم. والنزائع: جمع نزيعة، وهي المرأة التي تُزَوّجُ من غير عشيرتها. ومقولة عمر تدعو إلى ألا تنكح القريبة فإن الولد يأتي ضاوياً ضعيفاً.

[3] وفي رواية: معمع. والسمعمع: :المرأَةُ الكالحةُ في وجهِكَ المولْوِلَةُ في أَثرِكَ. والمعمع: المرأَة لا تعطي أَحداً من مالها شيئاً.

قال الأصمعيّ: فذكرتُ بعض هذا الحديث لأبي عُوانة فقال: كان عبد اللّه بن عمير يزيد فيه: ومنهن القَرْثَع[1]: وهي التي تَلْبَس دِرعَها مقلوباً، وتَكْحَل إحدى عينيها وتدع الأخرى.

عن عليّ بن يزيد قال: قال عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه: ثلاثٌ من الفواقر[2]: جارُ مُقامةٍ إن رأى حَسَنةً سَتَرَها، وإن رأى سيِّئةً أذاعها؛ وامرأةٌ إن دخَلْتَ لسَنَتْكَ، وإن غِبْتَ عنها لم تَأمنْها؛ وسلطانٌ إن أحسنتَ لم يحمَدْكَ، وإن أسأتَ قتلَكَ.

قال الأصمعيّ: حدّثنا جميع بن أبي غاضرة – وكان شيخاً مسناً من أهل البادية من ولد الزّبرقان بن بدر من قبل النساء – قال: كان الزبرقان يقول: أَحَبُّ كنائني إليَّ الذليلة في نفسها، العزيزة في رهطها، البرزة الحييّة التي في بطنها غلام ويتبعها غلام. وأبغض كنائني إليَّ الطُّلَعَةُ الخُبَأَة[3]، التي تمشي الدِّفِقَّى[4] وتجلس الهَبَنْقَعَة[5]، الذليلة في رهطها، العزيزة في نفسها، التي في بطنها جارية وتتبعها جاريةٌ.

---

[1] القرثع: السمجة، الجريئة، الفاحشة، قليلة الحياء.

[2] الفواقر: جمع فاقرة، وهي الداهية.

[3] تنظر ثم تختبئ.

[4] الدفقى : مشية فيها تدفق وإسراع.

[5] جَلَسَ الهَبَنْقَعَةَ، وهي جِلْسةُ المَرْهُوِّ. والهَبَنْقَعَةُ: أَنْ يَتَرَبّعَ ثم يمدّ رجله اليمنى في تربّعه.

بلغني عن خالد بن صفوان أنه قال: من تزوجّ امرأةً فليتزوَّجْها عزيزةً في قومها، ذليلةً في نفسها، أدَّبَها الغِنى وأَذَلَّها الفقر. حَصاناً من جارها، ماجنةً على زوجها.

وقال الفرزدق[1] يصف النساء:

يأنَسْنَ عند بعولِهِنَّ إذا خَلَوا وإذا هُمُ خَرَجوا فهنّ خِفارُ[2]

وقال خالد بن صفوان لدلّال: اطلب لي بِكراً كثَيِّب[3] أو ثَيِّباً كبِكْر[4]، لا ضَرَعاً[5] صغيرة ولا عجوزاً كبيرة، لم تَقْرَأ[6] فتحنُن ولم تَفَتَّ فتمجُن، قد عاشت في نِعْمة، وأدركتْها حاجَةٌ، فخُلُق النِّعْمة معها وذلُّ الحاجَة فيها، حسبي من جمالها أن تكون ضخمةً من بعيد، مليحةً من قريب، وحسبي من حَسَبِها أن تكون واسِطةً في قومها، تَرْضى مني بالسُّنَّة، إن عشتُ أكرمتُها وإن متُّ ورَّثْتُها.

---

[1] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: أَعَرَفتَ بَينَ رُوَيَّتَينِ وَحَنبَلٍ دِمَناً تَلوحُ كَأَنَّها الأَسطارُ

[2] خفار: جمع خَفِرة، وهي المرأة شديدة الحياء.

[3] يعني في الانبساط إلى الزوج.

[4] أي في الحياء.

[5] الضرع: الصغيرة النحيفة.

[6] تقرأ: تحيض. من القرء. يعني لم تكتمل أنوثتها.

وقال رجل لصاحب له: ابْغِني امرأةً بيضاء البياض، سوداء السواد، طويلة الطول، قصيرة القصر. يريد: كلّ شيء منها أبيضُ فهو شديد البياض، وكل شيء منها أسودُ فهو شديد السواد، وكذلك الطولُ والقِصرُ.

وقال آخر: ابْغِني امرأةً لا تُؤَهِّل داراً (أي لا تجعل دارها آهلةً بدخول الناس عليها)، ولا تُؤنِس جاراً (أي لا تؤنس الجيرانَ بدخولها عليهم)، ولا تَنْفُث ناراً (أي لا تَنِمُّ وتُغْري بين الناس).

قال الأصمعيّ: قال أعرابيّ لابن عمّه: اطلب لي امرأة بيضاء، مديدةً فرعاء، جعدةً[1]، تقوم فلا يُصيب قميصُها منها إلا مُشاشة مَنْكِبَيها، وحَلَمَتَي ثَدْيَيها، ورانِفَتَي أَلْيَتَيها، ورُضاف ركبَتَيها، إذا استلقتْ فرميتَ تحتها بالأترجَّة العظيمة نَفَذَت من الجانب الآخر. فقال له ابن عمه: وأَنَّى بمثل هذه إلا في الجِنان!

ونحو قوله في الأترجّة قول أمّ زَرْعٍ: خرج أبو زَرْعٍ والأوطابُ تُمْخَض[2]، فلقي امرأةً معها ولدان لها كالفَهْدين يلعبانِ تحت خِصْرها برمّانتين[3] فطلَّقني ونَكَحَها.

---

[1] امرأة جَعْدة: وجهها مستديرٌ قليل اللحم.

[2] الأوطاب: جمع وطب، وهو السقاء الذي يمخض فيه اللبن. والعبارة كناية عن وقت الخير ووفرته في الشتاء حيث المرعى وكثرة اللبن.

[3] قال أبو عبيد: معناه أنها ذات كَفَل عظيم (يعني بذلك الأرداف).

وقال آخر: ابغِني امرأةً شَقّاء مَقّاء، طويلة الأنقاء، منهوسة الفخِذين، ناحِلة الصُّقْلَين[1].

أنشد ابن الأعرابيّ[2]:

إذا كنتَ تبغي أَيِّماً بجهالةٍ من الناس فانظرْ مَنْ أبوها وخالُها
فإنهما منها كما هي منهما كقدِّكَ نعلاً إنْ أُريد مِثالُها
فإن الذي ترجو من المالِ عندَها سيأتي عليه شُؤمُها وخَبالُها

في البكر والثيب

وكان يقال: البِكر كالبُرَّة تطحنُها وتعجنُها وتخبزها، والثَّيِّب عُجالة راكبٍ: تمرٌ وسَويقٌ.

وقال ابن الأعرابيّ: طلَّق زيادٌ امرأته حين وجدها لثغاء، وقال: أخاف أن يجيء ولدي ألثغ، وقال[3]:

لثْغاءُ تأتي بجَيْفَسٍ ألْثغِ تَميسُ في المِوْشِيِّ والْمُصَبَّغِ

---

[1] شقّاء مقاء: طويلة. الأنقاء: عظام العضد. المنهوسة: قليلة اللحم. الصقل: الخاصرة.

[2] نسبها الجاحظ في كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان إلى ابن الدمينة، وهي ليست في ديوانه. وأوردها الدينوري في كتاب المجالسة وجواهر العلم من غير نسبة، بزيادة بيت رابع.

[3] أورده الجاحظ في البيان والتبيين. الجيفس: القصير السمين الدميم. تميس: تتبختر وتختال. المِوْشي والمصبَّغ: من الثياب الملوّنة.

أقوالهم في المرأة

ويقال: المرأة غُلٌّ فانظر ماذا تضع في عُنقِك؛ وهو من قول ابن المقفّع: الدَّيْنُ رِقٌّ فانظرْ عندَ مَنْ تَضَعُ نفْسَك.

أنشد ابن الأعرابيّ[1]:

أُحِبُّ الخلاويَّ النزيةَ من الهوى وأكرهُ أنْ أُسقَى على عَطَشٍ فَضْلا

يقول: أكره المرأة التي أكثرتِ الأزواج وإن كنتُ مضطراً إليها.

وعن خالدٍ الحذّاء قال: خطبتُ امرأةً من بني أسد فجئتُ لأنظرَ إليها وبيني وبينَها رُواقٌ[2] يشِفُّ، فدعتْ بجفنةٍ مملوءة ثريداً مكلّلةٍ باللحم فأتتْ على آخرِها، وأتتْ بإناء مملوءٍ لبناً أو نبيذاً فشربتْه حتى كفأتْه على وجهها، ثم قالت: يا جارية ارفعي السَّجْف[3]؛ فإذا هي جالسةٌ على جِلْد أسدٍ وإذا شابةٌ جميلةٌ، فقالت: يا عبد اللّه: أنا أَسَدَة من بني أسد على جلد أسد وهذا مطعمي ومشربي، فإن أحببتَ أن تتقدّم فافعل، فقلتُ: أستخيرُ اللّه وأنظر. فخرجتُ ولم أعد.

وعن أنس قال: بعث رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أمَّ سُلَيم تنظر إلى امرأة (يريد أن يتزوجها) فقال: "شُمّي عوارضَها وانظري إلى عقِبَيها"[4].

---

[1] لم أعثر عليه.

[2] الرواق: الستارة.

[3] السجف: الستارة.

[4] رَوَاهُ الحاكم في المسْتَدْرَكِ، وَهُوَ صَحِيحٌ.

وقال النابغة[1]:

ليست من السّودِ أعقاباً إذا انصرفتْ ولا تبيعُ بجنبيْ نخلةَ البُرَما[2]

وقال الأصمعيّ: إذا اسودّ عقب المرأة اسودّ سائرها.

تزوّج عليّ بن الحسين أمَّ ولدٍ لبعض الأنصار، فلامه عبدُ الملك في ذلك، فكتب إليه: إن اللّه قد رفع بالإسلام الخسيسة وأتمّ النقيصة، وأكرم به من اللؤم فلا عار على مسلم، هذا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قد تزوّج أمَتَهُ وامرأةَ عبدِه[3]. فقال عبد الملك: إن عليّ بن الحسين يتشرّف من حيث يتَّضِع الناس.

رغبة الناس بالسراري

قال الأصمعيّ: كان أهل المدينة يكرهون اتّخاذ أمهات الأولاد[4] حتى نشأ فيهم عليّ بن الحسين والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وسالم بن عبد اللّه بن عمر، ففاقوا أهل المدينة فِقهاً ووَرَعاً؛ فرغب الناس في السّراري.

---

[1] النابغة الذبياني، في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: بانت سعاد وأمسى حبلها انجذما واحتلت الشرع فالأجزاع من إضما

[2] أراد أنها منعمة مخدومة مصونة.

[3] أمتُه: صفية بنت حيي، وامرأةُ عبده: زينب بنت جحش.

[4] أمهات الأولاد يعني السراري الإماء.

وقال مسلمة بن عبد الملك: عجبنا من رجل أحفى شعره ثم أعفاه، أو قصّر شاربه ثم أطاله، أو كان صاحب سراريّ فاتّخذ الْمَهِيرات[1].

قال رجلٌ من أهل المدينة[2]:

لا تشتُمَنَّ امرأً في أن تكونَ له ... أمٌّ من الروم أو سوداءُ عجماءُ

فإنما أمّهاتُ الناسِ أوعيةٌ ... مستودعاتٌ وللأحسابِ آباءُ

وربَّ واضحةٍ[3] ليستْ بمُنجِبَةٍ ... وربما أنجَبَتْ للفحل سوداءُ

بلغني أن رجلاً شاور حكيماً في التّزوّج فقال له: افعل، وإيّاكَ والجمالَ الفائقَ، فإنه مرعىً أنيق. فقال: ما نهيْتَني إلا عمّا أطلب. فقال: أما سمعتَ قول القائل[4]:

ولن تصادفَ مَرْعىً مُمرِعاً أبداً ... إلا وجدتَ به آثارَ منتجِعِ

وقال عمر بن الوليد للوليد بن يزيد: إنك لمعجَب بالإماء. قال: وكيف لا أُعجَب بهنّ وهنّ يأتين بمثلك.

---

[1] المهيرات: الحرائر غاليات المهر، عكس السراري الإماء. المفرد: مهيرة وسُرِّيَّة.

[2] قال صدر الدين البصري في الحماسة البصرية إن الْأَمين كتب الى الْمَأْمُون بِابْن السَّوْدَاء (يعيِّره بِأُمِّهِ) فجاوبه بهذه الأبيات.

[3] واضحة: بيضاء.

[4] نسبه الجاحظ في كتاب الرسائل إلى الأحنف بن قيس. والمعنى: يُعاث في كل مرعىً حسنٍ ويؤكل منه، فيعيبه ذلك.

ويروى عن أبي الدّرداء أنه قال: خير نسائكم التي تدخل قَيْساً وتخرج مَيْساً[1] وتملأ بيتَها أقطاً وحَيساً، وشرُّ نسائكم السَّلْفَعة[2]، التي تسمع لأضراسِها قعقعة، ولا تزال جاريتها مفزَّعة. وقد فسرتُ هذا في كتاب غريب الحديث.

أشهى النساء وأسوأهن

وقال معاوية لعقيل بن أبي طالب: أيُّ النساء أشهى؟ قال: المؤاتيةُ لما تَهوَى. قال: فأيُّ النساء أَسْوأ؟ قال: المجانِبَةُ لما تَرضى. قال معاوية: هذا واللّه النّقْدُ العاجل[3]. قال عقيل: بالميزانِ العادل.

الأكفاء من الرجال

عن أبي هريرة قال: قال النبيّ صلى اللّه عليه وسلم:"إذا جاءكم مَنْ تَرْضَون خَلْقَه وخُلُقَه فزوِّجوه إنكم إلا تفعلوه تكن فتنةٌ في الأرض وفسادٌ عريض"[4].

وعن الحسن عن سَمُرة عن النبيّ صلى اللّه عليه وسلم قال: "الحَسَبُ المالُ والكَرَمُ التقوى"[5].

---

[1] يعني تدخل بخطوات مقيسة متساوية في غير عجل، وخرج متمايسة متبخترة.

[2] السلفعة: الفاحشة البذيئة الجريئة على الرجال.

[3] النقد: المال المدفوع.

[4] رواه ابن ماجه والترمذي، وهو صحيح. وفي رواية: دينه وخُلُقه.

[5] قال الألباني: إسناده ضعيف جداً.

وعن أنسٍ قال: قالت أمُّ حبيبة[1]: يا رسول اللّه، المرأة منّا يكون لها الزوجان في الدنيا فتموت فلأيِّهما تكون في الآخرة؟ قال: "لأحسنهما"خُلُقاً، يا أمَّ حبيبة، ذَهَبَ حُسْن الخُلُق بخير الدنيا والآخرة"[2].

عن عطيّة بن قيس قال: خطب معاويةُ أمَّ الدّرداءِ فقالت: قال أبو الدّرداء: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: "المرأة لآخرِ زَوْجيها"[3] فلستُ بمتزوّجة بعد أبي الدرداء حتى أتزوّجه في الجنة إن شاء اللّه تعالى.

ويقال: إنما حَرُمَ أزواجُ النبيّ صلى اللّه عليه وسلم على مَنْ بعدَه لأنّهنّ أزواجُه في الجنّة.

عن هشام بن عروة عن أبيه قال: قال عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه: لا تُكرهوا فتياتِكم على الرجل القبيح فإنّهنّ يحببن ما تحبّون.

قال ابن الأعرابيّ: قيل لابنةِ الخُسِّ[4]: ألا تتزوّجين؟ فقالت: بلى، لا أريده أخا فلانٍ ولا ابنَ فلانٍ ولا الظريفَ المتظرِّفَ ولا السمينَ الألْحَمَ، ولكن

---

[1] أم المؤمنين زوجة – النبي صلى الله عليه وسلم – رملة بنت أبي سفيان الأموية القرشية رضي الله عنها.

[2] رواه البزار والطبراني في الكبير والخرائطي في مكارم الأخلاق بإسناد ضعيف.

[3] حديث صحيح رواه الطبراني وأبو يعلي برجال ثقات ولفظه: ”أيما امرأة توفي عنها زوجها فتزوجت بعده فهي لآخر أزواجها“ المطالب العالية لابن حجر ج٢ ص٦٧، والجامع الصغير.

[4] ابنة الخُسّ: هند بنت الخُس بن حابس بن قريط الإيادية ولقبها الزرقاء هي فصيحة جاهلية كانت ترد سوق عكاظ ولها أخبار فيه. قال الجاحظ في وصفها: "من أهل الدهاء والنكراء، واللسن واللقن، والجواب العجيب، والكلام الصحيح، والأمثال السائرة، والمخارج العجيبة".

أريدُه كَسوباً إذا غدا، ضَحوكاً إذا أتى. وكان أبوها قد كُفّ بصرُه فقال: ما بالُ ناقتِك؟ قالت: عينُها هاجّ وملؤها راجّ وتمشي وتَفاجّ[1]؛ فقال: يا بنيّة اعقليها. فعقلَتْها؛ فقال: ما صنعتِ حتى اضْطَرَمَتْ. [قالت: عقلتُها عقلاً حتى استرخَتْ له أزري].

قيل لأعرابيّ: فلانٌ يخطِبُ فلانة. قال: أموسرٌ من عَقلٍ ودينٍ؟ قالوا: نعم. قال: فزوِّجوه.

عن عيسى بن عمر قال: قال رجل لأعرابيّ: أمُنْكِحي أنت؟ قال: لا. قال: ولِمَ؟ قال: لأنك أصبح اللّحية[2].

وكان عقيل بن عُلَّفة غيوراً، فخطب إليه عبدُ الملك بنُ مروان ابنتَه على أحد بنيه، وكانت لعقيل إليه حوائج، فقال له: إن كنت لا بدّ فاعلاً فجنّبني هُجَناءك[3]. وخطب إليه إبراهيم بن هشام بن إسماعيل – وكان والي

وقال البغدادي: "هي جاهلية قديمة، أدركت القلمس أحد حكام العرب في الجاهلية، وتحاكمت هي وأختها خمعة إليه في كلام لهما، ومدحته بأبيات".

[1] عينها هاج: غائرة، من الجوع أو التعب. ملؤها راجّ: جسمها مضطرب. وتفاج: تفرج بين رجليها.

[2] أصبح اللحية: شعرها أحمر. وكان ذلك مستهجناً لدى العرب.

[3] هجناء: جمع هجين، وهو من أبوه عربي وأمه أعجمية.

المدينة وخال هشام بن عبد الملك – فردّه لأنه كان أبيض شديد البياض، فقال[1]:

رددتُ صحيفةَ القُرَشيِّ لَمّا أَبَتْ أعراقُهُ إلّا احمرارا

وقال رجل من الأعراب[2]:

يُسَمُّوننا الأعرابَ والعَرَبُ اسمُنا وأسماؤهمْ فينا رقابُ المزاودِ[3]

يعني العَجَم يُسَمَّون الحَمْراء.

قال ابن الأعرابي: قال عبد الملك بن مروان لامرأةٍ من قريشٍ تزّوجت رجلاً مغموصاً عليه[4]: أتنكَحُ الحرّةُ عبدَها؟ فقالت: يا أمير المؤمنين:

إنّ القبورَ تُنكِحُ الأيامى النّسوةَ الأراملَ اليَتامى

المرءَ لا تنقي له سُلامى[5]

---

[1] القائل هو عقيل بن علّفة، هكذا في الكامل للمبرد، يقول: رددتُه لأني توسمتُ فيه أن بعض أعراقه تنزع إلى العجم. وهذا من أنفة عقيل.

[2] انظر: اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي لأبي العلاء المعري. وقال الزمخشري في أساس البلاغة إن العرب كانوا يسمون العجم رقاب المزاود لحمرتهم. ورِقَابُ المَزَاوِدِ حُمْرٌ.

[3] ولم يشرح علماء العربية الأسباب التي حملت العرب على تلقيب العجم بـ"رقاب المزاود" وقد ذكر بعض العلماء أن العرب إنما لقبت العجم بـ"رقاب المزاود"؛ لطول رقابهم أو لضخامتها كأنها ملأى.

[4] المغموص عليه: المتهم المطعون عليه.

[5] الرجز في كتاب الزاهر في معاني كلمات الناس لابن الأنباري، والمعنى أن القبور يدفن فيها زوج المرأة فتتزوج بعده، والمرءَ لا تنقي له سُلامى: لا يوجد بها نِقْي. والسُلامى: عظم الإصبع.

وقال ابن الأعرابي: خطب رجلٌ إلى رجلٍ فلم يَرْضَه فأنشأ يقول:

قل للذين سَعَوا يَبْغون رَخْصتَها ما رخَّصَ الجوعُ عندي أمَّ كلثومِ

الموتُ خيرٌ لها من بعلِ منقصةٍ ساقتْ إليه أباها جِلّةٌ كومِ[1]

وكان عمر[2] لا يجيز نِكاحاً في عام سَنَةٍ ويقول: لعل الضِّيقةَ تحملُهم على أن يُنكِحوا غير الأكفاء.

وقال المساوِرُ للمَرّار[3]:

ما سرَّني أنَّ أمّي مِنْ بني أسدٍ وأنَّ ربّي يُنحّيني من النارِ

وأنهم زوَّجوني من بناتِهِمُ وأنَّ لي كلَّ يومٍ ألفَ دينارِ

فأجابه المرّار:

فلستَ للأمِّ من عبسٍ ومن أسدٍ وإنما أنتَ دينارُ ابنُ دينارِ

وإن تكن أنتَ من عبسٍ وأمِّهِمُ فإن أمَّكُمُ من جارةِ الجارِ

---

[1] الجِلّة الكوم من أوصاف الناقة. ومفرد كوم: كوماء، وهي مرتفعة السنام.

[2] هو عمر بن الخطاب. قال ابن قتيبة في غريب الحديث: وَكَانَ عمر لَا يُجِيز نِكَاحاً فِي عَام سَنَة وَيَقُول لَعَلَّ الضيقة تحملهم على أَن يُنكحوا غيرَ الْأَكفاء. والعبارة في الأصل خطأ، وقد صوبتها من غريب الحديث، وهي في الأصل المطبوع: وكان عمر الخير نكّاحاً، والخطأ واضح في كلمة الخير، وصوابها لا يجيز.

[3] هما المساور بن هند والمرّار بن سعيد الفقعسي، قال ابن قتيبة في الشعر والشعراء: وكان المساور يهاجي المرّار الفقعسي ويهجو بني أسد... الأبيات.

دينار ابن دينار: عبد ابن عبد. وجارة الجار: الاسْت[1]. والجار: الفَرْج. وقال بعض الأعراب[2]:

أقول لها لما أتتني تدلّني على امرأةٍ موصوفةٍ بجمالِ
أصبتِ لها واللهِ بعلاً كما اشتَهَتْ إنِ اغتفَرَتْ منه ثلاثَ خصالِ
فمنهنَّ فسقٌ لا يُنادى وليدُهُ[3] ورِقَّةُ إسلامٍ وقِلَّةُ مالِ

وقال رجل لابن هُبَيرة[4]: أنا ابن الذي خطب إلى معاوية؛ فقال ابن هبيرة: أفزوَّجَه؟ قال: لا؛ فقال: ما صنعتَ شيئاً.

قال أبو الحسن المدائني: خطب رجل من بني كلاب امرأة، فقالت له أمُّها: حتى أسألَ عنك. فانصرف فسأل عن أكرم الحيّ عليها، فدُلّ على شيخ فيهم كان يُحسن المحضر[5] في الأمر يُسأل عنه، فسأله أن يحسن عليه الثناء وانتسب له فعرفه؛ ثم إن العجوز شمَّرت فسألته عنه فقال: أنا ربيته، قالت: كيف لسانه؟ قال: مِدْرَةُ قومِه[6] وخطيبُهم. قالت: كيف شجاعتُه؟ قال:

---

[1] الاست: الدبر.

[2] في ديوان أبي نواس، وسوف يتكرر ورودها في آخر هذا الكتاب.

[3] في كتاب الأمثال لأبي عبيد: لا يُنادى وليده: عظيم لاَ يُنادى فيه الصغار، وإنما يُدْعَى فيه الكهول والكبار. وقَالَ الفراء: هذه لفظة تستعملها العرب إذا أرادت الغاية في الخير والشر.

[4] الإمام العالِم الوزير ابن هبيرة: يحيى بن محمد بن هبيرة الشيباني البغدادي الحنبلي. ولد سنة ٤٩٩ هـ وتوفى سنة ٥٦٠ هـ.

[5] يحسن المحضر: يثني على الغائب بخير.

[6] مدرة قومه: سيدهم والمقدم فيهم.

حامي قومِه وكهفُهم. قالت: فكيف سماحته؟ قال: ثمال قومه وربيعُهم[1]. فأقبل الفتى فقال الشيخ: ما أحسن والله ما أقبل! ما انثنى ولا انحنى. فدنا الفتى فقال الشيخ: ما أحسن والله ما سلَّم! ما جار ولا خار. ثم جلس، فقال: ما أحسن والله ما جلس! ما دنا ولا ثنى. فذهب الفتى ليتحرك فضَرَط، فقال الشيخ: ما أحسن والله ما ضرط! ما أغنَّها ولا أطنَّها. ولا بربرَها ولا فرفرَها. فنهض الفتى خجلاً فقال: ما أحسن والله ما نهض! ما انفتل ولا انخزل. فأسرع الفتى، فقال: ما أحسن والله ما خطا! ما ازورَّ ولا اقطوْطى. قالت العجوز: وجِّه إليه من يردُّه لو سَلَحَ لزوّجناه.

خطب خالد بن صفوان امرأة فقال: أنا خالد بن صفوان؛ والحسب على ما قد علمتيه، وكثرة المال على ما قد بلغكِ، وفيَّ خصالٌ سأبينها لك فتقدمين عليَّ وتَدَعين. قالت: وما هي؟ قال: إن الحرة إذا دنت مني أملَّتني، وإذا تباعدت عني أعلَّتني، ولا سبيل إلى درهمي ودينارِي، ويأتي عليَّ ساعةٌ من الْمَلال لو أن رأسي في يدي نبذْتُه. فقالت: قد فهمنا مقالتك ووعينا ما ذكرت، وفيك بحمد الله خصالٌ لا نرضاها لبنات إبليس، فانصرفْ رحمك الله.

قال بعض الشعراء[2]:

---

[1] ثمال قومه: ملجأهم وغياثهم، ومُطعِمهم في الشدة.

[2] هو قيس بن الملوح. وقد جاء رجل يخطب ليلى فقال أهلوها إنا مخيروها بينكما، فقال قيس ذلك.

ألا يا ليلَ[1] إنْ خيِّرتِ فينا بعيشِكِ فانظري أين الخيارُ
فلا تستنكحي فَدْماً[2] غبياً له ثارٌ وليس عليه ثارُ

وقال آخر لامرأته[3]:

فإما هلكتُ فلا تنكحي ظلومَ العشيرةِ حَسّادَها
يرى مجدَهُ ثَلْبَ أعراضِها لديه ويُبْغِضُ مَنْ سادَها

وقال آخر[4]:

فلا تنكحي إن فرّقَ الدهرُ بينَنا أغمَّ القفا والوجهِ ليس بأنْزَعا[5]
منَ القومِ ذا لونينِ وسَّعَ بطنَه ولكنْ أذيّاً حِلمُهُ ما توسَّعا
ضروباً بلَحيَيْهِ على عظمِ زَوْرِهِ إذا القومُ هَشُّوا للفِعالِ تقَنَّعا[6]

زوّج إبراهيمُ بنُ النعمان بن بشير يحيى بنَ أبي حفصة مولى[7] عثمان بن عفان ابنتَه على عشرين ألف درهم، فعُيِّر فقال[8]:

---

[1] ليل: ترخيم ليلى.

[2] الفدم: الغبي.

[3] هو حسان بن ثابت، والبيتان في ديوانه. انظر: الكامل للمبرد

[4] هو هدبة بن الخشرم العذري. انظر: المحكم والمحيط الأعظم لابن سِيده، والكامل لابن دريد.

[5] أغمُّ القفا والوجه: كثيرُ شعرِهما. وضده الأنزع: خفيف الشعر، والعرب تحبه وتُبغض الأغم ويزعمون أنه غبي لئيم.

[6] هشوا للفعال: تهيأوا لفعل الخير والكرم. تقنع: غطى وجهه هرباً وبخلاً.

[7] المولى: المعتَق والعبد والخادم.

[8] انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة.

فما تركتْ عشرونَ ألفاً لقائلٍ مقالاً فلا تحفِلْ مقالةَ لائمِ

فإنْ أكُ قد زَوَّجتُ مولىً فقد مضتْ به سنَّةٌ قبلي وحُبُّ الدراهمِ

ويحيى هذا جدُّ مروان الشاعر، وكان يهودياً فأسلم على يد عثمان. وتزوج أيضاً خولة بنتَ مقاتل بن طلبة بن قيس بن عاصم سيّد أهل الوبر. فقال القلاخ[1]:

نبئتُ خولةَ قالت حين أنكَحَها لطالما كنتُ منكَ العارَ أنتظِرُ

أنْكحْتَ عبدينِ ترجو فضلَ مالِهما في فيكَ مما رجوتَ التربُ[2]

للّهِ درُّ جيادٍ أنتَ سائسُها بَرْذَنتَها وبها التحجيلُ والغُرَرُ[3]

خطب رجلٌ إلى ابن عباس يتيمةً له؛ فقال ابن عباس: لا أرضاها لك. قال: ولِمَ وفي حِجْرِك نشأتْ؟ قال: لأنها تتشرَّف وتنظر[4]. قال: وما هذا![5] فقال ابنُ عباس: الآن لا أرضاكَ لها.

---

[1] القُلَاخُ بْنُ حَزْنٍ المِنْقَرِيُّ. له ديوان مفرد، وهو راجز، وهو القائل:

أنا القلاخ بن جناب بن جلا أبو خناثير أقود جملا

[2] بفيك التراب: يقال لمن نطق بباطل، وهي دعوة بالموت.

[3] يقول: هي من جياد الخيل فجعلتَها براذين وبغالاً. وهو يقصد بناته

[4] يعني تنظر إلى الرجال.

[5] يقصد أن هذا أمر بسيط هو يتقبله، فدل على أنه لا يغار ولا يؤتمن.

كتب زيادٌ[1] إلى سعيد بن العاص يخطب إليه أمَّ عثمان بنت سعيد وبعث إليه بمالٍ كثير؛ فلما قرأ الكتاب أمر حاجبه بقبض المال والهدايا، فلما قبضه أمره بقسمه بين جلسائه. فقال الحاجب: إنه أكثر من ذلك. فقال: أنا أكثر منها[2]. ففعل؛ ثم كتب إلى زيادٍ: بسم اللّه الرحمن الرحيم. أما بعد، "إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ".

خطب لَقيط بن زُرارة إلى قيس بن خالد ذي الجَدَّين الشّيبانيّ؛ فقال له قيس: ومن أنت؟ قال: لَقيط بن زُرارة. قال: وما حملك أن تخطب إليَّ علانيةً؟ فقال: لأنّي عرفتُ أنّي إن عالنتُك لم أفضحْك وإن سارررتُك لم أخدعْك. فقال: كفء كريم، لا تبيت واللّه عندي عزباً ولا غريباً. فزوَّجه ابنتَه وساق عنه.

قال رجل للحسن[3]: إن لي بُنيّة وإنها تُخطَب، فممّن أزوّجُها؟ فقال: زوِّجْها ممن يتقي اللّه، فإن أحبَّها أكرمَها، وإن أبغضَها لم يظلمْها.

قال أبو اليقظان: خطب عمر بن الخطّاب أمَّ أبان بنت عتبة بن ربيعة بعد أن مات عنها يزيد بن أبي سفيان، فقالت: لا يدخل إلا عابساً ولا يخرج إلا عابساً، يُغلق أبوابَه ويقلُّ خيره. ثم خطبها الزّبير، فقالت: يدٌ له على قروني ويدٌ له في السّوط. وخطبها عليٌّ، فقالت: ليس للنساء منه حظّ إلا

---

[1] زياد بن أبي سفيان، والي العراق لأخيه معاوية.

[2] وفي رواية أخرى: الله أكبر منها. وهي الأقرب للصواب.

[3] الحسن البصري إمام أهل البصرة.

أن يقعد بين شُعَبهن الأربع لا يُصبن منه غيره. وخطبها طلحة فأجابت فتزوّجها؛ فدخل عليها عليّ بن أبي طالب فقال لها: رددتِ من رددتِ منّا وتزوّجتِ ابنَ بنت الحضرميّ! فقالت: القضاء والقدر. فقال: أما إنكِ تزوّجتِ أجملَنا مَرآةً وأجودَنا كفّاً وأكثرَنا خيراً على أهله[1].

الحضّ على النكاح وذمّ التبتّل

عن عكّاف بن وداعة الهلاليّ: أنّ النبيّ صلى اللّه عليه وسلم قال له: "يا عكّاف ألك امرأة؟" قال: لا. قال: "فأنت إذن من إخوان الشياطين؛ إن كنت من رهبان النصارى فالْحق بهم وإن كنتَ منّا فمن سُنّتِنا النكاح"[2].

عن طاوس أنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال: "لا زِمام ولا خِزام ولا رهبانيّةَ في الإسلام ولا تبتُّلَ ولا سياحةَ في الإسلام"[3].

---

[1] رحم الله أبا الحسن، فما كان أجمل لسانه، وما علمنا عنه إلا كل جميل، كيف لا وهو تلميذ محمد بن عبدالله.

[2] رواه ابن حبان، وهو حديث ضعيف، منكر. قال فيه الحافظ ابن حجر في "الإصابة" (٥٣٦/٤) بعد أن ذكر طرقه في ترجمته: "والطرق المذكورة كلها لا تخلو من ضعف واضطراب".

[3] الحديث مرسل. وقال ابن قتيبة في شرحه:" لا زمام ولا خزام" الزمام في الأنف ولا يكون في غيره، يقال: زممت البعير أزمّه زمًّا. والخِزام والخِزامة واحد، وقد يكون الخزام جمعاً لخزامة؛ وهي حلقة من شعر تجعل في أحد جانبي المنخرين، فإن كانت تلك الحلقة من صفر فهي برة. أراد عليه الصلاة والسلام ما كان عبّاد بني إسرائيل يفعلونه من حرق التراقي وزمّ الأنوف. وقوله:" ولا رهبانيّة" يريد فعل الرهبان من مواصلة الصوم ولبس المسوح، وترك أكل اللّحم وأشباه ذلك، وأصل الرهبانيّة من الرهبة، ثُمَّ صارت اسماً لما فضل عن المقدار، وأفرط فيه. وقوله:" ولا تبتُّل"

عن إبراهيم بن ميسرة قال: قال لي طاوس: لتنكِحنّ أو لأقولنّ لك ما قال عمر لأبي الزوائد: ما يمنعك من النكاح إلا عَجْزٌ أو فجور[1].

قال علقمة لامرأته: خذي أحسن زينتَك ثم اجلسي عند رأسي، لعلّ اللّه أن يرزقك من بعض عوّادي خيراً[2].

وفي بعض الأخبار: أربعٌ من سُنن المرسلين: التّعطّر، والنّكاح، والسّواك، والخِتان.

باب الحُسن والجمال

عن عائشة رضي اللّه عنها قالت: خطب رسولُ اللّه صلى اللّه عليه وسلم امرأةً من كلبٍ، فبعثني أنظر إليها؛ فقال لي: "كيف رأيتِ"؟ فقلت: ما

يريد ترك النكاح، وأصلُ البتل القطعُ. وقوله:" ولا سياحة" يريد مفارقة الأمصار والذهاب في الأرض، كفعل يحيى بن زكريّا عليه السلام حين ساح ولزم أطراف الأرض وفعلِ غيرِه من عبّاد بني إسرائيل، ومن هذا قيل" ماسح وسائح" إذا جرى فذهب، وأراد أنّ اللّه جلّ وعزّ قد وضع هذا عن المسلمين، وبعثه بالحنيفيّة السمحة. (غريب الحديث لابن قتيبة).

١ يرغِّب عمر رضي الله عنه من له قدرة على النكاح. وإلا فكما قال الشافعي: ومن لم تَتُقْ نفسه إلى النكاح لا أرى بأسًا أن يدع النكاح؛ بل أحب ذلك، وأن يتخلى لعبادة الله، وقد ذكر الله تعالى القواعد فلم ينههن عن القعود ولم يندبهن إلى النكاح، وذكر عبدًا أكرمه فقال: {وَسَيِّدًا وَحَصُورًا} والحصور: الذي لا يأتي النساء، ولم يندبه إلى النكاح.

٢ قال لها ذلك في مرض موته، يريد بها الخير بعده بأن تتزوج. وهو الْعَالِمُ الرَّبَّانِيُّ عَلْقَمَةُ بْنُ قَيْسٍ النَّخَعِيُّ، أُوتِيَ فِقْهًا وَعِبَادَةً وَحُسْنَ تِلَاوَةٍ وَزَهَادَةً.

رأيتُ طائلاً؛ فقال: "لقد رأيت خالاً بخدّها اقشعرَّ كلُّ شعرةٍ منك على حِدَةٍ". فقالت: ما دونَك سِرّ[1].

دخل أبو الأسود على عبيد اللّه بن زياد فقال: أصبحتَ جميلاً، فلو تعلّقتَ مَعاذَةً[2]، فظنّ أنه يَهْزأ به فقال[3]:

أفنى الشبابَ الذي أبليتُ جِدَّتَهُ مَرُّ الجديدينِ مِنْ آتٍ ومنطلِقِ

لم يُبقيا ليَ في طولِ اختلافِهِم شيئاً أخافُ عليه لذْعَةَ الحَدَقِ

---

[1] قال الألباني: «وهذا موضوع؛ فإنه مع كونه مرسلًا فإن محمد بن عمر – وهو الواقدي – كذاب، كما تقدم مرارًا» السلسلة الضعيفة والموضوعة (١٠/٧٠٤)، برقم (٤٩٦٥). والخَالُ: الشَّامَةُ فِي الْجَسَدِ.

[2] المعاذة: التميمة التي تعلق لدفع الحسد. وهي منهي عنها في ديننا. والشعر لأبي الأسود وهو في ديوانه.

[3] ورواية أبي سعيد السكري في صنعته لديوان أبي الأسود الدؤلي: ودخل أبو الأسود على معاوية فقال له: أصبحتَ جميلاً يا أبا الأسود فلو علقتَ تميمةً تدفع عنك العين فقال أبو الأسود وعرف أنه يهزأ به:

١ – أَفنى الشَبابَ الَّذي فارَقتُ بَهجَتَهُ ... كَرُّ الجَديدَينِ مِن آتٍ وَمُنطَلِقِ

٢ – لَم يَترُكا لِيَ في طولِ اِختِلافِهِما ... شَيئاً أَخافُ عَلَيهِ لَذعَةَ الحَدَقِ

٣ – قَد كُنتُ أَرتاعُ لِلبَيضاءَ أَنظُرُها ... في شَعرِ رَأسي وَقَد أَيقَنتُ بِالبَلَقِ

٤ – وَالآن حينَ خَضَبتُ الرأسَ فارَقَني ... ما كُنتُ أَلتَذُّ مِن عَيشي وَمِن خُلُقي

عن حيّان بن عمير قال: دخلتُ على قتادة بن ملحان، فمرّ رجل في أقصى الدار فرأيتُه في وجه قتادة، فقال: إنّ النبي صلى اللّه عليه وسلم مسح وجهه[1].

عن عون بن عبداللّه قال: كان يقال: من كان في صورةٍ حسنةٍ ومنصِب لا يَشينه ووُسِّع عليه في الرزق، كان من خالصة اللّه.

أبيات في الحسن والجمال

وقال الحكم بن قنبر[2]:

ليس فيها ما يقالُ لهُ كَمَلَتْ لو أنَّ ذا كَمَلا
كلُّ جزءٍ من ملاحتِها كائنٌ من حُسْنِها مَثَلا
لو تمنّتْ في مَتاعَتِها[3] لم تُرِدْ من نفسِها بَدَلا

وقال بعض المحدَثين:

---

[1] رواه أحمد وهو صحيح. والمعنى أن أبا العلاء بن عُمير كان عند قتادة بن مِلْحان – رضي الله عنه – حين جاءه الموت، فمر رجل في مكان بعيد من الدار، فرآه أبو العلاء في وجه قتادة، فكان وجهه كالمرآة، وكان إذا رآه كأن وجهه قد طُلي بالدهن لصفائه ولمعانه وإشراقه، وذلك لأن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مسح على وجه قتادة، فمن ذلك حصل له هذا الصفاء والإشراق ببركة مسح النبي – صلى الله عليه وسلم – على وجهه.

[2] الحكم بن محمد بن قنبر المازني البصري: كان أكثر مقامه ببغداد، ونظم قصائد غزل، وهاجى مسلم بن الوليد، وكانت له بالجمحي المتوفى نحو سنة (٢٣٢هـ) معرفة وصلة. انظر كتاب قواعد الشعر لثعلب، وحماسة الخالديين.

[3] متاعتها: حسنها وظرفها.

فلما رأوكَ العاذِلون حَجَجْتُهُمْ بحسْنِكَ حتّى كلُّهم لِيَ عاذِرُ

وقال أيضاً:

تَحَيَّرَ مِنْ حُسْنِهِ فهْمُهُ وتاهَ وحُقَّ له أنْ يَتيها
رأى غيرَهُ ورأى نفسَهُ فلم يَرَ فيه لشيءٍ شَبيها

وقال الأعشي في وصف امرأة:

فأفضيتُ منها إلى جَنّةٍ تدلّتْ عليَّ بأثمارِها

عن عائشة رضي اللّه عنها قالت: يؤمّ القومَ أقرؤهم لكتاب اللّه، فإن كانوا في القراءة سواءً فأصبحُهم وجهاً[1].

وقال جميل بن معمر: ما رأيتُ مُصعباً[2] يختال بالبلاط إلا غِرْتُ على بثينةَ، وبينهما ثلاثةُ أيّام.

عن الشّعبيّ قال: دخلت المسجد باكراً، وإذا بمُصعب بن الزّبير والناس حوله، فلما أردت الانصراف قال لي: ادنُ. فدنوت منه حتى وضعتُ يدي على مِرْفقته[3]؛ فقال: إذا أنا قمت فاتْبَعني؛ وجلس قليلاً، ثم نهض فتوجّه

---

[1] رواية "أصبحهم وجهاً" فيها مقال، قال الألباني: والحديث منكر بهذه الزيادة: "فأصبحهم".
ورواية مسلم: "يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله; فإن كانوا في القراءة سواء، فأعلمهم بالسنة; فإن كانوا في السنة سواء، فأقدمهم هجرة; فإن كانوا في الهجرة سواء، فأقدمهم سناً" .

[2] جميل بن معمر الشاعر المشهور صاحب بثينة، ومصعب بن الزبير بن العوام. يغار جميل منه لجماله.

[3] مرفقته: وسادته.

نحو دار موسى بن طلحة فتتبّعتُه؛ فلما أمعن في الدار التفتَ إليَّ وقال: ادخل. فدخلتُ معه ومضى نحو حجرته وتبِعْتُه، فالتفتَ إليَّ فقال: ادخل، فدخلتُ معه فإذا حَجَلةٌ[1]، فطُرِحتْ لي وسادةٌ فجلستُ عليها، ورُفع سَجْفُ القُبّة، فإذا أجمل وجهٍ رأيتُه قطّ؛ فقال: يا شعبيّ، هل تعرف هذه؟ قلت: نعم، هذه سيّدة نساء العالمين عائشة بنت طلحة؛ فقال: هذه ليلى، ثم تمثّل:

وما زلتُ من ليلى لَدُنْ طَرَّ شاربي ... إلى اليومِ أُخفي إحْنةً وأُداجنُ

وأحملُ في ليلَى لقومٍ ضغينةً ... وتُحْمَلُ في ليلَى عليَّ الضغائنُ

ثم قال: إذا شئت يا شعبيُّ فقم. فخرجت؛ فلما كان العشيُّ رحتُ إلى المسجد فإذا مصعبٌ بمكانه؛ فقال لي: ادن. فدنوت؛ فقال لي: هل رأيتَ مثلَ ذلك لإنسانٍ قطّ؟ قلت: لا؛ قال: أتدري لِمَ أدخلناك؟ قلت: لا؛ قال: لتحدِّثَ بما رأيت. ثم التفتَ إلى عبد اللّه بن أبي فروة فقال: أعطه عشرة آلاف درهم وثلاثين ثوباً. فما انصرف يومئذٍ أحدٌ بمثل ما انصرفتُ به: بعشرة آلاف درهم، وبمثل كارَةِ القَصَّار[2]، ونَظَري إلى عائشة.

قال أبو الغصن الأعرابيّ: خرجتُ حاجّاً، فلمّا مررتُ بقبا[3] تداعى أهله وقالوا: الصّقيل الصّقيل! فنظرتُ وإذا جارية كأنّ وجهَها سيفٌ صقيلٌ،

---

[1] الحَجَلَة: ساتر كالقُبّة يُزَيَّن بالثِّياب والستُور للعَروس.

[2] القصار: الخياط، والكارة: البقجة التي يجمع فيها الثياب.

[3] قبا غير قباء، وهو ماء قديم بالقرب من المدينة المنورة.

فلمّا رميناها بالحَدَق ألقت البرقع عن وجهها، فقلنا: إنّا سَفَرٌ وفينا أجرٌ، فأمتعينا بوجهك[1]؛ فانصاعت وأنا أعرف الضّحك في وجهها وهي تقول[2]:

وكنتَ متى أرسلتَ طرفكَ رائداً لقلبِكَ يوماً أتعبتْكَ المناظرُ

رأيتَ الذي لا كلُّه أنتَ قادرٌ عليه ولا عن بعضِهِ أنتَ صابرُ

ومرّ رجلٌ بناحية البادية فإذا فتاةٌ كأحسن ما يكون؛ فوقف ينظر إليها، فقالت له عجوز من ناحية: ما يقيمُكَ على الغَزالِ النّجديِّ ولا حَظَّ لكَ فيه؟ فقالت الجارية: يا عمتاه، يظنّ كما قال ذو الرُّمّة[3]:

وإنْ لم يكن إلاّ تعلّلُ ساعةٍ قليلاً فإنّي نافعٌ لي قليلُها

وقال بعض المحدَثين[4]:

الخالُ يقبُحُ بالفتى في خدِّهِ والخالُ في خَدِّ الفتاةِ مَليحُ

والشّيبُ يحسُنُ بالفتى في رأسِهِ والشيبُ في رأسِ الفتاة قبيحُ

وقال جعفر بن محمد: الجمال مرحومٌ.

---

[1] وأي حج هذا؟

[2] وهو مروي عن الأصمعي، وفيه صيقل مكان صقيل. انظر: الإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري، واعتلال القلوب للخرائطي.

[3] ديوان ذو الرمة بشرح الباهلي. والمعنى: يكفيني قدر ما يُتحدث ويُتعلل. وهو من قصيدته التي مطلعها: خَليليَّ عُدَّا حاجَتي مِن هواكُما ... ومَن ذا يُواسي النفسَ إلاّ خليلُها

[4] انظر: المجالسة وجواهر العلم للدينوري.

رأى رجلٌ شُريحاً يجول في بعض الطّرق فقال: ما غدا بك؟ فقال: عَسَيْتُ أنْ أنظرَ إلى صورة حَسَنة[1].

قالت امرأة خالد بن صفوان له يوماً: ما أجملَكَ! قال: ما تقولين ذاك وما لي عمود الجمال ولا عليَّ رداؤه ولا برْنُسُه. قالت: ما عمود الجمال وما رداؤه وما برنسه؟ قال: أما عمود الجمال فطول القوام وفيَّ قِصَرٌ؛ وأمّا رداؤه فالبياض ولست بأبيض؛ وأما برنُسُه فسواد الشعر وأنا أصلع. ولكن لو قلتِ: ما أحلاكَ وما أملَحَكَ، كان أولى.

قال أبو اليقظان: كان يُسمّى جيش ابن الأشعث[2] جيش الطواويس، لكثرة من كان فيه من الفتيان المنعوتين بالجمال.

وقال أبو اليقظان: سمع عمر بن الخطاب قائلاً بالمدينة يقول:

أعوذُ بربِّ الناسِ من شرِّ مَعْقِلٍ إذا مَعْقِلٌ راح البقيعَ مُرَجَّلا

---

[1] إن كان المقصود شريحاً القاضي فهو خبر مزيف غرضه سوء.

[2] عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، كان قائداً عسكرياً أموياً من أهل الكوفة وأشرافها ثم شن أعنف الثورات ضد الدولة الأموية، خرج على رأس أربعين ألف مقاتل في جيش سماه الناس بـ "جيش الطواويس". وكان في الجيش القراء والتابعون مثل سعيد بن جبير ومحمد بن سعد بن أبي الوقاص.

يعني مَعْقِل بن سنان الأشجعيّ[1]، وكان قدم المدينة؛ فقال له عمر: الْحَقْ بباديتك.

وسمع امرأةً ذات ليلة تقول:

ألا سبيلَ إلى خَمْرٍ فأشربَها أمْ هل سبيلٌ إلى نصرِ بنِ حجّاجِ

وهذا نصر بن حجّاج بن علاط البهزيّ، وكان من أجمل الناس، فدعا به عمرُ فسيَّره إلى البصرة، فأتى مجاشعَ بنَ مسعود السّلميّ فدخل عليه يوماً وعنده امرأته شميلة، وكان مجاشع أميّاً، فكتب نصر على الأرض: أحبّك حبّاً لو كان فوقك لأظلَّكِ أو تحتكِ لأقلَّكِ. فكتبتْ هي: وأنا واللّه كذلك. فكبّ مجاشعٌ على الكتابة إناءً ثم أدخل كاتباً فقرأه، فأخرج نصراً وطلّقها فقال نصر بن حجّاج:

وما لي ذنبٌ غيرَ ظنٍّ ظننْتَه وفي بعضِ تصديقِ الظنونِ أثامُ

لعمري إنْ سيّرتَني أو حرمتَني وما نلتُ ذنباً إنّ ذا لحرامُ

أأنْ غنّتِ الذّلفاءُ ليلاً بمنْيةٍ وبعضُ أمانيِّ النساءِ غرامُ

ظننتَ بي الظنَّ الذي ليس بعدَهُ بقاءٌ وما لي في النّدِيِّ كلامُ

فأصبحتُ منفيّاً على غيرِ ريبةٍ وقد كان لي بالمكّتيْنِ مقامُ

---

[1] مَعْقِل بن سنان الأشجعيّ، صحابي، من القادة الشجعان. كانت معه راية قومه يوم حنين ويوم فتح مكة، سكن الكوفة. وقدم المدينة، وكان موصوفاً بالجمال، فسمع عمر بن الخطاب امرأة تنشد: (أعوذ برب الناس من شر معقل إذا معقل راح البقيع مرجّلا) فنفاه إلى البصرة.

ويمنعني ممّا تظنُّ تكرّمي وآباءُ صدقٍ سالفون كرامُ
ويمنعها ممّا تمنّتْ حياؤها وحالٌ لها معْ عفّةٍ وصيامُ
وهاتان حالانا فهل أنتَ راجعي وقد جُبَّ منّي كاهلٌ وسَنامُ

وأنا أحسب هذا الشعر مصنوعاً[1].

قال لَقِيط بن زرارة:

أضاءت لهم أحسابُهم ووجوهُهمْ دُجى الليلِ حتى نَظَّمَ الجَزْعَ ثاقبُهْ

قال أبو الطّمحان القيني:

يكاد الغمامُ الغُرُّ يَرْعُدُ أنْ رأى وجوهَ بَني لَأْمٍ[2] ويَنْهَلُّ بارقُهْ

وقال آخر[3]:

وجوهٌ لو انَّ الْمُعْتَفِينَ[4] اعْتَشَوا بها صَدَعْنَ الدُّجى حتى ترى الليلَ يَنجلي

قال عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه: إنّا إذا سمعنا بكم شَعَرْنا أحسَنَكم وجوهاً، وإذا اختبرناكم كانت الخبرة أولى بكم[5].

---

[1] وهو الأقرب إلى الصواب.

[2] بنو لام قبيلة عربية.

[3] انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة.

[4] المعتفون: جمع المعتفي، وهو طالب المعروف.

[5] في التذكرة الحمدونية: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أحبُّكم إلينا قبل أن نخبركم أحسنكم صمتاً، فإذا تكلّم فأثبتكم منطقاً، فإذا اختبرناكم فأحسنكم فعلاً. وفي الصمت لابن

قال عليّ بن أبي طالب كرّم اللّه وجهه: خُصِصنا بخَمس: بصباحة، وفصاحة، وسماحة، ورجاحة، وحُظوة، يعني عند النساء. وسُئل عن بني أميّة فقال: هم أغدر وأفجر وأمكر؛ ونحن أفصح وأصبح وأسمح[1].

رأت امرأةُ الزبيرَ فقالت: من هذا الذي هو أرقمُ يتلمَّظ؟ ورأت عليّاً فقالت: من هذا الذي كأنه كُسِرَ ثم جُبِرَ؟ ورأت طلحةَ فقالت: من هذا الذي كأنه دينارٌ هِرَقْلي؟[2]

أَلْبَسَتْ سُكَينة بنتُ الحسين ابنةً دُرّاً كثيراً وقالت: واللّه ما ألبستُها أيّاه إلاّ لتفضَحَه[3].

وقال بعض الشعراء[4] يذكر نساءً جئن مع جارية:

أقبلنَ في رَأْدِ الضّحاءِ بها وسَتَرْنَ وجْهَ الشمسِ بالشمسِ

أبي الدنيا: قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أَحَبُّكُمْ إِلَيْنَا مَا لَمْ نَرَكُمْ: أَحْسَنُكُمُ اسْمًا، فَإِذَا رَأَيْنَاكُمْ فَأَحَبُّكُمْ إِلَيْنَا أَحْسَنُكُمْ خُلُقًا، فَإِذَا اخْتَبَرْنَاكُمْ فَأَحَبُّكُمْ إِلَيْنَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا وَأَعْظَمُكُمْ أَمَانَةً".

[1] حاش لله أن يصدر هذا من عليّ.

[2] في كتاب أنساب الأشراف للبلاذري: عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: رَأَتِ امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ يوم الجمل عَلِيًّا فَقَالَتْ: كَأَنَّهُ قَدْ كُسِرَ ثُمَّ جُبِرَ، وَرَأَتْ طَلْحَةَ فَقَالَتْ: كَأَنَّ وَجْهَهُ دِينَارٌ هِرَقْلِيٌّ، وَرَأَتِ الزُّبَيْرَ فَقَالَتْ: كَأَنَّهُ أَرْقَمُ يَتَلَمَّظُ.

[3] انظر: البديع في البديع لابن المعتز، والأغاني للأصفهاني.

[4] هو بشار بن برد. قال ابن المعتز عنه في طبقات الشعراء: ومن بدائعه قوله:

وخريدة سودٍ ذوائبُها ... قد ضمِّختْ بالمسكِ والورسِ

أقبلن في رأد الضحاء بها ... فسترن عين الشمس بالشمسِ

ذكر بعضُ الأعراب امرأةً قال: خلوتُ بها والقمر يُرينيها، فلمّا غاب أرتنيه.

وقال بعض الشعراء[1]:

غلامٌ رماه اللّهُ بالحُسْنِ يافعاً له سِيمياءُ لا تَشُقُّ على البصَرْ
كأنّ الثُّريّا عُلِّقتْ في جبينِهِ وفي أنفِهِ الشِّعرى وفي وجهِهِ القمَرْ
ولما رأى المجدَ استعيرتْ ثيابُهُ تَردَّى بثوْبٍ واسع الذَّيلِ واتَّزَرْ
إذا قيلتْ العوراءُ أَغْضى كأنّهُ ذليلٌ بلا ذُلٍّ ولو شاء لانتَصَرْ

قال غلامٌ من الأعراب لأمّه:

نَشَدْتُكِ باللّهِ هل تعلمينَ بأنّي طويلٌ وأنّي حَسَنَ

قالت: قبحك اللّه! فكان ماذا؟ قال:

وأنّي أُقَمّصُ بالدّارعينَ غداةَ الصِّياحِ وأحمي الظُّعُنْ

قال عمّه: فهلاّ كان ذا قبل!

قال الشاعر[2]:

---

[1] هو ابن عنقاء الفزاري، وعنقاء أمه، انظر القالي في أماليه، والآمدي في المؤتلف والمختلف، والمرزباني في معجم الشعراء. وابن عنقاء عاش في الجاهلية دهرًا، وأدرك الإسلام كبيرًا، وأسلم.

[2] هو بكر بن النطاح بن أبي حمار، أبو وائل الحنفي (ت حدود ٢٠٠ هـ)، والبيتان في: «الأمالي» للقالي و«من غاب عنه المطرب» للثعالبي و«التذكرة الحمدونية» و«شرح ديوان المتنبي» للعكبري و«الجامع الكبير في صناعة المنظوم» لابن الأثير و«الحماسة البصرية» لأبي الحسن البصري. ونُسِب البيتان لأبي حية النمري في «أمالي الزجاجي» ولأبي الشيص في «البديع في نقد الشعر» لأسامة بن منقذ.

بيضاءُ تسحبُ مِنْ قيامٍ شعرَها وتَغيبُ فيه وهْو جَثْلٌ أَسْحَمُ

فكأنّها فيه نهارٌ ساطِعٌ وكأنه ليلٌ عليها مُظلِمُ

وقال الطائيّ[1]:

بيضاءُ تبدو في الظلامِ فيكتسي نُوراً وتَبْدو في النَّهارِ فيُظلِمُ

وصف أعرابيّ امرأة فقال: كاد الغزال يكونها، لولا ما تمّ منها ونقص منه.

قال ابن الأعرابيّ[2]: الحلاوة في العينين، والجمال في الأنف، والملاحة في الفم.

قال أعرابيّ[3] يصف امرأةً:

---

[1] أبو تمام، الشاعر المشهور.

[2] ابن الأَعرابي: أبو عبد الله محمد بن زياد بن الأعرابي، إمام لغة وراوية وناسب وعلّامة باللغة، له مصنفات أدبية كثيرة، ولد في ١٥٠ هـ ومات بسامراء في ٢٣١ هـ. يعد من أعلام أهل الكوفة، قال ثعلب: شاهدت مجلس ابن الأعرابي وكان يحضره زهاء مئة إنسان وكان يُسأل ويُقرأ عليه فيجيب من غير كتاب ولم يُر أحد في علم الشعر أغزر منه.

[3] نسب هذا البيت لأكثر من قائل، فقد ورد في عيون الأخبار للدينوري (٤/ ٢٨) منسوبًا لأعرابي، وفي العقد الفريد لابن عبد ربه (٣/ ٣٥٤) منسوبًا للأصمعي، وفي ربيع الأبرار للزمخشري منسوبًا لابن الرقاع. انظر: أحكام القرآن لبكر بن العلاء. وجاء اليت في كتاب حدائق الأزاهر لابن عاصم الغرناطي مع بيتين آخرين من غير نسبة:

منعمة حوراء، يجري وشاحها ... على كشحٍ مرتجِ الروادفِ أهضمِ

خزاعية الأطراف مرية الحشا ... فزارية العينين طائية الفمِ

لها بشر صاف وعين مريضة ... وأحسن إيماء بأحسن معصمِ

خزاعيّةُ الأطرافِ مُرِّيَّةُ الحَشا فزاريَّةُ العَينينِ طائيَّةُ الفَمِ

كان المقنَّع الكندي[1] من أجمل الناس وكان يتقنع لأنه كان متى سفر لُقِع، أي أصيب بعينٍ، وهو القائل:

وفي الظّعائنِ والأحداج أملحُ مَنْ حَلَّ العراقَ وحَلَّ الشامَ واليَمَنا

جِنيّةٌ مِنْ نساءِ الإنسِ أحسنُ مِنْ شمسِ النهارِ وبدْرِ الليلِ لو قُرِنا

قال الحَكَم بن صخر الثّقفيّ: خرجتُ حاجّاً مختفياً، فلمّا كنت ببعض الطريق أتتني جاريتان من بني عقيل لم أر أحسن منهما وجوهاً، ولا أظرف ألسنةً، ولا أكثر علماً وأدباً، فقصَّرتُ بهما يومي فكسوتُهما. ثم حججتُ من قابلٍ ومعي أهلي، وقد أصابتني عِلّةٌ فنصل لها خضابي، فلمّا صرت إلى ذلك الموضع فإذا أنا بإحداهما، فدخلتْ عليَّ، فسألتْ مسألةَ مُنْكِر فقلتُ: فلانةُ! قالت: فدىً لك أبي وأمي! تعرفني وأنكِرُك! قلت: أنا الحَكَم بن صخر. قالت: إني رأيتك عاماً أوّلَ شابّاً سُوقةً، وأراكَ العامَ مِلِكاً

[1] المقنع الكندي: محمد بن ظفر بن عمير بن أبي شمر الكندي أحد شعراء العصر الأموي، قيل أنه لُقِبَ بالمقنع لأنَّه كان أجملَ وأحسن النَّاس وجهًا وأمدَّهم قامةً وأكملهم خلقًا، وكان إذا سفر اللثام عن وجهه أصابته العين ويمرض ويلحقه عنت؛ فكان لا يمشي إلا مقنعاً ساتراً وجهه متَلثماً خوفاً من العين، وقيل أيضاً لأنه فارس رئيس مغطى بالسلاح كما قال الجاحظ، وقال التبريزي في تفسيره للقبه أن المقنع هو اللابس لسلاحه. عاصر عبدالملك بن مروان وامتدحه، وكان له محل كبير وشرف ومروءة وكان المقنع يُعرف بمكانته ومنزلته الرفيعة داخل عشيرته.

شيخاً، وفي دون هذا يُنكِر المرءُ صاحبَه. قلت: ما فعلَتْ أختُك؟ قالت: تزوجها ابنُ عمٍّ لها وخرج بها إلى نجد فذلك حيث يقول[1]:

إذا ما قفلْنا نحو نجدٍ وأهلِهِ فحسبي مِنَ الدّنيا قُفولٌ إلى نجدِ

فقلت: لو أدركتُها لتزوَّجتُها. فقالت: ما يمنعكَ من شقيقتِها في حَسَبِها، ونَظيرتِها في جمالها؟ – تعني نفسَها – قلت: يمنعني من ذلك ما قال كُثيّر:

إذا وصلتْنا خُلَّةٌ كي تزيلَنا أبيْنا وقلْنا الحاجبيّةُ أوّلُ

فقالت: فكُثيّرُ بيني وبينَك، أليس هو القائل:

هل وصلُ عزّةَ إلا وصلُ غانيةٍ في وصلِ غانيةٍ من وصلِها خَلَفُ

فسكتُّ عِيّاً عن جوابها[2].

قال أبو حازم المدنيّ[3]: بينا أنا أرمي الجِمار رأيت امرأة سافرةً من أحسن الناس وجهاً ترمي الجِمار، فقلت: يا أَمَةَ اللّه، أما تتقين اللّه! تُسفرين في هذا الموضع فتَفْتنين الناس! قالت: أنا واللّه يا شيخ من اللواتي قال فيهنّ الشاعر[4]:

---

[1] انظر: المحاسن والأضداد للجاحظ.

[2] انظر: كتاب اعتلال القلوب للخرائطي. ونسب هذه القصة الراغب الأصفهاني في محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء إلى الأصمعي.

[3] هو أبو حازم الأعرج، من فضلاء التابعين، وله في الزهد والورع أخبار وأحاديث.

[4] هو العَرْجي، عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان الأموي القرشي. شاعر، غزِل مطبوع، ينحو نحو عمر بن أبي ربيعة. كان مشغوفاً باللهو والصيد. وكان من الأدباء الظرفاء

من اللّاءِ لم يَحْجُجنَ يَبْغينَ حِسْبةً ولكنْ ليقتلْنَ البريءَ المغفَّلا

قلت: فإنّي أسأل اللّه ألاّ يعذّب هذا الوجه بالنار.

قال أعرابيّ[1]:

يا زينَ من ولدتْ حوّاءُ من ولدٍ لولاكِ لم تَحْسُنِ الدنيا ولم تَطِبِ

أنتِ التي من أراه اللّهُ صورتَها نال الخلودَ فلم يَهْرَمْ ولم يَشِبِ

وقال أعرابيّ:

إذا هنّ أبدينَ الخُدودَ وحُسِّرتْ ثغورٌ عن الأفواهِ كي تتبسَّما

أجاد القضاةُ العادلون قضاءهمْ لهنّ بلا وهْمٍ وإنْ كنّ أظلَما

وقال عروة بن أذينة[2]:

إنّ التي زعمتْ فؤادَك ملّها خُلِقَتْ هواكَ كما خُلِقْتَ هوىً لها

فإذا وجدتُ لها وساوسَ سَلوةٍ شَفَعَ الفؤادُ إلى الضميرِ فسلَّها

الأسخياء، ومن الفرسان المعدودين. صحب مسلمة بن عبد الملك في وقائعه بأرض الروم، وأبلى معه البلاء الحسن. وهو من أهل مكة. ولقب بالعَرْجي لسكناه قرية (العَرْج) في الطائف. والبيت من قصيدته التي مطلعها: رَأَتني خَضِيبَ الرأسِ شَمَّرتُ مِئزَري وَقَد عَهِدتني أَسوَدَ الرَأسِ مُسبِلا

[1] انظر: العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي.

[2] عروة بن أذينة: عروة بن يحيى الليثي. شاعر غزل مقدم. من أهل المدينة. وهو معدود من الفقهاء والمحدّثين أيضاً. ولكن الشعر أغلب عليه. وهو القائل: لقد علمتُ وما الإسراف من خلقي أن الذي هو رزقي سوف يأتيني أسعى إليه فيعييني تطلبه ولو قعدت أتاني لا يعنيني. والأبيات تنسب أيضاً إلى المجنون.

بيضاءُ باكَرَها النعيمُ فصاغَها بلباقةٍ فأدقَّها وأجلَّها

وقال أعرابيّ يرقِّص ابناً له:

يا ربِّ ربِّ مالكٍ باركْ فيهْ باركْ لمن يحبُّهُ ويُدْينهْ

ذكَّرَني لما نظرتُ في فيهْ أجْزُعَ تَوْرٍ غَرَبَتْ أواخيهْ

والوجهُ لما أشرقتْ نواحيهْ دينارُ عينٍ بيدٍ تبْريهْ

وقال ابن شُبْرُمة: ما رأيت لباساً على رجل أزين من فصاحةٍ، ولا رأيت لباساً على امرأةٍ أزين من شحمٍ.

قيل لأعرابيّ: إنك لحسن الكِدْنة[1] فقال: ذلك عنوان نعمة اللّه عندي.

قال الحجّاج: لا يحسن نحر المرأة حتى يعظم ثدياها.

وقال المرّار العدويّ[2]:

صَلْتةُ الخدِّ طويلٌ جِيدُها ضخمةُ الثّدي ولَمّا ينكسرْ[3]

---

[1] الكِدنة: كثرة الشحم واللحم.

[2] المرّار بن منقذ العدويّ: شاعر أمويّ من أهل نجد كانت بينه و بين جرير عداوة ومهاجاة. وقد قيل إن المرّار سعى بجرير إلى سليمان بن عبد الملك (٩٩-٩٦ هـ) وقال له: كان جرير يريد أن لو يحول الوليد بن عبد الملك ولاية العهد منك ليجعلها في ابنه عبد العزيز بن الوليد. ومع أنّ المرّار كان أصغر سنّا من جرير، فالظاهر أنه لم يعمَّر كثيرا، ولعلّ وفاته كانت سنة ١١٠ هـ.

[3] انظر: البيان والتبيين للجاحظ.

وقال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: لا تحسُن المرأة حتى تَروي الرضيع، وتدفئ الضّجيع[1].

عن رجل من بني أسدٍ قال: أضللتُ إبلاً لي، فخرجتُ في طلبهنّ، فهبطتُ وادياً وإذا أنا بفتاةٍ أعشى نورُ وجهها نورَ بصري؛ فقالت لي: يا فتى، ما لي أراك مُدَلَّهاً؟ فقلت: أضللتُ إبلاً لي فأنا في طلبها. قالت: أفأدلُّكَ على من هي عنده وإن شاء أعطاكَها؟ قلت: نعم ولكِ أفضلُهنّ. قالت: الذي أعطاكهنّ أخذهنّ وإن شاء ردهنّ، فسله من طريق اليقين لا من طريق الاختبار. فأعجبني ما رأيت من جمالها وحسنِ كلامِها، فقلت: ألك بَعْلٌ؟ قالت: قد كان، ودُعي فأجاب فأُعيد إلى ما خُلق منه. قلت: فما قولك في بعل تُؤمَن بوائقه، ولا تذمّ خلائقُه؟ فرفعت رأسها وتنفّست وقالت:

كنّا كغُصنينِ في أصلٍ غذاؤهما ماءُ الجداولِ في روضاتِ جنّاتِ
فاجْتَثّ خيرهما من جنبِ صاحبِهِ دهرٌ يكرُّ بترحاتٍ وفرحاتِ
وكان عاهدني إن خانني زمنٌ ألاّ يضاجعَ أنثى بعد مَثواتي
وكنتُ عاهدتُهُ إن خانَهُ زمنٌ ألّا أبوءَ ببعلٍ طولَ محياتي
فلم نزل هكذا والوصلُ شيمتُنا حتى تُوفِّي قريباً مُذْ سُنَيّاتِ
فاقبضْ عنانَكَ عمّن ليس يردَعُهُ عن الوفاءِ خلافٌ، بالتحيّاتِ

[1] تلامذة محمد سيد الخلق لا يقولون مثل هذا الكلام، إنما حمله عليهم الجهلاء أمثال الجاحظ ومن نقل عنه.

قال أبو اليقظان: دخل متمّم بن نويرة[1] على عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه فقال له عمر: ما أرى في أصحابك مثلَكَ! قال: يا أمير المؤمنين، أما واللّه إنّي مع ذلك لأركب الجمل الثَّفال[2]، وأعتقل الرُّمحِ الشّطون[3]، وألبس الشّملة الفَلوت[4]. ولقد أسرني بنو تغلب في الجاهلية، فجاء مالك ليفتديني، فأطلقوني له بغير فداءٍ.

كان يقال: المنظر محتاجٌ إلى القبول، والحسب محتاجٌ إلى الأدب، والسّرور محتاجٌ إلى الأمن، والقرابة محتاجة إلى المودّة، والمعرفة محتاجة إلى التّجارب، والشرف محتاج إلى التّواضع، والنجدة محتاجةٌ إلى الجِدّ.

قال الحسن بن وهب[5]:

ما لمن تمّتْ محاسنُهُ أنْ يُعادي طَرْفَ مَنْ نَظَرا
لكَ أن تُبدي لنا حَسَناً ولنا أنْ نُعمِل البَصَرا

---

[1] متمِّم بن نُويرة شاعر عربي وأحد أشراف قومه وفارس مشهود له وصحابي؛ فقد أسلم وحسن إسلامه، وذلك بعد أن قدم على المدينة في العهد النبوي، أخوه مالك بن نويرة.

[2] الثفال: البطيء الثقيل.

[3] الشطون: الطويل الأعوج.

[4] الشملة الفَلوت: الكساء الصغير الذي يفلت عن صاحبه لصغره.

[5] الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين الحارثي، أبو علي. كاتب، من الشعراء، كان معاصراً لأبي تمام، وله معه أخبار، وكان وجيهاً، استكتبه الخلفاء، ومدحه أبو تمام، وهو أخو سليمان (وزير المعتز والمهتدي)، ولما مات رثاه البحتري.

باب القُبح والدَّمامة

أخبرنا بعض أشياخ البصرة أنّ رجلاً وامرأتَه اختصما إلى أمير من أمراء العراق، وكانت المرأة حَسَنة الْمُنْتَقَب قبيحة الْمُسْفَر، وكان لها لسانٌ، فكأن العامل مالَ معها، فقال: يعمد أحدكم إلى المرأة الكريمة فيتزوّجها ثم يسيء إليها. فأهوى الزوج فألقى النّقاب عن وجهها، فقال العامل: عليك اللعنة، كلام مظلومٍ ووجهُ ظالم.

قال أبو زيد الكلابيّ: قدم رجلٌ منّا البصرة فتزوّج امرأةً، فلمّا دخل بها وأُرخِيَتِ السّتور وأغلِقَتِ الأبواب عليه، ضجر الأعرابيّ وطالت ليلته، حتى إذا أصبح وأراد الخروج مُنع من ذلك وقيل له: لا ينبغي لك أن تخرج إلا بعد سبعة أيام؛ فقال:

أقولُ وقد شَدُّوا عليها حِجابَها ... ألا حبّذا الأرواحُ والبلدُ القَفْرُ

ألا حبّذا سيفي ورَحْلي وثُمرقي ... ولا حبّذا منها الوِشاحانِ والشَّذْرُ

أتَوْني بها قبل الْمُحاقِ بليلةٍ ... فكان مُحاقاً كلُّهُ ذلكَ الشَّهرُ

وما غرّني إلاّ خِضابٌ بكفِّها ... وكُحلٌ بعينيْها وأثوابُها الصُّفرُ

تُسائلني عن نفسِها هل أحبُّها ... فقلتُ ألا لا والذي أمرُهُ الأمرُ

تفوحُ ريحُ المسكِ والعطرِ عندَها ... وأشهدُ عندَ اللّه ما ينفع العِطرُ

وقال آخر[1]:

أعوذُ باللّهِ من زَلاّءَ فاحشةٍ كأنما نِيط ثوباها على عُودِ
لا يمسك الحبل حِقواها إذا انتطقتْ وفي الذّنابي وفي العرقوبِ تحديدُ
أعوذ باللّهِ من ساقٍ لها حَنَبٌ كأنها من حديدِ القَيْنِ سَفّودُ[2]

وقال آخر:

موَتّرةُ العَلْباءِ محفوفةُ القَفا لها نَدَبٌ من حَكِّها غيرُ دارسِ
إذا ضحِكَتْ حالتْ غضونٌ كأنها غَباغِبُ حِرْباءٍ تَحَوَّزَ شامسِ
كأن وريديْها رِشاءا مَحالةٍ مُغارانِ من جِلْدٍ مِنَ القدِّ يابسِ[3]

وقال آخر:

يا عجباً والدّهرُ ذو تعاجيبْ هل يَصْلُحُ الخلخالُ في رِجْلِ الذّيبْ

---

[1] هو أبو الغول الطهوي، قال الجاحظ في كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان: وتزوّج أبو الغول الطّهوي امرأته فوجدها عرجاء من رجليها جميعا فقال... الأبيات. والطهوي: نسبة إلى طهية بنت عبدشمس بن سعد بن مناة، وهي أمهم. الجمهرة ١٣٤. وأبوهم مالك بن حنظلة. وأبو الغول: شاعر إسلامي كان في الدولة المروانيّة كما في شرح التبريزي للحماسة ١: ١٤، واللآلى ٥٧٩. وقيل له أبو الغول لأنه فيما زعم رأى غولاً فقتلها.

[2] الزلاء: الرسحاء، وهي الخفيفة الوركين. ونيط: من النوط وهو التعليق. الحِقو: الكشح، وهو الخصر، انتطقت: شدت وسطها بالمنطقة. وأراد بالذنابي ها هنا العجز وما برز من عظمها. وأصل الذنابي لذنب الطائر. والتحديد: الدقة. والقين: الحداد. والحَنَب: اعوجاج الساق.

[3] العلباء: عصب العنق. والغباغب: اللحم المتدلي تحت الحنك. ورشاء المحالة: الحبل المتدلي من البكَرَة.

اليابسِ الكعبِ الحديدِ العُرْقوبْ

وقال آخر:

لها جسمُ برغوثٍ وساقا بَعوضةٍ ووجهٌ كوجْهِ القِردِ بل هو أقبحُ
وتبرقُ عيناها إذا ما رأيتَها وتَعْبسُ في وجهِ الضّجيع وتَكْلحُ
وتفتحُ – لا كانت – فَماً لو رأيتَه توهّمتَه باباً من النارِ يُفتحُ
فما ضحِكَتْ في الناسِ إلا ظننتَها أمامَهُمُ كلباً يَهِرُّ ويَنْبحُ
إذا عاين الشيطانُ صورةَ وجهِها تعوّذَ منها حين يُمسي ويُصبحُ
وقد أعجبَتْها نفسُها فتملّحتْ بأيّ جمالٍ ليت شِعْري تَمَلَّحُ

رأى أعرابيّ امرأة في شارةٍ وهيئة، فظّن بها جمالاً، فلما سفرت فإذا هي غولٌ؛ فقال:

فأظهرها ربيّ بمَنٍّ وقدرةٍ عليَّ ولولا ذاكَ مُتُّ من الكرْبِ
فلمّا بدتْ سبَّحتُ من قبحِ وجهِها وقلتُ لها السّاجورُ[1] خيرٌ من الكلْبِ

كان سعيد بن بيانٍ التغّلبيّ سيدّ بني تغلب، وكانت تحته بَرَّة وكانت من أجمل النساء، فقدم الأخطل الكوفة على بشر بن مروان، فدعاه سعيد بن بيانٍ واحتفل ونجَّد بيوته واستجاد طعامَه وشرابَه، فلما شرب الأخطل جعل ينظر إلى وجه بَرَّة وجمالها، وإلى وجه سعيد وقُبْحِه، فقال له سعيد: يا أبا مالك، أنت رجل تدخل على الخلفاء والملوك فأين ترى هيئتنا من هيئتهم؟

[1] الساجور: القلادة التي توضع في عنق الكلب.

فقال الأخطل: ما لبيتِكَ عيبٌ غيرُك. فقال سعيد: أنا واللّه أحمق منك يا نصرانيّ حين أدخلُكَ منزلي. وطرده فخرج الأخطل[1] وهو يقول:

وكيف يداويني الطبيبُ من الجَوى وبَرَّةُ عند الأعورِ ابنِ بيانِ

فهلاّ زجرتِ الطّيرَ إذ جاء خاطباً بضِيقةَ بين النّجمِ والدَّبرَانِ

قال عبد بني الحسحاس[2] يذكر قبحَه:

أتيتُ نساءَ الحارثيّينَ غَدوةً بوجهٍ براهُ اللّهُ غيرِ جميلِ

فشبّهْنَني كلباً ولستُ بفَوْقِهِ ولا دونَهُ إن كان غيرَ قليلِ

قال رجل للأحنف: "تسمعُ بالْمُعَيدِيِّ لا أن تراه"[3]؛ فقال: ما ذممتَ منّي يابنَ أخي؟ قال: الدّمامةَ وقِصَرَ القامة. قال: لقد عِبْتَ عليَّ ما لم أؤامر

---

[1] الأخطل: غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة ابن عمرو، من بني تغلب،. شاعر، مصقول الألفاظ، حسن الديباجة، في شعره إبداع. اشتهر في عهد بني أمية بالشام، وأكثر من مدح ملوكهم. وهو أحد الثلاثة المتفق على أنهم أشعر أهل عصرهم: جرير، والفرزدق، والأخطل. نشأ على المسيحية، في أطراف الحيرة (بالعراق) واتصل بالأمويين فكان شاعرهم، وتهاجى مع جرير والفرزدق، فتناقل الرواة شعره. والبيتان من قصيدته التي مطلعها: أَلا يا اِسلَما عَلى التَقادُمِ وَالبِلى بِدومَةِ خَبتٍ أَيُّها الطَلَلانِ

[2] عبد بني الحسحاس: كان عبداً أسود نوبياً أعجمياً مطبوعاً في الشعر، فاشتراه بنو الحسحاس، وأدرك النبيَّ صلى الله عليه وسلم.

[3] قيل إن صاحب هذا المثل هو ''النعمان بن المنذر''، وحكايته أن رجلاً من قبيلة بني تميم، يُدعى: ''ضمرة''، كان يُغير على حمى النعمان بن المنذر، حتى إذا نفد صبر النعمان كتب إليه: ''أن ادخل في طاعتي، ولك مئة من الإبل''، فما كان منه إلا أن قبلها وأتاه، فلما نظر إليه

فيه.

قال عبد الملك بن عمير: قدم علينا الأحنف الكوفة مع مصعب بن الزّبير، فما رأيت خصلةً تُذمّ إلا وقد رأيتها في الأحنف: كان صعل الرأس، متراكب الأسنان، أشدق، مائل الذّقن، ناتئ الوجه، غائر العين، خفيف العارض، أحنف الرِّجْل، ولكنه إذا تكلّم جلّى عن نفسه.

كان المحارش قبيحاً فقال فيه هَبَنَّقة[1]:

ولو كان وجْهي مثلَ وجهِ مُحارِشٍ إذنْ ما قَرِبتُ الدَّهْرَ بابَ أميرِ

قال: وأخذ محارش قذاةً عن عبيد اللّه بن زياد؛ فقال: صُرِف عنك السّوء؛ فقال جلساؤه: إذن يُصرَف عنه وجهُه.

سئل مدنيّ عن حِلْية رجلٍ، فقال: حِلْيته مِحْجَمه.

قال المأمون لمحمد بن الجهم: أنشدْني بيتاً حَسَناً أُوَلِّكَ به كُورةً[2]؛ فقال:

ازدراه، وكان ضمرة دميمًا، فقال: «"تسمع بالمعيدي خير من أن تراه"، فقال ضمرة: مهلًا أيها الملك، إن الرجال لا يُكالون بالصيعان، وإنما المرء بأصغريه: قلبه ولسانه، إن قاتل قاتل بجنان، وإن نطق نطق ببيان، فقال النعمان بن المنذر: صدقت لله درك! والقصة بكاملها في كتاب "جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري".

[1] هبنقة: يَزِيدُ بْنُ ثَرْوَانَ القَيْسِيُّ، وهو المُلَقَّبُ بذِي الوَدَعَاتِ (لأنه كان يحمل قلادة من وَدَعٍ وعِظَامٍ وخَرَزٍ في عُنُقِه)، ويُضْرَبُ بِهِ المَثَلُ في الحُمْقِ. ولابن الجوزي، في كتابه أخبار الحمقى والمغفلين، أخبار كثيرة عنه.

[2] يعني أجعلك والياً على مجموعة قرى.

قَبُحَتْ مناظرُهم فحين خَبَرْتُهُمْ حَسُنَتْ مناظرُهم لقُبْحِ الْمَخْبَرِ

فاستزاده، فأنشده:

أرادوا ليُخفوا قبرَه عن عدوِّهِ فطِيبُ ترابِ القبرِ دَلَّ على القبرِ

فولاّه الدِّينَور وهمذان.

قال أعرابيّ في امرأته[1]:

ولا تستطيعُ الكُحْلَ من ضيقِ عينِها فإنْ عالجتْهُ صار فوقَ المحاجِرِ

وفي حاجبيْها حَزَّةٌ لغرارةٍ فإن حُلِقا كانا ثلاثَ غرائرِ

وثديانِ أَمّا واحدٌ فهْو مِزْوَدٌ وآخرُ فيه قِرْبةٌ لمُسافرِ

وقال إسحاق الموصليّ: رأت قُرَيبةُ[2] ابنَ سيابةَ مولى ابنِ أسد عندي، فقلت لها: يا أمّ البهلول كيف ترين هذا؟ قالت: ما له قبّحه اللّه عامّةً! لو كان داءً ما بُرِيء منه.

---

[1] قيل هو أُميَّة بن عَمْرو مولى هِشَام بن عبد الْملك. قال الصفدي في الوافي بالوفيات: كَانَ جدهم ينشد هشاماً أشعار الشُّعَرَاء بتطريب على إنشاد الشاميين ليتشاغل بِهِ من الْغناء، وأصلهم الشَّام ثمَّ نزلُوا الْبَصْرَة، وَأُميَّة من أهل بَيت ظرف وَشعر وكتبة وَهُوَ شيخ أهل بَيته وَأول من قَالَ الشّعْر مِنْهُم وَكَانَ انقطاعهم إِلَى آل الرّبيع الْحَاجِب وَقد قَالَ الشّعْر من أَوْلَاده لصلبه وَأَوْلَادهمْ جمَاعَة يكثر عَددهمْ وَأُميَّة هُوَ الْقَائِل لزوجته... الأبيات.

[2] قريبة بنت أبّاق بن بديل الدبيرية الأسدية أم البهلول: شاعرة أديبة، من راواة الأخبار، من أهل بغداد، في عصر هارون الرشيد وهي أخت الشاعر ركّاض بن أبّاق. وقد سماها ابن النديم في الفهرست في قائمة من اشتهر خطه من الأدباء وأولهم أبو الهيثم الأعرابي. وترجم لها البلاذري في "أنساب الأشراف" في أعلام بني دبير الأسدية من أسد بن خزيمة رهط الكميت، قال بعدما

وقال فاتكٌ في سعيد بن سلم:

وإنَّ من غايةِ حرصِ الفتى طلابُهُ المعروفَ في باهِلَهْ
كبيرُهم وغُدُّ ومولودُهمْ تلعنُهُ من قبْحِه القابِلَهْ

قال الأسعر الجعفيّ[1] يهجو قوماً:

زعانفُ سودٌ كخبثِ الحديـ ـدِ يَكْفي الثلاثةَ شِقُّ الإزارِ

وقال أبو نواس[2] يذكر امرأةً:

وقائلةٍ لها في وجْهِ نُصْحٍ علامَ قتلتِ هذا المستهاما
فكان جوابُها في حُسْنِ سرٍّ أأجمعُ وجْهِ هذا والحراما

كان المغيرة بن شعبة قبيحاً أعور، فخطب امرأةً، فأبت أن تتزوّجه، فبعث إليها: إن تزوَّجتِني ملأتُ بيتَك خيراً، ورَحِمكِ أيراً. فتزوّجت به.

وسئلت عنه امرأةٌ طلّقها فقالت: عسلةٌ يمانيةٌ في ظَرْفِ سوءٍ[3].

ترجم لركاض: (وأخته أم البهلول قريبة بنت أباق، وقد كتب عنها الفراء النحوي، ومحمد بن الأعرابي والناس، فكانت فصيحة.

[1] انظر: حماسة أبي تمام.

[2] انظر: كتاب المرقصات والمطربات لابن سعيد المغربي. والبيتان في ديوان أبي نواس من قصيدته التي مطلعها: أَبَتْ عَينايَ بَعدَكِ أَن تَناما وَكَيفَ يَنامُ مَن ضَمِنَ السُقاما

[3] وقال ابن قتيبة في المعارف: وقيل لامرأة من نسائه: إنه أعور دميم. فقالت: هو والله عسلة يمانية في ظرف سوء. وقال الجرجاني في أسرار البلاغة: وهكذا قول القائل وقد سمع كلاماً حسناً من رجلٍ دَميم: عَسَلٌ طيّبٌ في ظَرْفِ سَوْءٍ.

أنشدنا دعبل[1]:

بُليتُ بزُمَّرْدَةٍ كالعَصا أَلَصَّ وأسْرَقَ من كُنْدُشِ
لها شَعْرُ قِرْدٍ إذا ازّينَتْ ووجهٌ كَبَيْضِ القَطا الأبرشِ
كأنّ الثآليلَ في وجهِها إذا سفرتْ بِدَدُ الكِشْمِشِ

وقال أعرابيّ[2]:

جزى اللّهُ البراقعَ من ثيابٍ عن الفتيانِ شراً ما بَقِينا
يوارينَ الملاحَ فلا نَراها ويَزْهَيْنَ القِباحَ فيَزدهِينا

وقال آخر[3]:

---

[1] انظر: تاج العروس للزبيدي، والمحكم والمحيط الأعظم لابن سيده، وتهذيب اللغة للأزهري.

[2] هو ذو الرمة، والبيتان في ديوانه.

[3] هو نضلة السلمي، قاله المبرد في الكامل، قال: وقال نضلة السلمي في يوم غولٍ وكان حقيراً دميماً، وكان ذا نجدةٍ وبأسٍ:

ألم تسل الفوارس يوم غولٍ ... بنضلة وهو موتور مشيحُ
رأوه فازدروه وهو حرٌ ... وينفع أهله الرجل القبيحُ
فشد عليهمُ بالسيف صلتاً ... كما عض الشبا الفرسُ الجموحُ
فأطلق غل صاحبه وأردى ... قتيلاً منهم ونجا جريحُ
ولم يخشوا مصالته عليهم ... وتحت الرغوة اللبن الصريحُ

والأبيات في مجالس ثعلب، روى أنه "مر قوم من بني سليم برجل من مزينة يقال له نضلة في إبل له، فاستسقوه لبناً فسقاهم، فلما رأوا أنه ليس في الإبل غيره ازدروه، فأرادوا أن يستاقوها، فجالدهم حتى قتل منهم رجلاً، وأجلى الباقين عن الإبل، فقال في ذلك رجل من بني سليم ...

رأوه فازدروهُ وهْو حرٌّ وينفعُ أهلَهُ الرجلُ القبيحُ

كان ذو الرُّمّة يشبّب بميّة، وكانت من أجمل النساء ولم تره قطّ، فجعلت للّه عليها بَدَنةً حين تراه، فلما رأته رأته رجلاً دميماً أسود، فقالت: واسوءتاه! وابؤساه! فقال ذو الرّمة[1]:

على وجهِ ميٍّ مَسْحةٌ من مَلاحةٍ وتحتَ الثيابِ الشَّيْنُ لو كان باديا

ألم تر أنَّ الماءَ يخبُثُ طعمُهُ وإن كان لونُ الماءِ أبيضَ صافيا

قال إسحاق الموصليّ: دخلتْ أعرابية على حمدونة بنت الرشيد، فلما خرجت سئلت عنها، فقالت: وما حمدونة! واللّه لقد رأيتُها وما رأيت طائلاً، كأنّ بطنها قربة، وكأنّ ثديها دَبَّة[2]، وكأن اسْتها رُقْعة، وكأن وجهها وجهُ ديكٍ قد نفش عفريتَه[3] يقاتل ديكاً.

ذكر أعرابيّ امرأةً حسناء اللفظ قبيحة الوجه، فقال: ترخي ذيلها على عرقوبيْ نعامة، وتسدل خمارها على وجه كالجُعالة (وهي الخرقة التي تنزل بها القِدر عن النار).

"، وأورد الأبيات. ونسبها الجاحظ في البيان "٣٣٨: ٣" إلى أبي محجن الثقفى، ولم ترد في ديوانه. والغول: ماء للضباب فيه نخل وعيون.

[1] ديوانه.

[2] الدبة: واحدة اليقطين (القرع).

[3] عفريته: ريشه.

وقال دعبل[1] في كاتبٍ:

تمّتْ مقابحُ وجهِهِ فكأنّهُ طللٌ تحمّلَ ساكنوهُ فأوحشا

لو كان لاسْتِكَ ضيقُ صدرِكَ أو لصَدْ رِكَ رُحْبُ دُبْرِكَ كنتَ أكملَ مَنْ مَشَى

كان بعض المعلّمين يُقعد أبناء المياسير والحسان الوجوه في الظلّ، ويُقعد الآخرين في الشّمس، ويقول: يا أهل الجنة، ابزقوا في وجوه أهل النار.

وقال رجل من أبناء المهاجرين: أبناء هذه الأعاجم كأنهم نقبوا الجنّة وخرجوا منها، وأولادنا كأنهم مساجر التّنانير.

قال أبو المهلهل الحدائيّ: ارتحلتُ إلى الرمل في طلب ميّ صاحبة ذي الرُّمّة، فمازلتُ أطلب موضعَها حتى أُرشدت إليه، فإذا خيمةٌ كبيرة على بابها عجوزٌ هتماء، فسلّمت عليها ثم قلت: أين منزل ميّ؟ قالت: أنا ميّ؛ فتعجّبت وقلت: عجباً من ذي الرُّمّة وكثرة قوله فيك! قالت: لا تعجبنّ فإني سأقوم بعذره عندك، ثم قالت: يا فلانة، فخرجت من الخيمة جاريةٌ ناهدة عليها برقع فقالت: اسْفري؛ فلما سَفَرت تحيّرتُ لما رأيت من جمالها

[1] دعبل بن علي بن رزين الخزاعي، أبو علي. شاعر هجاء. أصله من الكوفة. أقام ببغداد. له أخبار، وشعره جيد. وكان صديق البحتري. وصنف كتاباً في (طبقات الشعراء). قال ابن خلكان في ترجمته: كان بذئ اللسان مولعاً بالهجو والحط من أقدار الناس، وهجا الخلفاء – الرشيد والمأمون والمعتصم والواثق – فمن دونهم، وطال عمره.

وبراعتها؛ فقالت: عَلِقني[1] ذو الرُّمّة وأنا في سِنّها. فقلت: عذره اللّه ورحمه، فاستنشدتُها فجعلتْ تنشد وأنا أكتب.

وقال أبو نواسٍ[2] في الرّقاشيّ:

قل للرّقاشيِّ إذا جئتَهُ لو مِتَّ يا أخرقُ لم أهجُكا
دونَكَ عِرضي فاهجُهُ راشداً لا تَدْنَسُ الأعراضُ من شِعركا
واللّهِ لو كنتُ جَرِيراً لما كنتُ بأهجى لكَ من وجهِكا

باب السّواد

قال الأصمعيّ: قيل لمدنيّ: ما رغبتكم في السّواد؟ قال: لو وجدنا بيضاء لسفِدْناها.

وكان أبو حازم المدنيّ ينشد:

ومن يكُ مُعجَباً ببناتِ كِسرى فإنّي معجَبٌ ببناتِ حامِ

وقال أبو حنش[3]:

رأيتُ أبا الحجناءِ في الناسِ حائراً ولونُ أبي الحجناءِ لونُ البهائمِ
تراه على ما لاحَهُ من سوادِهِ وإن كان مظلوماً له وجْهُ ظالمِ

وقال آخر في وصف أسود:

---

[1] علِق حبُّها بقلبه: هويها، هام بها، تمكَّن حبُّها منه.

[2] ديوانه.

[3] وفي العقد الفريد لابن عبدربه: وقال كُثير في نُصيب بن رباح، وكان أسودَ ويكني أبا الحَجناء.... البيتين.

كأنما وجهُكَ ظِلٌّ مِنْ حَجرْ[1]

وقال آخر[2]:

كأنما قُمِّصَ مِنْ لِيطِ جُعَلْ[3]

وقال آخر في وصف سوداء[4]:

كأنها والكحلُ في مِرْوَدِّها تكحلُ عينَيْها ببعضِ جلدِها

نظر رجل إلى سوداء عليها معصفرٌ، فقال: بعرة عليها رعاف.

قال الأصمعيّ: قيل لرجل: أيّ الرجال أخفّ أرواحاً؟ قال: الذين أعرقت فيهم السّودان.

---

[1] قال الميداني في مجمع الأمثال: أظَلُّ مِنْ حَجَرٍ. وذلك لكثافة ظله. وقال: كأنَّمَا وَجْهُكَ ظِلٌّ مِنْ حَجَرْ، يعني أسود، لأن ظل الحجر لا يكون كظل الشجر.

[2] انظر: البيان والتبيين، والحيوان، للجاحظ.

[3] الليط: قشر القصب. والجُعَل: حشرة كالخنفساء.

[4] قال الجاحظ في رسائله: وكانت دنانير بنت كعبوية الزِّنجي عند أعشى سليم، وكانت شديدة السواد، فرآها يوماً وقد خضبت يديها بالحناء، واكتحلت بالإثمد، فقال:

تخضب كفّاً بتكْتْ من زندِها ... فتخضب الحناء من مسودِّها

كأنها والكحل في مرودِّها ... تكحل عينيها ببعض جلدِها

فلما سمعت ذلك قالت:

وأقبح من لوني سواد عجانه ... على بشرٍ كالقلب أو هو أنصع

فسمَّوه أسود، وصاح به الصبيان فطلقها. وقد كان صبيحة عرسها قال: إن الدنانير تكون سوداً.

وقال عليّ بن أبي طالب عليه السّلام: من تزوّج سمراء فطلّقها فعليَّ مهرها[1].

يقال: قالت: الخنفساء لأمّها: يا أمّاه، ما أمُرُّ بأحدٍ إلابزق عليَّ. فقالت: يا بُنيّة تعوَّذين.

وفد على عبد الملك وفد أهل الكوفة، فلما دخلوا عليه وكلَّمهم، رأى فيهم أدلم عالي الجسم، فلما كلّمه راقه بيانه، فلما تولّى تمثّل عبد الملك بقول عمرو بن شأسٍ:

فإن عِراراً إن يكن غيرَ واضحٍ فإنّي أُحِبُّ الجَوْنَ ذا المنكبِ العَمَمْ

فالتفتَ الأدلمُ إلى عبد الملك وضحك؛ فقال: عليَّ به. فلما جيء به قال: ما الذي أضحكك؟ فقال: أنا واللّه عِرارٌ من بني أثرى. فقدّمه وسامره حتى خرج.

قال رجل[2] من الشعراء في جاريةٍ سوداء:

أشبهَكِ المسْكُ وأشبهتِهِ قائمةً في لونِه قاعدةْ
لا شكَّ إذ لونُكما واحدٌ أنكما من طينةٍ واحدةْ

وقال جرير[3]:

---

[1] وما ذنب السمراء؟ عليٌّ أكرم من أن يقول ذلك. الذي خلق البيضاء هو من خلق السمراء.

[2] انظر: كتاب موضح أوهام الجمع والتفريق للخطيب البغدادي.

[3] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: أَتَنسى يَومَ حَومَلَ وَالدَخولِ وَمَوقِفَنا عَلى الطَلَلِ المحيلِ

ترى التّيميَّ يزحفُ كالقَرَنبى إلى تيميّةٍ كعصا المليلِ

تَشينُ الزُّعفرانَ عروسُ تيمٍ وتمشي مشيةَ الجُعَلِ الزَّحولِ

يقول المجتلونَ عروسُ تيمٍ شَوى أمِّ الحُبَينِ ورأسُ فيلِ

وقال آخر[1]:

أُحِبُّ لحبِّها السّودانَ حتى أُحِبُّ لحبِّها سودَ الكلابِ

باب العجز والمشايخ

قال الأصمعيّ: خاصم رجلٌ امرأته إلى زيادٍ، فكأن زياداً شددّ عليه، فقال الرجل: أصلح اللّه الأمير، إنّ خير نصفي الرجل آخرُهما، يذهب جهله ويثوب حلمه ويجتمع رأيه، وإن شرّ نصفي المرأة آخرُهما، يسوء خلقُها ويحدّ لسانُها وتعقم رحمُها؛ فقال: اسفَعْ بيدها[2].

---

[1] انظر: كتاب اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي لأبي العلاء المعري. وفي كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للتنوخي قال بعض الرواة: بينا أنا يوما على ركيّ قاعد، وذلك في أشد ما يكون من الحر، إذا أنا بجارية سوداء، تحمل جرّة لها، فلما وصلت إلى الركيّ، وضعت جرتها، ثم تنفست الصعداء، فقالت: حرّ هجر، وحرّ حب، وحرّ – أين من ذا وذا يكون المفرّ – أيّ حر من بعد هذا أضرّ؟ وملأت الجرة، وانصرفت. فلم ألبث إلّا يسيرا، حتى جاء أسود، ومعه جرّة، فوضعها بحيث وضعت السوداء جرّتها، فمر به كلب أسود، فرمى إليه رغيفا كان معه، وقال:

أحبّ لحبها السودان حتى أحبّ لحبها سود الكلاب

[2] يعني اسحبها من يدها واخرج بها.

وقال بعض الأعراب[1]:

لا تنكِحنَّ عجوزاً إنْ دعوْكَ لها وإنْ حَبَوْكَ على تزويجِها الذَّهَبا
وإنْ أتَوْكَ وقالوا إنها نَصَفٌ فإنّ أطيبَ نصفَيْها الذي ذَهَبا

قال الأصمعيّ: ضجر أعرابيّ بطول حياة امرأته، فقال:

ثلاثينَ حولاً لا أرى منكِ راحةً لهنَّكِ في الدنيا لباقيةُ العُمْرِ
فإنْ أَنْفَلِتْ من حَبْلِ صَعْبَةَ مرّةً أَكُنْ مِن نساءِ الناسِ في بيضةِ العُقْرِ[2]

وقال أبو الأسود في امرأته أمّ عوف[3]:

أبي القلبُ إلا أمَّ عوفٍ وحبَّها عجوزاً ومن يُحبِبْ عجوزاً يُفَنَّدِ
كسَحْقِ اليماني قد تقادَمَ عهدُهُ وجِدَّتُهُ ما شئتَ في العينِ واليدِ

---

[1] انظر: التمثيل والمحاضرة للثعالبي، والمحاسن والأضداد للجاحظ، وتحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح للّبلي.

[2] بيضة العُقْر: بيضة الديك، فإنهم يزعمون أن الديك يبيض بيضة واحدة في عمره، وهو مَثَل يقال لمن كان يعطي شيئاً ثم قطعه. قال بشار بن برد: قد زرتنا زورةً في الدهر واحدةً ... ثَنّي ولا تجعليها بيضةَ الديكِ

[3] انظر: ديوان أبي الأسود الدؤلي صنعة أبي سعيد السكري.

وقال آخر يشبب بعجوزٍ:

عجوزٌ عليها كَبْرَةٌ وملاحةٌ وقاتِلتي يا للرّجالِ عجوزُ
عجوزٌ لو انَّ الماءَ مِلْكُ يمينِها لما تركتْنا بالمياهِ نجوزُ[1]

كانت لرجل من الأعراب[2] امرأة عجوز، وكانت تشتري العطر بالخبز؛ فقال:

عجوزٌ تُرجِّي أن تكونَ فَتِيّةً وقد غارتِ العينانِ واحْدَوْدَبَ الظَّهْرُ
تَدُسُّ إلى العَطّارِ مِيرةَ أهلِها ولن يُصلِحَ العطّارُ ما أفسدَ الدّهرُ

طلّق أبو الجَنَديّ امرأتَه؛ فقالت له: بعد صحبة خمسين سنة! فقال: ما لك عندي ذنبٌ غيرُه.

وقال بعض الأعراب[3]:

لا بارك اللّهُ في ليلٍ يقرِّبني إلى مضاجَعةٍ كالدَّلْكِ بالمَسَدِ
لقد لمستُ مُعَرَّاها فما وقعتْ فيما لمستُ يدي إلا على وتَدِ
وكلُّ عضوٍ لها قَرْنٌ تصكُّ بهِ جسمَ الضّجيعِ فيُضحي واهيَ الجَسَدِ

وقال الطائي[4]:

---

[1] نجوز: نشرب.

[2] هو أبو الزَّوَائِد الأعرابي، انظر: الحماسة البصرية لصدر الدين البصري.

[3] هو دعبل بن علي الخزاعي. سبقت ترجمته. انظر: التذكرة الحمدونية لابن حمدون، والحماسة المغربية للجراوي.

[4] أبو تمام حبيب بن أوس الطائي. والبيت في ديوانه من قصيدته التي مطلعها:

أحلى الرجالِ من النساءِ مواقعاً من كان أشبهَهُمْ بهنَّ خدُودا

وقال امرؤ القيس[1]:

أراهنَّ لا يُحْبِبْنَ مَنْ قَلَّ مالُهُ ولا مَنْ رَأَيْنَ الشَّيْبَ فيه وقَوَّسا

وقال علقمة بن عبدة[2]:

فإن تسألوني بالنساءِ فإنّني خبيرٌ بأدواءِ النساءِ طبيبُ

إذا شاب رأسُ المرءِ أو قلَّ مالُهُ فليس له في وُدِّهِنَّ نصيبُ

يُرِدْنَ ثراءَ المالِ حيث عَلِمْنَهُ وشَرْخُ الشبابِ عندَهنَّ عجيبُ

وقال آخر[3]:

أرى شيبَ الرجالِ مِنَ الغواني كموضعِ شيبِهِنَّ مِنَ الرِّجالِ[4]

طَلَلَ الجَميعِ لَقَد عَفَوتَ حَميدا وَكَفى عَلى رُزئي بِذاكَ شَهيدا

[1] وهو في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: أَلِمّا عَلى الرَبعِ القَديمِ بِعَسعَسا كَأَنّي أُنادي أَو أُكَلِّمُ أَخرَسا

[2] علقمة بن عَبَدة الفحل: شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى. كان معاصراً لامرئ القيس، وله معه مساجلات. له ديوان شرحه الأعلم الشنتمري. والأبيات من قصيدته التي مطلعها:

طَحا بِكَ قَلبٌ في الحِسانِ طَروبُ بُعَيدَ الشَبابِ عَصرَ حانَ مَشيبُ

[3] هو منصور النمري: منصور بن سلمة بن الزبرقان النمري (ت١٩٠ هـ) شاعر عربي من العصر العباسي الأول، وينتمي إلى جيل المحدِّثين من الشعراء العباسيين. انظر: ربيع الأبرار ونصوص الأخيار للزمخشري، والإعجاز والإيجاز للثعالبي.

[4] في التذكرة الحمدونية: حدّث بعضهم قال: خرجت إلى ناحية الطفاوة فإذا أنا بامرأة لم أر أحسن منها فقلت: أيتها المرأة إن كان لك زوج فبارك الله لك فيه، وإلا فأعلميني، فقالت: وما

وقال آخر[1]:

أيا عَجَباً للخَوْدِ يَجري وشاحُها تُرَفُّ إلى شيخٍ من القومِ تِنْبالِ

دعاها إليه أنه ذو قَرابةٍ فويلُ الغواني من بَني العَمِّ والخالِ

وقال ذو الرّمة[2] بخلاف قول الأول:

وما الفقرُ أَزْرى عندهنَّ بوَصْلِنا ولكنْ جرتْ أخلاقُهُنَّ على البُخْلِ

تصنع بي وفيَّ شيء لا أراك ترتضيه، قلت: وما هو؟ قالت: مشيب في رأسي، قال: فثنيتُ عَنان دابّتي راجعاً، فصاحت بي: على رسلك أخبرك بشيء، فوقفت وقلت: ما هو يرحمك الله؟ قالت: والله ما بلغت العشرين بعد وهذا رأسي (وكشفت عن عناقيد كالحمم) وما رأيت في رأسي بياضاً قط، ولكن أحببت أن تعلم أنّا نكره منكم ما تكرهون منا، وأنشدت البيت. قال: فرجعتُ خجلاً كاسف البال.

[1] الخود: الفتاة الجميلة. والتنبال: القصير. وجاء في كتاب البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي: قال الأصمعي، قال أبو عبيدة: رأيت بطريقي إلى مكة أعرابية تبيع الخوص لم أر أجمل منها قط، فوقفت أنظر إليها متعجباً من جمالها، إذا أقبل شيخ فقير فأخذ بأذنها فسار بها، فقلت من هذا؟ قالت: زوجي، قلت: كيف يرضى مثلك بمثله؟ قالت: إن له قصة، ثم أنشدت... البيتين.

[2] ذو الرمة: غيلان بن عقبة العدوي، شاعر، من فحول الطبقة الثانية في عصره. قال أبو عمرو بن العلاء: فُتح الشعر بامرئ القيس وختم بذي الرمة. وكان شديد القصر، دميماً، يضرب لونه إلى السواد. أكثر شعره تشبيب وبكاء أطلال، يذهب في ذلك مذهب الجاهليين. والبيت في ديوانه من قصيدته التي مطلعها:

خليليَّ عوجا عَوجَةً ناقَتَيكُما عَلى طَلَلٍ بَينَ القَرينَةِ وَالحَبلِ

وقال المرّار[1] في مثله:

وَلَيسَ الغَواني لِلجَفاءِ وَلا الَّذي لَهُ عَن تَقاضي دَيْنِهُنَّ هُمومُ
وَلَكِنَّما يَستَنجِزُ الوَعدَ تابِعٌ مُناهُنَّ حَلافٌ لَهُنَّ أَثيمُ
وَما جُعِلَتْ أَلبابُهُنَّ لِذي الغِنى فَيَيأَسَ مِنْ أَلبابِهِنَّ عَديمُ

كان عثمان بن عفّان رضي اللّه عنه تزوّج نائلة بنت الفُرافصة الكلبيّ – والفُرافصة يومئذٍ نصرانيّ – وكان وليُّها مسلماً وهو أخوها، فحملها الفُرافصة. فلما قدمت على عثمان وضع لها سريراً وله آخرَ، فقال لها عثمان: إمّا أن تقومي إليَّ وإمّا أن أقوم إليكِ. فقالت: ما تحشّمتُ إليكَ من عُرْض السَّماوة أبْعدُ ممّا بيننا، بل أقوم أنا. فقامت حتى جلست معه على السرير، فوضع قلنسوته فإذا هو أصلع، فقال: يابنة الفُراقصة، لا يهولنّكِ ما ترين من صلعتي، فإن وراء ذلك ما تحبيّن. قالت: إني لمن نسوة أَحَبُّ بعولتِهن إليهنّ الكهول الصُّلع. فقال: اطرحي درعك؛ ثم قال: اطرحي إزارك. قالت: ذاك إليك. ومسح رأسها ودعا لها بالبركة؛ فكانت أحبَّ نسائه إليه، وولدت منه جاريةً يقال لها مريم[2].

---

[1] المرار بن سعيد بن حبيب الفقعسي، شاعر إسلامي، من شعراء الدولة الأموية. وهو القائل:(إذا افتقر المرار لم ير فقره.. وإن أيسر المرار أيسر صاحبه) وكان مفرط القصر، ضئيلا. نسبته إلى (فقعس) من بني أسد بن خزيمة. والأبيات في ديوانه من قصيدته التي مطلعها:
عَرَفتَ وَلَم تَصرِمْ وَأَنتَ صَروم وَكَيفَ تصابي مَنْ يُقالُ حَليمُ

[2] انظر: الأغاني للأصفهاني، وتاريخ المدينة لابن شبة.

قال ابن الكلبيّ: خطب دُريد بن الصِّمّة الخنساء بنت عمرو[1]، فبعثت جاريتَها فقالت: انظري إذا بال أيُقْعِر أم يُبَعثِر؟[2] فقالت لها الجارية: هو يُبَعثِر. فقالت: لا حاجة لي فيه[3].

قال الأصمعيّ: تزوّج رجل امرأة بالمدينة فقالوا له: إنها شابةٌ طريةٌ من أمرها ومن أمرها؛ ويدلِّسون له وهي عجوز، فلما دخل بها نزع نعليه، وهُم يظنون

[1] الخنساء بنت عمرو السّلميّ، واسمها تماضر، صحابية وشاعرة، أدركت الجاهلية والإسلام وأسلمت، واشتهرت برثائها لأخويها صخر ومعاوية اللذين قتلا في الجاهلية، ولُقبت بالخنساء بسبب ارتفاع أرنبتي أنفها. ودريد بن الصمة أدرك الإسلام فلم يسلم، وهو شاعر جاهلي، وفارس من قبيلة هوازن قاتل المسلمين فقتل في وقعة حنين.

[2] يُقعر: يعني أن بوله لشدته يحدث قعراً في الأرض، ويبعثر: يسيح ولا يؤثر بها.

[3] جاء في كتاب كنز الدرر وجامع الغرر لابن الدواداري: وروي أن دريداً مرّ بالخنساء بنت عمرو بن الشّريد وهي تهنأ بعيراً لها، ثمّ نضّت عنها ثيابها فاغتسلت ودريد ينظر إليها وهي لا تشعر به فأعجبته، فلمّا أصبح غدا إلى قومها يخطبها، فقال له أبوها: حبّاً وكرامة يا أبا مرّة! إنّك الكريم الذي لا يطعن في حسبه، والسّيّد الذي لا ترد حاجته، والفحل الذي لا يقرع أنفه، ولكن لهذه المرأة من نفسها ما ليس لغيرها، وأنا ذاكرك لها. ثمّ دخل أبوها إليها فقال: أي بنيّة! أتاك فارس هوازن وسيّد جشم وشيخ العرب، دريد بن الصّمّة، يخطبك. فقالت: أنظرني يا به أشاور نفسي. ثمّ بعثت خلف دريد وليدة لها وقالت: انظري دريداً إذا بال يقعر أم يبعثر، وعودي. فاتّبعته وعادت إليها، فقالت: وجدته قد ساح على وجه الأرض من غير أن يؤثر بها، فأمسكت. وعاود دريد أباها، فعاودها فقالت: يا به، إنّي تاركة بني عمّي مثل عوالي الرّماح وناكحة شيخاً من جشم مماته اليوم أو غداً. فخرج أبوها إليه وقال: قد امتنعت، ولعلّها تجيب بعدها.

أنه يضربها، فقلَّدها إياهما وقال: لبيك اللهم لبيك، هذه بَدَنةٌ؛ فأسكتوه وافتدوا منه[1].

عن عبد الله بن محمد بن عمران القاضي عن أبيه قال: شباب المرأة من خمسَ عشرةَ سنةً إلى ثلاثين سنةً، وفيها من الثلاثين إلى الأربعين مُسْتَمتَعٌ، وإذا اقتحمتِ العقبةَ الأخرى حَسَلَتْ[2].

تزوج جهمٌ امرأة من بني فقعسٍ وباع إبلاً له ومَهَرها، فلما دخل بها إذا هي عجوز، فقال:

وما لمتُ نفسي مذ فُطِمْتُ بلَوْمةٍ كما لمتُ نفسي في عجوزِ بني شَمْسِ
وبنتُ ولم أغبنْ غداةَ اشتريتُها وبعتُ تِلادَ المالِ بالثمنِ البخْسِ
فإن مات جهمٌ غيلةً فاقتلوا به قمامةَ إن النفسَ تُقتَلُ بالنفْسِ

لبعض الشعراء[3]:

كفاكَ بالشيبِ ذنباً عندَ غانيةٍ وبالشبابِ شفيعاً أيُّها الرجلُ

خطب الحارث بن سليل الأسدي إلى علقمة بن خَصَفَة الطائي وكان شيخاً، فقال لأم الجارية: أَريدي ابنتَكِ على نفسِها. فقالت: أيْ بُنية، أيُّ

---

[1] انظر: كتاب نثر الدر في المحاضرات للآبي.

[2] حسلت: لم يبق فيها خير.

[3] نسبه العكبري في شرح ديوان المتنبي، والجرجاني في الوساطه بين المتنبي وخصومه ونقد شعره، إلى محمود الوراق. ونسبه أبو عبيد البكري في سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، والعسكري في ديوان المعاني، إلى محمد بن حازم الباهليّ.

الرجالِ أحبُّ إليكِ: الكهلُ الجحجاح، الواصل المنّاح، أم الفتى الوضّاح، الذهول الطماح؟ قالت: يا أُمتاه:

وإنَّ الفتاةَ تحبُّ الفتى كحبِّ الرعاءِ أنيقَ الكلا

فقالت: يا بنية، إن الشباب شديد الحجاب، كثير العتاب. قالت: يا أُمَّتاه، أخشى من الشيخ أن يدنِّس ثيابي، ويُبلي شبابي، ويُشمت بي أترابي. فلم تزل بها حتى غلبتَها على رأيها؛ فتزوج بها الحارث ثم رحل بها إلى قومه؛ فإنه لجالس يوماً بفناء مِظَلَّته وهي إلى جانبه، إذ أقبل شباب من بني أسد يعتلجون، فتنفستْ ثم بكتْ؛ فقال لها: ما يبكيك؟ قالت: ما لي وللشيوخِ الناهضين كالفروخ! فقال: ثكلتكِ أمُّكِ، تجوع الحُرة ولا تأكل بثدييها[1] –

[1] أي لا تهتك نفسها وتبدي منها ما لا ينبغي أن تبديه. وأول من قال ذلك الحارث بن سليل الأسدي، وكان زار علقمة بن خصفة الطائي وكان حليفاً له، فنظر إلى ابنته الزَّبَّاء وكانت من أجمل أهل زمانها فأُعجب بها فقال: أتيتُك خاطباً وقد يُنكح الخاطِب، ويُدرك الطالِب، ويُمنح الراغِب. فقال له علقمة: أنت كُفؤ كريم، يُقبل منك الصفو، ويُؤخذ منك العفو، فأقِم ننظر في أمرك. ثم انكفأ إلى أمها فقال: إن الحارث بن سليل سيد قومه حسباً ومنصباً وبيتاً، وقد خطب إلينا الزَّبَّاء فلا ينصرفن إلا بحاجته. فقالت امرأته لابنتها: أيُّ الرجال أحبُّ إليك؟ الكهل الجحجاح الواصل الميّاح أم الفتى الوضّاح؟ قالت: لا، بل الفتى الوضّاح. قالت: إن الفتى يُغيرُك، وإن الشيخ يَميرُك، وليس الكهل الفاضل، الكثير النائل كالحَدَث السنِّ، الكثير المنِّ. قالت: يا أمّاه!

إن الفتاة تُحِبُّ الفتَى ... كحُبِّ الرِّعاءِ أَنِيقَ الكَلاَ

فذهبت مثلاً – أما وأبيك لرُبَّ غارةٍ شهدتُها، وسَبَيَّة أردفتُها، وخمرةٍ شربتُها، فالحقي بأهلِكِ، ولا حاجة لي فيكِ.

قال الرياشي: خرج رجل إلى الغزو فأصاب جارية وضيئة، وكان يغزو على فرسِهِ ويرجع إليها، فوجد يوماً فضلاً من القول فقال:

ألا لا أُبالي اليومَ ما فعَلَتْ هندُ إذا بقيتْ عندي الجمانةُ والوردُ[1]

شديدُ مَناطِ المنكِبَينِ إذا جرى وبيضاءُ صِنهاجِيَّةٌ زانَها العِقْدُ

فهذا لأيامِ الحروبِ وهذه لحاجةِ نفسي حينَ يَنصرفُ الجندُ

فنُمِيَ الشعرُ إليها فقالت:

ألا أَقْرِهِ مني السلامَ وقلْ له غَنِينا وأغنتْنا غطارفةُ المُرْدِ

بحمدِ أميرِ المؤمنين أقرَّهم شباباً وأغزاكم حواقلةَ الجُنْدِ

إذا شئتُ غنّاني رِقَالٌ مُرَجَّلٌ ونازعني في ماءِ معتصرٍ وردِ

وإن شاء منهم ناشئٌ مدَّ كفَّهُ على كَتَدٍ ملساءَ أو كَفَلٍ نَهْدِ

قالت: أي بُنيّة. إن الفتى شديد الحجاب، كثير العتاب. قالت: إن الشيخ يدنس ثيابي، ويبلي شبابي، ويُشمت بي أترابي. فلم تزل بها أمها حتى غلبتها على رأيها فتزوجها الحارث على خمسين ومائة من الإبل وخادم وألف درهم. فابتنى بها ثم رحل بها إلى قومه. فبينا هو ذات يوم جالس بفناء قبّته وهي إلى جانبه. إذ أقبل شبابٌ من بني أسد يعتلجون، فتنفست صعداء ثم أرخت عينيها بالبكاء. فقال لها: ما يُبكيك؟ قالت: ما لي وللشيوخ الناهضين كالفُروخِ. فقال لها: ثكلتك أمك، تجوع الحرة ولا تأكل بثديها. فذهبت مثلاً. أما وأبيك لرُبَّ غارةٍ شهدتُها وسَبِيَّةٍ أردفتُها، وخمر شربتها. فالحقي بأهلك فلا حاجة لي فيك. (انظر: الفاخر، للمفضل الضبي).

[1] الجمانة جاريته، والورد حصانه.

فما كنتمُ تقضون حاجة أهلِكِمْ شهوداً فتقضُوها على النَّأْيِ والبُعدِ

فلما بلغه الشعر أتاها، وقال: أكنتِ فاعلةً؟ فقالت: الله أجلُّ في عيني، وأنت أهون عليَّ[1].

قال أبو عمرو بن العلاء: ما بكت العرب شيئاً ما بكت الشباب، وما بلغت ما هو أهلُه.

كانت لبعض الأعراب امرأة لا تزال تُشارُّه[2] وقد كان أسنَّ وامتنع من النكاح، فقال له رجل: ما يُصلَح بينكما أبداً؟ فقال: لا، إنه قد مات الذي كان يصلِح بيننا، يعني ذَكَره.

---

[1] القصة بتمامها في كتاب المحاسن والأضداد للجاحظ قال: خرج رجل مع قتيبة بن مسلم إلى خراسان، وخلف امرأة يقال لها هند من أجمل نساء زمانها، فلبث هناك سنين، فاشترى جارية اسمها جمانة، وكان له فرس يسميه الورد فوقعت الجارية منه موقعاً، فأنشأ يقول:

ألا لا أبالي اليوم ما فعلت هندُ ... إذا بقيت عندي الجمانةُ والورد

شديد مناط القصريين إذا جرى ... وبيضاء مثل الرئم زينها العقد

فهذا لأيام الهياج وهذه ... لحاجة نفسي حين ينصرف الجند

فبلغ ذلك هنداً فكتبت إليه:

ألا أقره مني السلام وقل له ... غنينا بفتيان غطارفةٍ مرد

فهذا أمير المؤمنين أميرهم ... سبانا وأغناكم أراذلة الجند

إذا شاء منهم ناشئ مد كفه ... إلى كبد ملساء أو كَفَلٍ نهد

فلما قرأ كتابها، أتى به إلى قتيبة، فأعطاه إياه، فقال له: «أبعدك الله، هكذا يُفعل بالحرة» وأذن له في الانصراف.

[2] تشارّه: تقابله بالشر وسوء الخلق.

قال رجلٌ لصديقٍ له[1]:

أعنَّسْتَ نفسَكَ حتى إذا أتيتَ على الخمسِ والأربعينا
تزوَّجْتَها شارِفاً فخمةً فلا بالرَّفاءِ ولا بالبَنينا
فلا ذاتُ مالٍ تزوَّجْتَها ولا ولدٌ تَرْتجي أنْ يكونا
بها أبداً فالتمسْ غيرَها لعلّكَ تُعطَى بِغَثٍّ سَمينا

قال أنوشروان: كنت أخاف إذا أنا شخت لا تريدني النساء، فإذا أنا لا أريدهنّ.

قال أعرابيّ:

إنَّ العجوزَ فارِكٌ ضجيعُها تسيلُ من غيرِ بُكاً دموعُها
تمدِّدُ الوجْهَ فلا يُطيعُها كأنَّ مَنْ يُضيفُها يُضيعُها[2]

وقال أبو النجم[3]:

قد زعمتْ أمُّ الخيارِ أنّي شِبْتُ وحَنَّى ظَهريَ الْمُحَنِّي

---

[1] يعاتبه لأنه تزوج عجوزاً.

[2] قال أبوالعلاء المعري في اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي: ويقال: فركت المرأة زوجها إذا لم ترضه... وقد جاء الفارِك في صفات الرجل شاذّاً – وذكر البيتين – والمعنى أن نساءهم فارقنهم وهن رواغب فيهم، وخلوهن غير طوالق؛ لأنهم لم يزهدوا في صحبتهن.

[3] عرَّف به ابن قتيبة في الشعر والشعراء فقال: أبو النجم الراجز هو الفضل بن قدامة من عِجْل. وكان ينزل بسواد الكوفة فى موضع يقال له الفرك، أقطعه إيّاه هشام بن عبد الملك. وراجز العجاجَ.

وأعرضَتْ فِعْلَ الشَّموسِ عنّي فقلتُ ما داؤكِ إلا سِنِّي

لنْ تَجْمعي ودِّي وأنْ تَضِنِّي

قال يزيد بن الحكم بن أبي العاص[1]:

فما منكَ الشّبابُ ولستَ منهُ إذا سألتكَ لحيتُكَ الخِضابا

وما يرجو الكبيرُ من الغواني إذا ذهبتْ شبيبتُهُ وشابا[2]

وقال آخر[3]:

وقائلةٍ ليَ اخضِبْ فالغواني نوافرُ عن ملاحظةِ القتيرِ[4]

فقلتُ لها المشيبُ نذيرُ عُمْري ولستُ مُسوِّداً وجْهَ النّذيرِ

كان سعد بن أبي وقاص يخضب بالسّواد، ويقول:

أسوِّدُ أعلاها وتأبى أصولُها فيا ليتَ ما يسودُّ منها هو الأصلُ

---

[1] يزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفي البصري، شاعر أموي، من فصحاء الشعراء. من قبيلة ثقيف، جده أبو العاصي صاحب رسول الله، وعمه الصحابي عثمان بن أبي العاص. شاعر عالي الطبقة، من أعيان العصر الأموي. من أهل الطائف، سكن البصرة، وولاه الحجاج فارس، ثم عزله قبل أن يذهب إليها. فانصرف إلى سليمان بن عبد الملك فأجرى له ما يعدل عَمالة فارس. وقد كان أبي النفس، شريفاً، من حكماء الشعراء. وقد أورد له أبو تمام في الحماسة شعراً.

[2] البيتان نسبهما البحتري في حماسته إلى مَقْرُوم بْن رَابِضَةَ الْكَلْبِي، ونسبهما السفاريني في غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، والزمخشري في ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، إلى يزيد بن الحكم.

[3] هو العتبي، انظر الكامل للمبرد.

[4] القتير: الشيب.

وقال أسود بن دهيم[1]:

ولما رأيتُ الشّيبَ عِيبَ بياضُهُ تشببتُ وابتعتُ الشبابَ بدرهمِ

وقال محمود الورّاق[2]:

يا خاضبَ الشَّيبِ الذي في كلِّ ثالثةٍ يعودْ
إنّ النّصولَ إذا بدا فكأنه شَيبٌ جديدْ
وله بديهةُ روعةٍ مكروهُها أبداً عتيدْ
فدع المشيبَ كما أرا دَ فلن يعودَ كما تريدْ

أنشد ابن الأعرابيّ[3]:

ولقد أقولُ لشيبةٍ أبصرتُها في مَفْرِقي فمنحتُها إعراضي
عنّي إليكِ فلست منتهياً ولو عمِّمن منكِ مفارقي ببياضِ
ولقلّما أرتاعُ منكِ وإنني فيما ألذُّ وإن فزعتُ لماضي
فعليك ما اسطعتِ الظهور بلمَّتي وعليَّ أن ألقاكِ بالمقراضِ

---

[1] نسبه الراغب الأصفهاني في محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء إلى رستم بن محمود، ونسبه الجاحظ في البيان والتبيين، والآمدي في المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء، إلى أدهم بن محرز الباهلي.

[2] انظر: اللطائف والظرائف، والتمثيل والمحاضرة، للثعالبي، والكامل للمبرد، وربيع الأبرار للزمخشري.

[3] الأبيات ضمن قصيدة طويلة لأبي الشيص محمد، من شعراء العصر العباسي.

وقال الفرزدق:

تفاريقُ شيبٍ في السَّوادِ لوامِعٌ وما خيرُ ليلٍ ليس فيه نجومُ

وقال غيلان بن سلمة[1]:

الشّيبُ إن يظهر فإنّ وراءه عمراً يكون خلاله متنفّسُ

لم ينتقص منّي المشيبُ قُلامةً ولنحن حين بدا ألبُّ وأكيسُ[2]

وقال الطائي:

أبْدَتْ أَسَىً أنْ رأتْني مُخلِسَ القَصَبِ وآلَ ما كان من عُجْبٍ إلى عَجَبِ

لا تُنْكري منه تخديداً تخلَّلَهُ فالسيفُ لا يُزدَرى أن كان ذا شُطَبِ

ولا يؤرِّقْكِ إيماضُ القَتِيرِ به فإنّ ذاكَ ابتسامُ الرأيِ والأدبِ

وقال آخر[3]:

يقولون هل بعد الثلاثينَ ملعبُ فقلتُ وهل قبلَ الثلاثينَ ملعبُ

لقد جَلَّ قدرُ الشّيبِ إن كان كلّما بدتْ شَيْبةٌ يَعْرى من اللّهوِ مَرْكَبُ

---

[1] غيلان بن سلمة الثقفي صحابي جليل، أسلم في السنة الثامنة من الهجرة وشهد حجة الوداع، وكان أحد وجوه ثقيف ومقدميهم، ويعد في أشراف المعلمين وذكرة حكام العرب ضمن أربعة أشراف من قيس، وقال كان يجلس في أيام المواسم فيحكم بين الناس.

[2] البيتان نسبهما الثعالبي في اللطائف والظرائف إلى طريح بن إسماعيل الثقفي.

[3] البيتان نسبهما الزمخشري في كتاب ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، والمبرد في الفاضل، إلى إبراهيم الموصلي. وانظر: شرح حماسة أبي تمام للفارسي؛ ففيها الأبيات كاملة.

باب الخَلق: الطول والقِصر

عن عمرو بن شعيب: أنّ النبيّ صلى اللّه عليه وسلم رأى رجلاً قصيراً – و شديد القصر – فسجد[1].

عن سالم بن عبد اللّه عن أبيه عن جدّه قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: "من رأى منكم مبتَلَى فقال الحمد للّه الذي عافاني مما ابتلاك به وفضّلني على كثيرٍ ممن خلقه تفضيلاً عافاه اللّه من ذلك البلاء كائناً ما كان"[2].

وقال بعض الشعراء[3]:

من يُسامحْ من يُقاذِرْ من يُقاصِرْ بزيادِ

من يبادلْني نَسيبي ببعيدٍ من إيادِ

وقال إسحاق الموصليّ في غلامه:

---

[1] الحديث رواه الدارقطني مرسلاً، قال: عن أبي جعفر: أن النبي – صلى الله عليه وسلم – رأى رجلاً من النُّغاشين، فخرَّ ساجداً. والنُّغاش: القصير جداً الضعيف الحركة الناقص الخِلقة. وقيل : المبتَلى، وقيل: المختلِط العقل. انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح.

[2] حديث صحيح. انظر السلسلة الصحيحة للألباني، الرقم: ٢٧٣٧.

[3] هو عمر بْن مُحَمَّدِ بْنِ معاذ بْن عُبَيْد اللَّهِ التيمي. انظر: أنساب الأشراف للبلاذري. وزياد هو زياد بْن عُبَيْد اللَّهِ بْن عُبَيْد اللَّهِ بْن معمر ويلقب الطويل، وفيه قال عمر بْن مُحَمَّد التَّيْمِيّ هذين البيتين على سبيل الذم.

ذهبْتَ سماجةً وذهبْتَ طولاً كأنكَ من فراسخِ ديرِ كَعْبِ[1]

وقال أبو اليقظان: كان يَعْلى بن الحكم بن أبي العاص يعّير أخاه يزيد بالقِصَر؛ فقال يزيد:

هَمُّ الرّجالِ العُلا أخْذاً بذروتِها وإنما هَمُّ يَعلى الطولُ والقِصَرُ

وقال أبو حاتم[2]:

يكاد خليلي مِنْ تقارُبِ شخْصِهِ يَعَضُّ القُرادُ[3] باسْتِهِ وهو قائمُ

وقال آخر وكان قصيراً[4]:

فإلاّ يكن عظمي طويلاً فإنني له بالخصالِ الصالحاتِ وَصولُ

وقال أوفى بن موألةٍ[5] في مثل ذلك:

---

[1] انظر: مجمع الأمثال للميداني، والمستقصى في أمثال العرب للزمخشري، وجمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري. ودير كعب بالشام، وهو الذي جاء فيه المثل: «أطول من فراسخ دير كعب» انظر: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع لأبي عبيد البكري.

[2] البيت في الأغاني، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي، ومحاضرات الأدباء.

[3] القراد: حشرة متطَفِّلَة تعيش على الدوابّ والطُّيور وتمتصُّ دَمَها، والواحدةُ: قُرادَةٌ.

[4] هو بشر بن الهذيل الفزاري. شاعر جاهلي قديم، من بني ذبيان،. والبيت في الحماسة البصرية منسوب أيضاً إلى مويال بن جهم المذحجي.

[5] البيت منسوب في أمالي القالي إلى الأحيمر السعدي وكان لصاً فاتكاً مارداً تبرأ منه قومه. عاش بين الدولتين الدولة الأموية والدولة العباسية وكان يسكن بادية الشام فطرده أهله لكثرة جناياته فجاء إلى العراق وراح يقطع طريق القوافل فطلبه والي البصرة فهرب إلى الفلوات وصاحب الوحوش وكان يقول: كنت آتي الظبي حتى آخذ بذراعيه وما كان شيء من بهائم

فإنْ أكُ قصْداً في الرجالِ فإنني إذا حَلَّ أمرٌ ساحتي لجَسيمُ

وقال آخر[1]:

ولما التقى الصّفانِ واختلفَ القَنا نِهالاً وأسبابُ المنايا نِهالُها

تَبَيَّنَ لي أنَّ القماءةَ ذلةٌ وأنّ أشداءَ الرّجالِ طِوالُها

وقال الغطمّش الضّبيّ[2]:

ولو وجدوا نَعْلَ الغَطَمَّشِ لاحْتَذَوا لأرجُلِهم منها ثمانيَ أنعُلِ

كان جرير بن عبد اللّه يَفْتُلُ في ذِروة البعير من طوله[3]، وكانت نعلُه ذراعًا.

الوحوش ينكرني إلا النعام. ولأنه خليع طريد فقد ظل مغموراً وله قصيدة مشهورة واحدة. والبيت في البيان والتبيين للجاحظ، والبصائر والذخائر لأبي حيان من غير نسبة.

[1] نسبهما ابن سعيد المغربي في نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب إلى الخنوت السعدي: من شعراء الجاهلية، اسمه توبة بن مضرس، وقيل بل تمثل بهما فقط. ونسبهما عبدالقادر البغدادي في خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب إلى أَثَال بن عَبدة بن الطَّبِيب. ونسبهما صاحب الحماسة البصرية إلى أنيف بن زبان.

[2] الغطمش رجل من بني ضبّة كان لصاً، انظر: ربيع الأبرار للزمخشري، وشرح نقائض جرير والفرزدق لأبي عبيدة.

[3] في المثل: فلان يفتل في الذروة والغارب، وهو مثل يضرب لما يفعله خاطم الصعب من الإبل يختله بذلك، ويُضرب للمخادعة والإزالة عن الرأي، وفيه أيضاً دلالة على طول من يفعل ذلك لأنه تصل أصابعه إلى ذروة البعير فيفتل شعرها. وقد وقع تصحيف في لفظة (يفتل) في معظم النسخ، فمرة كتبوها: يتفل، ومرة: يثفل... إلخ.

قال الأصمعيّ: دخل المغيرة بن شعبة على معاوية، فقال معاوية[1]:

إذا راح في قُوهِيّةٍ متلبِّساً تَقُلْ جُعَلٌ يَسْتَنُّ في لبَنٍ مَحْضِ
وأُقسِمُ لو خَرَّتْ منَ اسْتِكَ بيْضةٌ لما انكسرتْ مِنْ قُرْبِ بعضِكَ مِنْ بعضِ

اللِّحى

قال بعض الحكماء: لا تُصافِيَنَّ من لا شَعْر على عارضَيْه وإن كانت الدنيا خراباً إلا منه.

كانت عائشة ربّما قالت: والذّي زيّن الرجال باللحى.

وقال بعض المحْدَثين:

يا لحيةً طالتْ على نُوكِها كأنها لحيةُ جبريلِ
لو كان ما يقطرُ من دُهنِها ليلاً لوفَّى ألفَ قنديلِ
ولو تراها وهي قد سُرِّحتْ حسبتَها بَنْداً على الفيلِ

قال رجل لبعض مجانين الكوفة: ما هذه اللّحية؟ - وكانت كبيرةً - فقال: "وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا".

---

[1] انظر: ديوان معاوية بن أبي سفيان، ولعله تمثل بهما؛ فالبيتان في شرح الحماسة البصرية منسوبان إلى كَعْب بن جعيل يهجو الْمُغيرَة بن شُعْبَة. وعند أبي هلال العسكري في ديوان المعاني منسوبان إلى أبي نواس. والقوهية ضرب من الثياب شديدة البياض، والجعل: الخنفساء. وانظر: أمالي القالي.

وقال مروان بن أبي حفصة[1]:

لقد كانت مجالسُنا فِساحاً فضَيَّقَها بلِحْيتِهِ رَباحُ
مُعَثْوَلةُ[2] الأسافلِ والأعالي لها في كلِّ زاويةٍ جَناحُ

وقال آخر:

أنفِّشُ لحيةً عَرُضَتْ وطالتْ من الهَدَباتِ تملأُ عُرْضَ صَدْري
أكاد إذا قَعَدْتُ أبولُ فيها إذا أنا لم أُعقِّصْها بظُفْري

وقال أعرابي[3]:

لا تفخرنَّ بلِحْيةٍ عظمتْ جوانبُها طويلهْ
تجري بمَفْرِقِها الرِّياحُ كأنها ذَنَبُ الحَسيلهْ[4]

---

[1] مروان بن أبي حفصة (١٠٥ - ١٨٢ هـ) شاعر من أسرة عريقة في قول الشعر، وأدرك العصرين الأموي والعباسي، مدح الخلفاء والأمراء، وسائر شِعرِهِ سائرٌ لحُسْنِه وفُحُولته، واشتهر اسمه.

[2] معثولة: منفوشة ثائرة كثيرة الشعر. انظر: ذم الثقلاء لابن المرزبان المحولي، و

[3] نسبهما القالي في أماليه إلى أبي العتاهية. ونسبهما ابن عساكر في تاريخ دمشق إلى أبي دلف، ومعهما بيت ثالث: قد يدرك المجد الفتى يوماً ولحيته قليلةْ

[4] الحسيلة: البقرة.

العيون

قال إبراهيم النّخعيّ لسليمان الأعمش وأراد أن يماشيه: إن الناس إذا رأونا معاً قالوا: أعور وأعمش. قال: ما عليك أن يأثموا ونؤجر. قال: ما عليك أن يَسْلموا ونَسْلم.

وقال ابن عباس[1] بعد ما كُفَّ بصره:

إنْ يأخذِ اللّهُ مِنْ عَيْنيَّ نورَهُما ففي فؤادي وسمعي منهما نورُ
قلبي ذكيٌّ وعِرضي غيرُ ذي دَخَلٍ وفي فمي صارمٌ كالسيفِ مأثورُ

فأخذ الخُرَيميُّ[2] هذا المعنى فقال:

فإن تكُ عَيْني خَبا نورُها فكم قبْلَها نورُ عَيْنٍ خَبا
فلم يَعْمَ قلبي ولكنَّما أرى نورَ عَيْني إليه سَرى
فأسرجَ فيه إلى ضوئِهِ سراجاً من العلمِ يَشْفي العَمى

وقال الخُرَيميُّ[3] أيضاً:

أُصغي إلى قائدي ليخبرَني إذا التقيْنا عمَّن يحيّيني

---

[1] انظر: نكث الهميان في نكت العميان للصفدي.

[2] انظر: معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لأبي الفتح العباسي، والشعر والشعراء لابن قتيبة، والشعور بالعور للصفدي، ومحاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للراغب الأصفهاني.

[3] وهو إسحاق بن حسّان، ويكنى أبا يعقوب، من العجم. وكان مولى ابن خريم، الذى يقال لأبيه خريم الناعم. انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة.

أريدُ أنْ أعدِلَ السّلامَ وأنْ أفْصِلَ بين الشّريفِ والدُّونِ
أسمعُ ما لا أَرى فأكرَهُ أنْ أُخْطِئ والسّمعُ غيرُ مأمونِ
للّهِ عَيْني التي فُجِعْتُ بها لو أنَّ دهراً بها يواتيني
لو كنتُ خيِّرتُ، ما أخذْتُ بها تعميرَ نوحٍ في مُلْكِ قارونِ

وتماشى أعوران، فقال أحدهما[1]:

ألم تري وعَمْراً حين نمشي نريدُ السوقَ ليس لنا نَظيرُ
أُماشِيه على يُمْنى يديْهِ وفيما بينَنا رَجُلٌ ضَريرُ

وقال قائلٌ[2] في طاهر بن الحسين[3]:

يا ذا اليَمينينِ وعَيْنٍ واحدَهْ نُقصانُ عَيْنٍ ويَمينٌ زائدَهْ

وقال الأصمعيّ: جاءت رجلاً أعورَ نشّابةٌ فأصابت عينَه الصحيحة، فقال: يا ربّ وأنا أيضاً على مَحْمَل[4].

---

[1] البيتان في ديوان المعاني، من غير نسبة.

[2] هو عمرو بن بانة، كذا في وفيات الأعيان لابن خلكان.

[3] طَاهِر بن الْحُسَيْن: كَانَ من أكبر أعوان الْمَأْمُون وسيره لمحاربة أخيه الأمين فقتله وَحمل رَأسه إِلَى الْمَأْمُون فَكَانَ الْمَأْمُون يرعاه لخدمته ونصحه، وَكَانَ يُسَمِّيه ذَا اليمينين لأنه ضرب شخصاً فَقدَّه نِصْفَيْنِ وَكَانَت الضَّرْبَة بِشمَالِهِ. انظر: الشعور بالعور للصفدي، ومفيد العلوم ومبيد الهموم للخوارزمي، ووفيات الأعيان لابن خلكان.

[4] أي أنه أصبح ذا عاهة لا تتيح له أن يقوم بما يكفل حياته.

اشترى أبو الأسود جاريةً حولاء فغارت امرأته أمّ عوفٍ، وكانت ابنةَ عمِّه، وكانت تشارُّه في كلّ يوم وتقول: من يشتري حولاء؛ فلمّا كثرت عليه قال:

يعيبونها عندي ولا عيبَ عندها سوى أنَّ في العينينِ بعضَ التأخُّرِ

فإن يكُ في العينينِ سوءٌ فإنها مهفهفةُ الأعلى رَداحُ المؤخَّرِ[1]

أنشد أبو النجم هشام بن عبد الملك أرجوزته التي أوّلها: الحمد للّه الوهوب المجزل، فلم يزل هشام يصفّق بيديه استحساناً لها، حتى إذا بلغ قوله في صفة الشمس:

فهي في الأفق كعينِ الأحولِ صَغواءُ[2] قد كادت ولما تفعلِ

أمر بوجْء رقبته وإخراجه. وكان هشام أحول.

وقال آخر[3]:

يقولون نصرانيّةٌ أمُّ خالدٍ فقلتُ دعُوها كلُّ نفسٍ ودينُها

فإنْ تكُ نصرانيّةً أمُّ خالدٍ فقد صُوِّرتْ في صورةٍ لا تَشينُها

ولا عيبَ فيها غيرَ زُرقةِ عينِها كذاكَ عِتاقُ الطيرِ زرقٌ عيونُها

---

[1] يعني ضامرة الخصر كبيرة الأليَة.

[2] صغواء: مائلة، نحو الغروب.

[3] الأبيات في ديوان أبي الأسود الدؤلي صنعة السكري.

وقرأت في الآيين[1] أن الرجل إذا اجتمع فيه قِصَر وسُبوطة وحَوَلٌ وعَسَم وشَدَقٌ وهَتَم كان لا يُستعمل في دار الْمُلْك، ويحال بينه وبين التصدير للمَلِك، وكذلك المرأة البرشاء والبرصاء.

وقال بعض الشعراء في صحة البَصَر مع الهَرَم:

إنَّ معاذَ بنَ مسلمٍ[2] رجلٌ ليس يقيناً لعُمْرِهِ أمدُ
قل لمعاذٍ إذا مررتَ به قد ضجّ من طول عمرِكَ الأبدُ
قد شاب رأسُ الزمانِ واكتهلَ الدّ هرُ وأثوابُ عُمرِهِ جُدُدُ
يا نسرَ لقمانَ كم تعيشُ وكمْ تسحبُ ذيلَ الحياةِ يا لُبَدُ
قد أصبحتْ دارُ آدمٍ طَلَلاً وأنتَ فيها كأنكَ الوَتِدُ
تسأل غَربانَها إذا حَجَلَتْ كيف يكونُ الصداعُ والرمدُ

الأنوف

عن أبي زيد قال: رأيت أعرابياً أنفُه كأنه كوزٌ من عِظَمه، فرآنا نضحك فقال: ما يضحككم! والله لقد كنا في قوم ما يسمّوننا إلا الأُفَيْطس.

---

[1] كتاب الآيين (مقالات في أنظمة الملك والدولة الساسانية) لأبي عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني، وزير صاحب خراسان.

[2] في مجمع الأمثال للميداني: "أَعْمَرُ مِنْ مُعَاذٍ" هذا مَثَل مولَّد إسلامي، ومعاذ هذا: هو مُعاذ بن مسلم، وكان صَحِبَ بني مروان في دولتهم، ثم صحب بني العباس، وَطَعَنَ في مائة وخمسين سنة، فَقَال فيه الشاعر... الأبيات. وصرح الذهبي في تاريخ الإسلام، وابن خلكان في وفيات الأعيان، بأن قائل الأبيات هو سهل بن أبي غالب الخزرجي الشاعر المشهور.

عن الوليد بن بشار أن امرأة عقيل بن أبي طالب، وهي بنت عتبة بن ربيعة، قالت: يا بني هاشم لا يحبّكم قلبي أبداً، أين أبي وأين عمي؟ أين فلان وأين فلان؟ كأن أعناقهم أباريق فضةٍ، ترِدُ أنوفُهم الماء قبل شفاههم. فقال لها عقيلٌ: إذا دخلتِ النارَ فخذي على يسارِك[1].

قال بعض الشعراء يذكر الكِبَر[2]:

أرى شَعَراتٍ على حاجِبَيَّ بيضاً نبتْنَ جميعاً تؤاما
ظَلِلتُ أهاهي[3] بهنَّ الكِلا بَ أحسبُهنَّ صواراً[4] قِياما
وأحسبُ أنفي إذا ما مَشَيْـ ـتُ شَخْصاً أمامي رآني فقاما

وقال بعض المحْدَثين[5]:

إذا أنتَ أقبلتَ في حاجةٍ إليه فكلِّمْهُ مِنْ خَلْفِهِ
فإنْ أنتَ واجهتَهُ في الكلا مِ لم يسمعِ الصوتَ مِنْ أنفِهِ

---

[1] وأنا أنزِّه عقيلاً أن يحكم بالنار على مسلم.

[2] في حماسة البحتري أن الأبيات لذُي الإِصْبَعِ الْعَدْوَانِي، وفي أنساب الأشراف للبلاذري سماه عامر بن الظرب العدواني. وانظر: تهذيب اللغة للأزهري، ولسان العرب لابن منظور، باب الهاء.

[3] أهاهي: أزجر.

[4] الصوار: قطيع البقر.

[5] انظر: شرح مقامات الحريري للشريشي.

وقال آخر[1]:

إن عيسى أَنْفُ أَنْفِهْ أَنْفُهُ ضِعْفٌ لضِعْفِهْ

وهو لو يستنشقُ الثَّوْ رَ بقَرْنيهِ وظِلفِهْ

لثوى في مِنْخرٍ يسـ ـتغرِقُ الخَلْقَ بنِصْفِهْ

لو تراه راكباً والتِّـ ـيهُ قد مالَ بعِطْفِهْ

لرأيتَ الأنفَ في السر جِ وعيسى رِدْفُ أنفِهْ

وقال قعنب[2] في الوليد بن عبد الملك:

فقدتُ الوليدَ وأنفاً لهُ كمثلِ الحَقينِ أَبَى أن يَبولا

أتيتُ الوليدَ فألفيتُه كما يعلمُ الناسُ وخماً ثقيلا

البَخَر والنَّتْن

قال أبو اليقظان: كان يقال لعبد الملك بن مروان: أبو الذِّبَّان لشدة بَخَره. يريدون أن الذباب يسقط إذا قارب فاه من شدّة رائحته. قال: ونبذ إلى

[1] هو محمد بن عبد الملك الزيات، قالها في عيسى بن زينب. انظر: جمع الجواهر في الملح والنوادر للحصري القيرواني.

[2] قعنب بن أم صاحب، من شعراء الدولة الأموية، ممن نُسب إلى أمّه من الشعراء، ومعناه في اللغة: الشديد من كل شيء. انظر: البرصان والعرجان والعميان والحولان للجاحظ. وحماسة أبي تمام.

امرأةٍ له تفّاحةً قد عضَّها، فأخذتْ سكّيناً؛ فقال لها: ما تصنعين؟ قالت: أميط عنها الأذى، فطلَّقها.

وقال مسلمٌ[1]:

أنت تَفْسو إذا نطقْتَ ومن سَبَّـ ـحَ من فَسْوٍ قال إثماً وزُورا

وقال آخر[2]:

لا تُدْنِ فاكَ من الأميرِ ونحِّهِ حتى يُداوِيَ ما بأنفِكِ أَهْرَنُ[3]
إن كان للظِّربانِ جُحْرٌ مُنْتِنٌ فلَجُحْرُ أنفِكِ يا محمدُ أَنْتَنُ

وقال شقيق بن السليك العامريّ[4] لامرأته:

إذا ما نَكَحْتِ فلا بالرِّفاءِ إذا ما نكحتِ ولا بالبَنِينا
تزوّجْتِ أصلعَ في غُربةٍ تُجَنُّ الحليلةُ منه جُنونا
إذا ما نُقِلْتِ إلى بيتِهِ أَعَدَّ لجنبيْكِ سَوْطاً مَتينا

---

[1] قيل هو صريع الغواني مسلم بن الوليد الأنصاري.

[2] هو ابن عبدل: الحكم بن عبدل بن جبلة الأسدي الغاضري. شاعر في أوائل العصر الأموي، ولد بالكوفة وقضى بها أكثر عمره حتى نفاه عبد الله بن الزبير مع عمال الأمويين في الكوفة سنة ٦٤ هـ. انظر: الحيوان للجاحظ.

[3] أهرن: طبيب عربي شهير.

[4] وهو من بني أسد، شاعر إسلامي مقلّ. وقالها لها بعدما طلقها وعلم أنها ستتزوج غيره. ومطلع الأبيات: ونبئتها أحرمتْ قومها ... لتنكح في معشر آخرينا. انظر شرح الحماسة للتبريزي، والأشباه والنظائر للسيوطي، ولسان العرب لابن منظور، وبحوث ومقالات في اللغة والأدب وتقويم النصوص لمحمد أجمل الإصلاحي.

كأنَّ المساوِكَ في شِدْقِهِ إذا هنَّ أُكرِهْنَ يَقْلَعْنَ طِينا
كأن توالِيَ أضراسِهِ وبين ثناياه غِسْلاً لَجِينا

وقال الحكم بن عبدل[1] لمحمد بن حسّان بن سعد[2]:

فما يدنو إلى فمِهِ ذبابٌ ولو طُلِيَتْ مشافِرُهُ بقَنْدِ
يَرَيْنَ حلاوةً ويَخَفْنَ مَوْتاً وشيكاً إنْ هَمَمْنَ له بوِرْدِ

وقال أعرابي[3]:

كأن إبْطيَّ وقد طال المَدَى نفْحةُ خُرْءٍ من كواميخِ القُرَى

وقال عبد الرحمن بن أبي عبد الرحمن بن عائشة[4]:

---

[1] الحكم بن عبدل بن جبلة الأسدي الغاضري. شاعر في أوائل العصر الأموي، ولد بالكوفة وقضى بها أكثر عمره حتى نفاه عبد الله بن الزبير مع عمال الأمويين في الكوفة سنة ٦٤هـ. توجه إلى عبد الملك ومدحه ومدح الحجاج وعاملاه معاملة حسنة. كان ابن عبدل معروفاً مرهوباً بسبب هِجائه.

[2] محمد بن حسان بن سعد التميمي. كان عاملاً على بعض كور السواد فسأله ابن عبدل حاجة فرده عنها فقال فيه هذا الشعر وغيره وهجاه هجاءً كثيراً. انظر الأغاني للأصفهاني، ومعجم الأدباء لياقوت، والحيوان للجاحظ، والكامل للمبرد.

[3] انظر: الحيوان للجاحظ.

[4] ابن عائشة القرشي، واسمه عبد الرحمن. وعائشة أمه ، وكانت سمية أم زياد بن أبي سفيان إحدى جداته. كان شاعراً مجيداً متصلاً بابن أبي دواد وكان يتسخط عليه. انظر: طبقات الشعراء لابن المعتز، ونور القبس لليغموري.

من يكن إبطُهُ كآباطِ ذا الخلـ ـقِ فإبطايَ في عدادِ الفِقاح[1]

لي إبطانِ يرميانِ جَليسي بشبيهِ السُّلاح أو بالسُّلاح[2]

فكأني من نَتْنِ هذا وهذا جالسٌ بين مُصعبٍ وصَباح[3]

يعني مصعب بن عبد الله بن مصعب، وصباح بن خاقان الأهتمي.

البرص

كان بلعاء بن قيس أبرص؛ فقال له قائل: ما هذا بك يا بلعاء؟ فقال: سيف الله حَلّاه[4].

وقال ابن حبناء[5]:

---

[1] الفقاح: جمع فقحة. وهي حلقة الدبر.

[2] السُّلاح: العذرة.

٣ مصعب بن عبد الله الزّهريّ وصباح بن خاقان المنقريّ، وكانا جليسين لا يكادان يفترقان وصديقين متواصلين. انظر: الكامل للمبرد، والتذكرة الحمدونية.

[4] بَلْعاء بن قيسٍ، كان رئيساً في الجاهلية، وكان أبرصَ فقيل له: ما هذا البياض؟ فقال: سيفُ الله حَلاَّه. واشتقاق بَلْعاء من قولهم: بئر بَلْعاء: واسعةٌ. انظر: الاشتقاق لابن دريد. والأصنام لابن الكلبي.

[5] ابن حبناء: المغيرة بن حبناء، من ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وكان به برص. انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة.

إني امرؤٌ حنظليٌّ حين تنسُبُني لا مِلْعَتيكِ ولا أخواليَ العَوَقُ[1]
لا تحسبنَّ بياضاً فيَّ مَنْقصةً إن اللهاميمَ في أقرابِها بَلَقُ[2]

وقال أبو مسهرٍ[3]:

أيشتُمُني زيدٌ بأنْ كنتُ أبرَصاً فكلُّ كريمٍ لا أبا لكَ أبرصُ[4]

وقال بعض النهشليين[5]:

نَفَرَتْ سَوْدةُ منّي إذ رأتْ صَلَعَ الرأسِ وفي الجِلْدِ وَضَحْ
قلتُ يا سودةُ هذا والذي يَفْرِجُ الكُربةَ عنّا والكَلَحْ
هو زينٌ لِيَ في الوجهِ كما زيَّنَ الطّرفَ تحاسينُ القَرَحْ

---

[1] ملعتيك: يريد من العتيك، وهم قوم من اليمن، حذف نون «من» على لغة بعض العرب، انظر المفضليات ٢٩: ٦. العَوَق: قوم من أزد عمان، وهم أخوال المفضل بن المهلب بن أبي صفرة، يعرِّض به إذ أنف أن يأكل معه لبرصه.

[2] اللهاميم: جمع لهموم، وهو الجواد من الناس والخيل. والأقراب: جمع قُرب، وهو الخاصرة. والبلق: الحجيل، سواد في بياض. انظر: لسان العرب.

[3] أبو مسهر الأعرابي: وهو من فصحاء الأعراب الذين روى عنهم العلماء. انظر: الحيوان والفهرست.

[4] قال الجاحظ في كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان: أراد: كل أبرص كريم فقال: كل كريم أبرص. وهذا من المقلوب.

[5] الأبيات منسوبة لسويد بن أبي كاهل في البرصان. انظر: الحيوان للجاحظ، وربيع الأبرار للزمخشري، وحماسة البحتري.

وقال آخر[1]:

يا كأسُ[2] لا تستنكري نُحولي ووضَحاً أوفى على خَصيلي[3]

فإنَّ نعْتَ الفرسِ الرّجيلِ يكمُلُ بالغُرَّةِ والتحجيلِ[4]

وقال آخر[5]:

يا أختَ سعدٍ لا تَعيبي بالزَّرَقْ لا يَضْرُرِ الطِّرْفَ تواليعُ البَهَقْ

إذا جرى في حلْبةِ الخيلِ سَبَقْ[6]

لما أنشد لبيدٌ النعمانَ بن المنذر قوله في الربيع بن زيادٍ العبسي[7]:

---

[1] الرجز لمعاوية بن حزن بن موءلة في البرصان، وفي هامش معجم الشعراء.

[2] وفي رواية: يا ميّ، وفي أخرى: يا سلم، وكأس: من أعلام نسائهم. انظر: هامش البرصان والعرجان والعميان والحولان للجاحظ.

[3] أوفى: ارتفع. الخصيل: جمع خصلة، وهي الشعر المجتمع.

[4] الرجيل، من الإبل والدواب: الصبور على طول المشي الذي لا يعرق. الغرة: البياض في وجه الفرس.

التحجيل: البياض في قوائمه.

[5] الرجز للحارث بن حلزة في البرصان.

[6] الزرق: لون الفرس الأشهب، وهو كناية عن البهق في الإنسان. والطِّرف: الجواد الكريم العتيق. التوليع: التلميع من البرص. البلق: استطالة البياض وتفرقه. والمعنى: إن الفرس الكريم لا يضره ما به من وضح إذا أتى يوم الحلبة سابقاً. انظر: هامش الحيوان للجاحظ.

[7] الرّبيع بن زياد العبسي: كان قائد عبس في حرب داحس. وكان رحّالاً وكثير الوفادات، شاعراً، وكان بالمنذر خاصّاً، وله نديماً، وكان الملك لا يشعر بالذي به من الوضَح، حتّى قال لبيد بن ربيعة:

مهلاً أبيْتَ اللعنَ لا تأكلْ معَهْ إنَّ اسْتَهُ من بَرَصٍ مُلمَّعَهْ

قال الربيع: أبيتَ اللعن! والله لقد نكتُ أمَّه! فقال لبيدٌ: إن كنتَ فعلتَ لقد كانت يتيمةً في حِجْرك ربّيتها، وإلا تكن فعلتَ ما قلتَ فما أولاك بالكذب! وإن كانت هي الفاعلة فإنها من نسوةٍ فُعَّلٍ لذلك. يعني أنّ نساء بني عبسٍ فواجر[1].

وقال زيادٌ الأعجم[2]:

ما إنْ يدبِّحُ منهمْ خاريءٌ أبداً إلا رأيتَ على بابِ استِهِ القَمَرا[3]

مهلا أبيت اللّعن لا تأكل معه ... إنّ استه من برص ملمّعه ... وإنّه يُدخل فيها إصبعه ... يُدخلها حتّى تواري أشجعه ... كأنّما يطلب شيئا أطمعه

قال: فلمّا ترك الملك مؤاكلته ومنادمته تجرّد ثمّ غدا بين يديه ذاهباً وجائياً. فقال الملك:

قد قيل ما قيل إن حقّ وإن كذبٌ ... فما اعتذارك من شيء إذا قيلا

[1] وهذه آفة كتب الأدب، لا ينزهها أصحابها عن رواية ما يستحيا من روايته، ولعمري إن الحياء من الإيمان.

[2] هو الشاعر الأموي المعمَّر زياد بن سلمى، وكانت فيه لكنة، فلذلك سمي الأعجم. وكان زياد مولعاً بالهجاء، وكان من أمر مهاجاته للمغيرة بن حبناء أنهما اجتمعا مع طائفة من الشعراء عند المهلّب، وتباروا في مديحه، فأجازهم جميعا وآثر زياداً عليهم بأن وهبه غلاماً فصيحاً ينشد شعره لما كان فيه من لكنة. فأقبل المغيرة على الأمير يراجعه في ذلك فهاجاه زياد. انظر ترجمته في: الشعر والشعراء، والمؤتلف، والأغاني، ومعجم الأدباء، والخزانة.

[3] التَّدبيح: أن يخفض الرجلُ رأسَه حتّى يكون أشدَّ انخفاضاً من أليتيه. إلاّ رأيتَ على باب استه القمرا: يريد أنّهم برص الأستاه. انظر: المصون في الأدب لأبي أحمد العسكري، وغريب الحديث لابن قتيبة.

يعني أنهم بُرص الأَسْتاه.

وقال كُثَيِّر[1] في نحو ذلك:

ويُحشَرُ نورُ المسلمين أمامَهمْ ويُحشَرُ في أَسْتاهِ ضَمْرةَ نورُها

قال المدائني: كان أيمن بن خُرَيمٍ أبرص وكان أثيراً عند عبدالعزيز بن مروان، فعتب عليه أيمن يوماً فقال له: أنت طرفٌ ملولة. فقال له: أنا ملولة وأنا أؤاكلك مذ كذا!. فلحق ببشر بن مروان فأكرمه واختصّه ولم يكن يؤاكله. فدخل عليه يوماً وبين يديه لبن قد وضع؛ فقال له: قد حدّثت نفسي البارحة بالصوم، فلما أصبحت أتوني بهذا وهم لا يعلمون، ولا أرى أحداً أحقّ به منك، فدونكه.

عن ابن جُعْدُبة قال: أصاب أبا عزّة الجُحميّ وَضَحٌ، فكان لا يجالَس، فأَحدَّ شفرة وطعن في بطنه فمارت الشفرة وخرج ماءٌ أصفر وبرئ، فقال:

لاهُمَّ رَبَّ وائلٍ ونَهْدِ ورَبَّ من يرعى بياضَ لحْدي[2]

أصبحتُ عبداً لك وابنَ عبْدِ أبرأْتَني مِنْ وَضَحٍ بجلْدي

مع ما طعنْتُ اليومَ في مَعَدّي[1]

---

[1] قال الجاحظ في المحاسن والأضداد: ولما هجا كثيّرٌ بني ضمرة، فقال: (ويحشر نور المسلمين أمامهم ... ويحشر في أستاه ضمرة نورها) اشتدت بنو ضمرة عليه وعلى عزّة، وأرادوا قتله، ووضعوا له العيون، فمكث شهراً لا يصل إليها.

[2] وفي رواية: يرعى بياضَ نَجْدِ. وسائر ألفاظ الأبيات السابقة رويت بروايات مختلفة كثيرة.

العرج

كان عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أمير الكوفة أعرج، وولّى شرطتَه القعقاع بن سويد وكان أعرج، فقال بعض الشعراء وكان أعرج[٢]:

ألقِ العصا ودعِ التناوشَ والتمسْ عملاً فهذي دولةُ العُرْجانِ

لأَميرُنا وأميرُ شرطتِنا معاً يا قومَنا لكليهما رِجْلانِ

وقال رجل من العُرج[٣]:

وما بيَ من عيبِ الفتى غيرَ أنني أَلِفْتُ قناتي حين أوجَعَني ظَهْري

---

[١] ورد في كتاب الفرج بعد الشدة للتنوخي قَالَ: برص أَبُو عزة الجُمَحِي الشَّاعِر، فَكَانَت قُرَيْش لَا تؤاكله، وَلَا تجالسه، فَقَالَ: الْمَوْت خير من هَذِه الْحَيَاة. فَأخذ حَدِيدَة، وَدخل بعض شعاب مَكَّة، فطعن بهَا فِي معدّه. والمعدّ: مَوضِع عَقِبَي الرَّاكِب من الدَّابَّة (البطن). فمرت الحديدة بَين الْجلد والصفاق، فَسَالَ مِنْهُ مَاء أصفر، وَبرئ لوقته. وانظر: طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي.

[٢] هو الحكم بن عبدل بن جبلة الأسدي. شاعر في أوائل العصر الأموي، ولد بالكوفة وقضى بها أكثر عمره حتى نفاه عبد الله بن الزبير مع عمال الأمويين في الكوفة سنة ٦٤هـ فتوجه إلى عبد الملك ومدحه ومدح الحجاج وعاملاه معاملة حسنة. كان ابن عبدل معروفاً مرهوباً بسبب هِجائه. وللبيتين السابقين ثالث يقول فيه: فإذا يكون أميرنا ووزيرنا ... وأنا فجئ بالرابع الشيطانِ. انظر: البيان والتبيين، والبرصان، والحيوان للجاحظ، والأغاني للأصفهاني، ومعجم الأدباء لياقوت.

[٣] انظر: الحيوان للجاحظ.

وقال آخر[1]:

وما بي من عيبِ الفتى غيرَ أنني جعلتُ العصا رِجْلاً أقيمُ بها رِجْلي

وقال أبو زياد الكلابي[2]:

ألفتُ عصا الطرفاءِ[3] حتى كأنما أرى بعصا الطرفاءِ إحدى النجائبِ

وقال أبو الخطاب النّهدليّ:

قد صرتُ أمشي بثلاثِ أرجلِ

وقال آخر[4]:

قد كنتُ أمشي على رِجْلينِ معتمِداً فاليومَ أمشي على أخرى من الشجرِ

وقال الأعشى[5]:

إذا كان هادي الفتى في البلا دِ صدرَ القناةِ أطاع الأميرا

الأدر

---

[1] انظر: البيان والتبيين، والبرصان، والحيوان للجاحظ. والأبيات ثلاثة هي:

وشى بي واشٍ عند ليلى سفاهةً ... فقالت له ليلى مقالة ذي عقلِ

وخبّرها أنّي عرجْتُ فم تكن ... كورهاء تجترّ الملامة للبعلِ

وما بي من عيب الفتى غير أنّني ... جعلت العصا رِجْلاً أقيم بها رجلي

[2] أبو زياد الكلابي: يزيد بن عبد الله. كان عالماً بالأدب وشاعراً من بني كلاب بن ربيعة.

[3] الطرفاءُ شجرةٌ مستقيمة معروفة، تنبت عند مياهٍ قائمة.

[4] هو المنهال العنبري. قاله الجاحظ في البرصان. والبيت موجود أيضاً في ديوان أبي حية النميري.

[5] في قصيدته التي مطلعها: غَشِيْتَ لِليلى بِلَيْلٍ خُدُورَا وَطَالَبْتَهَا وَنَذَرْتَ النُّذُورا

قال أبو الخطاب: كان عندنا رجل أحدب، فسقط في بئر فذهبت حدبته فصار آدَر، فدخلوا يهنئونه، فقال: الذي جاء شرٌ من الذي ذهب.

وقال طرفة[1]:

ما ذنبُنا في أنْ أداءتْ خُصاكُمُ وأنْ كنتمُ في قومِكِمْ مَعْشَراً أُدْرا

إذا جلسوا خَيَّلْتَ تحت ثيابِهم خرانقَ تُوفي بالضَّغيبِ لها نَذْرا[2]

وقال الجعدي[3]:

كذي داءٍ بإحدى خصْيَتَيْهِ وأخرى لم توَجَّعْ من سَقامِ

فضمَّ ثيابَهُ من غيرِ بُرءٍ على شَعْراءَ تُنقِضُ بالبِهامِ[4]

الجُذام

[1] من قصيدة أولها: مِنَ الشَرِّ وَالتَبريحِ أَولادُ مَعشَرٍ كَثيرٍ وَلا يُعطونَ في حادِثٍ بَكرا

[2] أداءت: مرضت. الأدر: الآدر وهو الوارم الخصية. الخرانق: مفردها الخرنق وهو صغير الأرانب. الضغيب: صوت الأرنب. هامش ديوان طرفة.

[3] النابغة الجعدي:

[4] الشعراء، بفتح الشين: الخصية الكثيرة الشعر. تنقض، بالقاف من قولهم: «أنقض بالدابة» أى صوت صوتاً بفمه يدعوها به. البِهام، بكسر الباء: جمع بهمة، وهو الصغير من أولاد الغنم والبقر وغيرها، الذكر والأنثى فيه سواء. قال فى اللسان: عنى أدرة فيها إذا فشت خرج لها صوت كتصويت النقض بالبهم إذا دعاها. انظر هامش الشعر والشعراء.

عن أبي محيريز قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فرّوا من المجذوم كالفرار من الأسد"[١].

وفي حديث آخر: "لا تديموا النظر إلى المجذومين فإذا كلّمتموهم فليكن بينكم وبينهم حجاب قيد رمح"[٢].

عن قتادة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ادهن بدأ بحاجبه الأيمن. ثم قال: "باسم الله"[٣]. وقال: "نبات الشعر في الأنف أمانٌ من الجذام"[٤].

وعن قتادة: أنّ مجذوماً دخل على عبد اللّه بن الحارث فقال: أخرجوه قالوا: ولم؟ قال: بلغني أنه ملعون[٥].

قال أبو الحسن: مرّ سليمان بن عبد الملك بالمجذومين في طريق مكة، فأمر بإحراقهم، وقال: لو كان اللّه يريد بهؤلاء خيراً ما ابتلاهم بهذا البلاء[٦].

---

[١] هذا الحديث جزء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر، وفر من المجذوم كما تفر من الأسد"، أخرج الحديث البخاري بسنده في كتابه "الصحيح" في كتاب الطب باب الجذام.

[٢] أخرجه ابن ماجه (٣٥٤٣) واللفظ له، وأحمد (٢٠٧٥) وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة الرقم: ١٠٦٤).

[٣] لم أجده.

[٤] من حديث عائشة عند الطبراني. وقد عده ابن الجوزي في الموضوعات.

[٥] لم أجده. ولا أدري ما ذنب المجذوم ليفعل به هذا.

[٦] لا أعتقد أن الشريعة تبيح هذا الأمر.

عن إبراهيم قال: اشمأزّ رجلٌ من رجل به بلاء، فما مات حتى ابتلي بمثل ذلك البلاء.

باب المهور

قال إسحاق بن عبد اللّه بن أبي طلحة: خطب جدّي أبو طلحة أمَّ سليم فأبت أن تتزوجّه حتى يُسلِمَ وكان مشركاً وقالت: إذا أسلم فهو صداقي، فأسلم فكان صداقُها إسلامَه.

عن المطّلب بن أبي وداعة السّهمي قال: زوَّج سعيدٌ ابنتَه على درهمين[1].

أخبرنا محمد بن عليّ بن أبي طالب أنّ عليّاً أصدق فاطمةَ بنت النبّي صلى اللّه عليه وسلم بَدَناً من حديد[2]. قال محمد: وأخبرني ابن أبي نجيح قال: بلغني أنا البَدَن الذي تزوّج عليه فاطمةَ كان ثمنه ثلاثمائة درهم.

عن ابن أبي عيينة عن ابن أبي نجيح عن أبيه أنّ عليّاً عليه السلام قال: أتيت رسولَ اللّه صلى اللّه عليه وسلم بالدّرع فباعها بأربعمائة وثمانين درهماً وزوّجني عليها.

عن مجاهد عن ابن عبّاس أنّ النبّي صلى اللّه عليه وسلم قال: "أعظم النّكاح بركةً أيسره موؤنة"[1].

---

[1] ابن أبي وداعة هو كثير بن المطلب بن أبي وداعة، تلميذ ابن المسيب وزوج ابنته المشار إليها في هذه القصة، تزوجها على الدرهمين.

[2] البَدَن: الدِّرْعُ القَصيرة على قدر الجسد.

وقال في الحديث الآخر: "اللّهم أذهب مُلْكَ غسّان وضعْ مهورَ كِندة"[٢].

أخبرنا بعض أصحاب الأخبار قال: قالت جارية من العرب لبنات عمٍّ لها: السعيدة التي يتزوجها ابن عمها فيَمْهَرُها بتيْسَينِ وكَلْبينِ وعَيْرينِ[٣]، فيَنِبُّ[٤] التَّيْسانِ وينبَحُ الكلْبانِ وينهقُ العَيْرانِ، والشقّية التي يتزوّجها الحضرّي فيطعمها الخَمير، ويُلبسها الحَرير، ويحملها ليلة الزّفاف على عودٍ؛ (تعني إكافاً أو سَرْجاً).

ويقال: جاء خاطبٌ إلى قوم فقال: أنا فلان بن فلان، وأنتم لا تَسألون عنّي أعلمَ بي منكم. قالوا: صدقت، فما تبذل؟ فأنشأ يقول:

ألا أبلغْ لديكَ بني يزيدٍ بأنّي لا أريدُ إلى النساءِ

سوى وُدّي لهنّ وأنّ عندي ثريداً بالغَداةِ وبالعِشاءِ

فقال شيخ منهم: أقم كفيلاً بالقصعتين وصُلْ به. فبقي عاراً عليهم إلى اليوم.

---

[١] أخرجه أحمد في مسنده، والنسائي في السنن الكبرى، وابن أبي شيبة في مصنفه، والحاكم في المستدرك، وأبو نعيم في حلية الأولياء، وأورده الألباني في ضعيف الجامع.

[٢] لأن كندة كانت لا تزوج بناتها إلا بمائة من الإبل مهراً. وهذا الحديث لم أجده إلا في كتب الأدب مثل البيان والتبيين.

[٣] العَير: الحمار.

[٤] ينبُّ: يصيح.

قال بعض نقلة الأخبار: أصدق عمر بن الخطّاب أمّ كلثوم بنت عليّ أربعين ألفاً، وأصدق عبد اللّه بن عمر ابنةَ أبي عبيد أختَ المختار عشرة آلاف درهم، وأصدق محمد بن سيرين امرأته السّدوسيّة عشرة آلاف درهم.

قال أعرابيّ:

يقولون تزويجٌ وأَشهدُ أنه هو البيعُ إلا أنَّ من شاء يكذبُ

أوقات عقد النكاح

عن ضَمْرة بن حبيب أنه قال: كان أشياخنا يستحبّون النكاح يوم الجمعة.

وقال بعض العلماء: سمعت من يخبر عن اختيار الناس آخرَ النهار على أوّله في النّكاح، قال: ذهبوا إلى تأويل القرآن واتّباع السنّة في الفأل، لأن اللّه سمّى الليل في كتابه سكناً وجعل النهار نُشوراً؛ وقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم في الطِّيَرة: "أصدقُها الفأل"[1]؛ فآثر الناسُ استقبال الليل لعُقدة النّكاح تيمُّناً بما فيه من الهدوء والاجتماع، على صدر النهار لما فيه من التفرّق والانتشار.

[1] رواه مسلم في صحيحه.

قال: وأما كراهية الناس للنكاح في شوّال، فإن أهل الجاهليّة كانوا يتطيّرون منه ويقولون: إنه يشول[1] بالمرأة، فعَلِقه الجُهّال منهم، وأبطله اللّه بالنبي صلى اللّه عليه وسلم، لأنه نكح عائشة رضي اللّه عنها في شوّال.

خطب النكاح

عن خالد القسريّ[2] قال – وكان جمع الخطب فكان يستحسن هذه ويذكرها –: ذكرتم أمراً حسناً جميلاً، وعد اللّه فيه الغِنى والسّعة، فلا خلف لموعود اللّه ولا رادّ لقضاء اللّه، إذا أراد جماع أمرٍ فلا فرقة له، وإذا أراد فرقة أمر فلا جماع له. عرضتُ كذا، فإذا قال: نعم. قال: قد نَكَحْتُ.

وخطب محمد بن الوليد بن عتبة إلى عمر بن عبد العزيز أخته؛ فقال: الحمد للّه ذي العزّة والكبرياء، وصلى اللّه على محمد خاتم الأنبياء. أما بعد، فقد حسن ظنّ من أودعك حرمته واختارك ولم يختر عليك؛ وقد زوّجناك على ما في كتاب اللّه: إمساكٌ بمعروفٍ أو تسريحٌ بإحسانٍ.

خطب بلالٌ على أخيه امرأةً من بني حِسْل من قريش فقال: نحن من قد عرفتم، كنّا عبدين فأعتقنا اللّه، وكنّا ضالّين فهدانا اللّه، وفقيرين فأغنانا اللّه، وأنا أخطب على أخي خالدٍ فلانةَ، فإن تُنكحوه فالحمد للّه، وإن

---

[1] من قولهم: شالَتِ النَّاقَةُ ذَنَبَها أَو بِذَنَبِها، أي تمتنع من زوجها.

[2] خالد بن عبد الله القسري: قائد أموي تباينت الأقوال بشأن سيرته، فمنهم من ذمه وشتمه، ومنهم من مدحه وبجّله. قتله الخليفة الأموي.

تردُّوه فاللّه أكبر. فأقبل بعضهم على بعضٍ فقالوا: هو بلالٌ، وليس مثله يُدفع، فزوَّجوا أخاه. فلما انصرفا قال خالد لبلالٍ: يغفر اللّه لك! ألا ذكرتَ سوابقَنا ومشاهدَنا مع رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم! قال بلال: مه! صدقت فأنكحكَ الصّدقُ.

كان الحسن البصريّ يقول في خطبة النّكاح بعد حمد اللّه والثناء عليه: أما بعد، فإن اللّه جمع بهذا النكاح الأرحام المتقطعة، والأسباب المتفرّقة، وجعل ذلك في سنّةٍ من دينه ومنهاجٍ واضح من أمره؛ وقد خطب إليكم فلان وعليه من اللّه نعمة، وهو يبذل من الصّداق كذا، فاستخيروا اللّه ورُدّوا خيراً يرحمْكم اللّه.

قال الأصمعيّ: كان رجالات قريشٍ من العرب تستحبُّ من الخاطب الإطالة، ومن المخطوب إليه الإيجاز.

وأتى رجلٌ عمر بن عبد العزيز يخطب أخته، فتكلّم بكلام جاز الحفظَ؛ فقال عمر: الحمد للّه ذي الكبرياء وصلى اللّه على خاتم الأنبياء؛ أما بعد، فإن الرّغبة منك دعت إلينا، والرغبة فيك أجابت منا؛ وقد زوّجناك على ما في كتاب اللّه: إمساكٌ بمعروفٍ أو تسريحٌ بإحسانٍ.

قال العُتْبيّ: لما زوج شيبٌ ابنه ابنة سَوّارٍ القاضي قلنا: اليوم يُعَبُّ عُبابُه. فلمّا اجتمعوا فقال: الحمد للّه، وصلى اللّه على رسول اللّه. أما بعد، فإنّ المعرفة منا ومنكم وبنا وبكم تمنعنا من الإكثار، وإنّ فلاناً ذكر فلانة[1].

قال العُتبيّ: حدّثني رجل قال: حضرت ابن الفقير يخطب على نفسه امرأةً من باهلة فقال:

فما حَسَنٌ أن يَمْدَحَ المرءُ نفسَهُ ولكنَّ أخلاقاً تُذمُّ وتُمدَحُ

وإن فلانةَ ذُكِرتْ لي.

وحدّثني أبو عثمان قال: مررت بمحضر قد اجتمع فيه خلق كثيرون، فسألت بعضَهم: ما جمعُهم؟ فقالوا: هذا سيّد الحيّ يريد أن يتزوّج منّا فتاةً. فوقفت أنظر، فتكلّم الشيخ فقال: الحمد للّه، وصلى اللّه على رسول اللّه، أما بعد ذلك، ففي غير ملالةٍ من ذكره والصلاة على رسوله؛ فإن اللّه جعل المناكحة التي رضيها فِعلاً وأنزلها وَحياً سَببَ المناسلة، وإن فلاناً ذكر فلانة وبذل لها من الصداق كذا، وقد زوّجته إيّاها، وأوصيته اللّه لها. ثم قال للفتيان على رأسه: هاتوا نِثاركم[2]. فقُلِبتْ على رؤوسنا غرائرُ التَّمْر.

---

[1] كان من شأن العرب إذا خطبوا امرأة إلى أحدهم قالوا لوليِّها: إنّ فلاناً ذكر فلانة، يعني يطلبها للزواج.

[2] النثار: الحلوى التي تنثر في العرس.

وقال شَبَّة بن عِقال: ما تمنّيت أن لي بقليلٍ من كلامي كثيراً من كلام غيري إلا يوماً واحداً، فإنّا خرجنا مع صاحب لنا نريد أن نزوّجه، فمررنا بأعرابيٍّ فأَتْبَعَنا، فتكلّم متكلِّمُ القوم فجاء بخطبةٍ فيها ذكر السموات والأرض والجبال؛ فلما فرغ قلنا: من يجيبه؟ قال الأعرابيّ: أنا. فجثا لركبته ثم أقبل على القوم فقال: واللّه ما أدري ما تحتاطك وتَلْصاقك منذ اليوم! ثم قال: الحمد للّه ربّ العالمين وصلى اللّه على محمدٍ خير المرسلين. أمّا بعد فقد توسّلتَ بحرمةٍ، وذكرتَ حقّاً وعظَّمْتَ عظيماً، فحبلُك موصول، وفرضُك مقبول؛ وقد زوّجناها إيّاك وسلمّناها لك؛ هاتوا خبيصَكم.

قال ابن عائشة: زوّج سَلْم بن قتيبة ابنته من يعقوب بن الفضل فقال: الحمد للّه، قد مَلَكْتَ باسم اللّه.

حضر المأمون إملاكاً وهو أمير، فسأله بعض من حضر أن يخطُب، فقال: المحمودُ اللّه والمصطفى رسولُ اللّه، وخيرُ ما عُمِل به كتابُ اللّه؛ قال اللّه تعالى: "وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ" ولم يكن في المناكحة آيةٌ منزَّلة ولا سُنةٌ متَّبعةٌ إلا ما جعل اللّه في ذلك من تآلف البعيد وبرّ القريب، وليسارع إليها الموفَّق ويبادر إليها العاقل اللّبيب. وفلانٌ من قد عرفتموه في نسب لم تجهلوه، خطب إليكم فلانةَ فتاتَكم، وقد بذل لها من الصّداق كذا، فشفِّعوا شافعَنا وأنكحوا خاطبَنا، وقولوا خيراً تُحمدوا عليه وتُؤجروا؛ أقول قولي هذا، وأستغفر اللّه لي ولكم.

وصايا الأولياء للنساء عند الهِداء[1]

قال العُتْبيّ: حدّثنا إبراهيم العامريّ قال: زوّج عامر بن الظّرب ابنته من ابن أخيه، فلما أراد تحويلها قال لأمّها: مري ابنتَك ألاّ تنزل مفازةً إلا ومعها ماءٌ؛ فإنه للأعلى جِلاءٌ وللأسفل نَقاء؛ ولا تكثر مضاجعتَه، فإنه إذا ملّ البدنُ ملّ القلبُ؛ ولا تمنعْه شهوتَه، فإن الحُظوة في الموافَقَة. فلم تلبث إلا شهراً حتى جاءته مشجوجةً؛ فقال لابن أخيه: يا بُنيَّ ارفع عصاك عن بَكْرَتِك، فإن كانت نفرتْ من غيرِ أن تُنفَّرَ فذلك الداءُ الذي ليس له دواء، وإن لم يكن بينكما وفاقٌ ففراقُ الخلع أحسن من الطلاق؛ ولن تترك مالَك وأهلَك. فرَدَّ عليه صداقَه وخلَعَها؛ فهو أوّل من خَلَع من العرب.

قال الفُرافصة الكلبيّ[2] لابنته حين جهّزها إلى عثمان رضي اللّه عنه: يا بنيّة إنك تقدمين على نساء قريشٍ وهنّ أقدر على الطِّيب منك، فلا تُغلَبي على خَصلتين: الكُحل والماء، تَطَهّري حتى يكون ريحُك ريحَ شَنّ[3] أصابه المطر.

كان الزِّبرقان بن بدر إذا زوّج ابنةً له دنا من خدرها وقال: أتسمعين؟ لا أُعَرَّفَنَّ ما طلبتِ، كوني له أمةً يكن لك عبداً.

---

[1] الهداء: الزفاف.

[2] الفُرافصة الكلبي والد نائلة زوجة عثمان رضي الله عنه. ولدت من عائلة مسيحية في الكوفة، واعتنقت الإسلام لاحقًا على يد أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر زوجة رسول الله، في العام ٢٨ للهجرة.

[3] الشن: نبات يستعمل في الغسل.

قالت امرأةٌ لابنتها عند هِدائها: اقلعي زُجَّ رمحِه فإن أقرّ فاقلعي سِنانَه، فإن أقرّ فاكسري العظام بسيفه، فإن أقرّ فاقطعي اللّحم على تُرسِه، فإن أقرّ فضعي الإكاف على ظهره فإنما هو حمار.

قال أبو الأسود لابنته: إيّاك والغَيْرَةَ فإنها مفتاح الطّلاق، وعليك بالزينة، وأزين الزينة الكُحل؛ وعليكِ بالطّيب، وأطيبُ الطّيب إسباغُ الوضوء؛ وكوني كما قلتُ لأمِّكِ في بعضِ الأحايين:

خذي العفوَ مني تستديمي مودَّتي ولا تنطِقي في سَورتي حين أغضَبُ
فإني وجدتُ الحبَّ في الصدْرِ والأذى إذا اجتمعا لم يَلْبثِ الحبُّ يَذْهَبُ

باب سياسة النّساء ومعاشرتهنّ

قال عيسى بن يونس: حدّثنا شيخٌ لنا قال: سمعت سَمُرة بن جندبٍ يقول على منبرِ البصرة: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم:"إنما المرأة خلقت من ضِلَعٍ عوجاء، فإن تحرص على إقامتِها تكسرْها، فدارِها تعشْ بها[1]".

وقال بعض الشعراء:

هي الضِّلَعُ العَوْجاءُ لستَ تقيمُها ألا إنَّ تقويمَ الضلوع انكسارُها
أتَجْمَعُ ضَعْفاً واقتداراً على الفتى أليس عجيباً ضعفُها واقتدارُها

[1] رواه البخاري ومسلم.

عن الحسن قال: قال عمر بن الخطّاب رضي اللّه عنه: النساء عورةٌ[1] فاستروها بالبيوت، وداوُوا ضعفَهُنّ بالسكوت.

وفي حديث آخر لعمر: لا تُسكنوا نساءكم الغُرَف، ولا تعلّموهنّ الكتاب، واستعينوا عليهنّ بالعُرْي، وأكثروا لهنّ من قول لا، فإنّ نعم تغريهنّ على المسألة[2].

قال الأصمعيّ: قيل لعقيل بن عُلَّفة وكان غيوراً: من خَلَّفتَ في أهلِك؟ فقال: الحافظَيْنِ: العُرْيَ والجوعَ. يعني أنه يُجيعهنّ فلا يمزَحْن، ويُعريهنّ فلا يمرَحْن.

وقال كثيّر[3]:

وكنتُ إذا ما جئتُ أجللْنَ مجلسي وأبدَيْنَ منّي هَيبةً لا تَجَهُّما
يحاذرْنَ منّي غَيْرةً قد علمنَها قديماً فما يضحكْنَ إلاّ تبسُّما
تراهنّ إلاّ أن يؤدِّينَ نظرةً بمُؤخَرِ عينٍ أو يقلِّبْنَ مِعْصَما
كواظِمُ لا ينطِقْنَ إلاّ محورَةً[4] رجيعةَ قولٍ بعد أن يُتَفَهَّما

---

[1] مسألة أن المرأة عورة فيها تفسيرات عدة، فلينظرها من شاء.

[2] من قرأ سيرة عمر رضي الله عنه يعلم أنه كان على نقيض ذلك؛ كان يوصي بالصبر على النساء وإحسان معاشرتهن، ودليل ذلك الخبر الذي قبل هذا الخبر.

[3] كثير بن عبدالرحمن صاحب عزّة، وإليها يُنسب. انظر: الشعر والشعراء. والأبيات من قصيدته التي مطلعها: لِعَزَّةَ أَطلالٌ أَبَت أَن تَكَلَّما تَهيجُ مَغانيها الطَروبَ المُتَيَّما

[4] المحورة على وزن المشورة: الجواب.

وكنّ إذا ما قلن شيئاً يَسُرُّهُ أَسَرَّ الرِّضا في نفسِهِ وتَجَرَّما[1]

وقال ابن المقفّع: إيّاك ومشاورةَ النساء[2]، فإن رأيهنَّ إلى أَفْنٍ، وعزمهنَّ إلى وَهْنٍ. واكفف عليهنّ من أبصارهنّ بحجابك إيّاهنَّ؛ فإنّ شدّة الحجاب خيرٌ لك من الارتياب. وليس خروجهنّ بأشدّ من دخول من لا تثق به عليهنّ، فإن استطعت ألاّ يعرفن غيرك فافعل. ولا تمّلكنّ امرأةً من الأمر ما جاوز نفسَها، فإن ذلك أنعم لحالها وأرخى لبالها وأدوم لجمالها، وإنما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة، فلا تَعْدُ بكرامتها نفسها، ولا تعطها أن تشفع عندك لغيرها. ولا تطل الخلوة مع النساء فيَمْلَلْنَكَ وتملَّهُنّ؛ واستبْقِ من نفسك بقيّةً، فإنّ إمساكك عنهنّ وهنّ يرِدْنك باقتدار خير من أن يهجمن عليك على انكسار. وإيّاك والتغايرَ في غير موضع غَيْرة، فإنّ ذلك يدعو الصحيحة منهنّ إلى السَّقَم.

كان المأمون يقول: الغَيْرة بهيميّة. وقال أيضاً: هي ضرب من البخل.

أنشدني محمد بن عمر للخُرَيميّ:

ما أحْسَنَ الغَيْرَةَ في حينِها وأقبَحَ الغَيْرَةَ في غيرِ حينْ

مَنْ لم يَزَلْ متَّهِماً عِرْسَهُ متّبِعاً فيها لقولِ الظّنونْ

---

[1] تجرم: أظهر خلاف ما يبطن.

[2] رسول الله قدوتنا، وقد شاور أمَّ سلمة وأخذ بمشورتها في صلح الحديبية، فكان رأيها سديداً ومشورتها مباركة.

يوشِكُ أن يُغريَها بالذي يخافُ أن يُبرِزَها للعيونْ
حسبُكَ من تحصينِها وضعُها منكَ إلى عِرْضٍ صحيحٍ ودينْ
لا يُطْلَعَنْ منكَ على ريبةٍ فيتبعَ المقرونُ حبلَ القرينْ

وقال الشنفرى[1]:

إذا أصبحتُ بين جبالِ قوٍّ وبيضانِ القُرى لم تَحْذريني
وإما أنْ تودِّينا فنرعى أمانتَكم وإما أنْ تخوني
إذا ما جئتِ ما أنهاكِ عنه ولم أنكرْ عليكِ فطلّقيني
فأنتِ البعلُ يومئذٍ فقومي بسوطِكِ لا أبا لكِ فاضْربيني

أنشدني عبد الرحمن عن عمه، للرخيم العبدي[2]:

كنا ولا تَعْصي الحَليلةُ بَعْلَها فاليومَ تضرِبُهُ إذا هُوَ ما عَصَى
ويَقُلْن بُعداً للشيوخِ سَفاهةً والشيخُ أجدرُ أن يُهابَ ويُتَّقى

وقال آخر[3]:

وإني لأُخْلي للفتاةِ خباءها كثيراً فترعى نفسَها أو تُضِيعُها
وإني لعفٌّ عن مطاعمَ جمةٍ إذا زَيَّنَ الفحشاءَ للنفسِ جوعُها

قال جِران العَوْد[4]:

---

[1] في ديوانه، وانظر: حماسة أبي تمام.

[2] لم أجده.

[3] هو جَعْدة بن عتبة الكِلابيّ، انظر: حماسة أبي تمام.

[4] جران العود: ابن الحارث النميري. أدرك الإسلام. سمّي «جران العود» لقوله لامرأتيه:

ولكنْ سَمِعْنَ الشيخَ قد قالَ قَوْلَةً عليكمْ إذا ما رِبْنَكُمْ بالضَرائرِ
ولا تَأْمَنوا مَكْرَ النساءِ وأمسِكوا عُرى المالِ عن أبنائهنَ الأصاغِرِ
فإنَكَ لم يُنْذِرْكَ أمراً تَخافُهُ إذا كنتَ منه جاهِلاً مثلُ خابِرِ

عن جعفر بن سليمان قال: منعني علمي بالنساء كثيراً منهن، فقد غشيت ألف امرأة. وإن الله لو يحلّ لرجل ابنته لم تنفعه أو تُعْزِبْه.

قال أبو الحسن: قيل للحَجّاج: أيمازح الأمير أهله؟ قال: ما تروني إلا شيطاناً! والله لربّما قبَّلتُ أخمصَ إحداهنّ.

قيل لرجل من العرب كان يجمع الضرائر: كيف تقدر على جمعهنّ؟ قال: كان لنا شبابٌ يصابرهنّ علينا، ثم كان لنا مالٌ يصبّرهنّ لنا، ثم بقي خلق حسن، فنحن نتعاشر به ونتعايش.

عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: : "كلّ شيء يلهو به الرجل باطلٌ إلا تأديبه فرسه، ورميه عن قوسه، وملاعبته أهله"[1].

ويقال: العيال سوس المال.

عوتب الكسائي في ترك التزوج، فقال: وجدت مكابدة العُزْبة أيسر من مكابدة العيال.

(خُذا حَذراً يا حنّتيَّ فإنّني ... رأيت جِران العَود قد كاد يصلحُ) يريد سوطاً قدّه من صدر جمل مسنّ، يخوّفهما به. انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة.

[1] أخرجه النسائي في السنن الكبرى: ٨٩٤٠، والبزار في مجمع الزوائد. والهيثمي: ٢٧٢/٥، والطبراني: ١٩٣/٢ باختلاف يسير. والألباني في آداب الزفاف: ٢٠٥ وقال : إسناده صحيح.

عن عمارة بن حمزة قال: يخبز في بيتي كلّ يومٍ ألف رغيفٍ، كلهم يأكله حلالاً غيري. وكان يأكل رغيفاً واحداً. وكان يقول: ويقولون: فلانٌ ربّ البيت، وإنما هو كلب البيت.

عن عيسى بن علي قال في مرضٍ مرضه بمدينة السلام للناس: إن في قصري الساعة لألفَ مَحْمومةٍ.

عن مجاهد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "دينار أعطيتَه مسكيناً ودينار أعطيتَه في رقبةٍ ودينار أعطيتَه في سبيل الله ودينار أنفقتَه على أهلك هو أعظم أجراً"[1].

محادثة النساء

قال بشار[2]:

وحديثٌ كأنه قِطَعُ الرَّوْ ضِ وفيه الصفراءُ والبيضاءُ

وأنشد ابن الأعرابي[3]:

وحديثُها كالغيثِ يسمعُهُ راعي سِنينَ تتايَعَتْ جَدْبا

فأصاخَ يرجو أن يكون حَيا ويقولُ من فَرَحٍ هَيا رَبّا

---

[1] رواه مسلم في صحيحه.

[2] في ديوان بشار. وانظر: الحيوان، والبرصان، والعقد الفريد.

[3] نسب البيتين البلوي في "ألف باء" إلى الراعي، وهو يقول في التقدمة لهما: "ألم تسمع أيها الواعي، قول الراعي". انظر هامش: الخصائص لابن جني.

وقال القطامي[1]:

وهنَّ يَنْبِذْنَ من قولٍ يُصِبْنَ بِهِ مواقعَ الماءِ مِنْ ذي الغُلَّةِ الصادي

وقال الأخطل[2]:

وقد تكون بها سَلْمى تُحَدِّثُني تساقُطَ الحَلْي حاجاتي وأسراري

شبَّه كلامَها بعِقْدٍ انقطع فتساقط لؤلؤه.

وقال جِران العَوْد:

حديثٌ لو انَّ اللحْمَ يَصْلَى بِحَرِّهِ غَريضاً أَتَى أصحابَهُ وهو مُنْضَجُ

وقال بشّار، وذَكَرَ امرأة[3]:

كأنَ حديثَها سُكْرُ الشّرابِ

وقال أعرابيّ[1]:

---

[1] القُطامي التغلبي عمير بن شييم الشاعر المشهور. ديوان القطامي ٨١، والحيوان. واللسان (صدى)، وأساس البلاغة (نبذ).

[2] الأخطل التغلبي، من قصيدته التي مطلعها: تَغَيَّرَ الرَّسْمُ من سَلمى بِأَحْفَارِ وَأَقْفَرَتْ من سُليمى دِمْنَةُ الدّارِ

[3] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: غَدا سَلَفٌ فَأَصعَدَ بِالرَبابِ وَحَنَّ وَما يَحِنُّ إِلى صِحابِ

وفيها يقول:

مُصَوَّرَةٌ يَحارُ الطَرفُ فيها كَأَنَّ حَديثَها سُكرُ الشَرابِ

مِنَ المُتَصَيِّداتِ بِغيرِ نَبلٍ تَسيلُ إِذا مَشَت سَيلَ الحُبابِ

ونازَعْنَنا وَحْياً خَفِيّاً كأنَّهُ على المجتني، الريحانُ أَمْرَعَ خاضِلُهْ
بوحي لو انَّ العُصْمَ تسمعُ رَجْعَهُ تَقَضَّضَ من أعلى أَبانٍ عواقِلُهْ

وقال بشار[٢]:

وكأنّ تحتَ لسانِها هاروتُ ينفثُ فيه سِحْرا
وكأن رَجْعَ حديثِها قِطَعُ الرّياضِ كُسينَ زَهْرا

وقال بعض الأعراب الحمقى:

حديثُكِ أشهى حين آتيكِ طارقاً من الماءِ والدّوشابِ يمتزجانِ[٣]
كأنّ على عينيكِ تسعينَ جُلّةً كثيراً من البَرْنِيِّ والصَّرَفانِ[٤]

آخر[٥]:

كأنّ على فيها وما ذقتُ طعمَهُ لِبا نعجةٍ سَوَّطْتَهُ بدقيقِ
رمتْني بسهْمٍ نصلُهُ قَرَوِيَّةٌ وفُوقاهُ سمنٌ والنَّضِيُّ سَوِيقُ

والحَسَن في هذا قول ذي الرُّمّة[١]:

---

[١] انظر: المحب والمحبوب والمشموم والمشروب للسريّ الرّفاء.

[٢] انظر: أحسن ما سمعت، للثعالبي.

[٣] الدوشاب: نبيذ التمر.

[٤] البرني والصرفان: من أنواع التمور.

[٥] القروية هي التمرة. انظر: تاج العروس للزبيدي، والمحكم لابن سيده، ولسان العرب لابن منظور.

ولما تلاقَيْنا جَرَتْ من عيونِنا دموعٌ كففْنا ماءها بالأصابعِ

ونِلْنا سقاطاً من حديثٍ كأنه جَنى النحْلِ ممزوجاً بماءِ الوقائعِ[٢]

وقال آخر[٣]:

أنخْ فاختبزْ قُرْصاً إذا اعتركَ الهوى بزيتٍ لكي يكفيكَ فَقْدَ الحبائبِ[٤]

إذا اجتمعَ الجوعُ المبَرِّحُ والهوى نسيتَ وصالَ الغانياتِ الكواعبِ

فدعْ عنكَ تَطْلابَ الغواني وحبَّها وبادِرْ إلى تمرٍ مُعَدٍّ ورائبِ

باب النظر

قال المسيح عليه السلام: لا يزني فرجُك ما غضضتَ بصرَكَ.

وقال رجلٌ لأخيه: احتفظ من العين، فإنها أنمُّ عليكَ من اللسان.

وقال بشار[٥]:

---

[١] في ديوانه (بشرح الباهلي) من قصيدته التي مطلعها: خليلي عوجا عوجة ناقتيكما ... على طلل بين القلات وشارعِ. وانظر: اعتلال القلوب للخرائطي، ومصارع العشاق للسراج القارئ.

٢ كففنا ماءها: منعناه أن يجري على الخد بأن أخذناه بالأصابع. و"الكف": المنع. ومنه قيل للأعمى: "مكفوف". ونلنا سقاطاً: نلنا شيئاً بعد شيء، كأنه العسل. و"الوقيعة": مكان صلب يمسك الماء كالنقرة.

[٣] انظر: حماسة أبي تمام، وزهر الأكم في الأمثال والحكم لليوسي.

[٤] يعني: إذا عاودك العشق فكلِ الخبزَ بالزيت كي تنسى من لذة الطعام وحشةَ الهوى. انظر: شرح حماسة أبي تمام للفارسي.

[٥] في ديوانه.

على النفسِ من عينِها شاهدٌ فكاتمْ حديثَكَ أو نُمَّهُ

وقال الفرزدق[1]:

فلا تَدْخُلْ بيوتَ بني كُلَيْبٍ ولا تَقْرَبْ لهم أبداً رِحالا

فإنَّ بها لوامعَ مبرقاتٍ يكدْنَ ينكن بالحَدَقِ الرِّجالا

نظر أشعب يوماً إلى ابنه وهو يديم النظر إلى امرأة، فقال: يا بنيّ نظرك هذا يُخْبِل.

وقال بعض الشعراء في هذا المعنى[2]:

ولي نظرةٌ لو كان يُخْبِل ناظرٌ بنظرتِهِ أنثى لقد حَبَلَتْ منّي

وقال ذو الرُّمة[3] – وذَكَرَ الظبيةَ وخُشْفَها[4] – :

وتهجرُهُ إلاّ اختلاساً نهارَها وكم من محبٍّ رهبةَ العينِ هاجرِ[5]

مرّت أعرابيّةٌ بقوم من بني نُمَير، فأداموا النظر إليها، فقالت: يا بني نُمَير، واللّه ما أخذتم بواحدةٍ من اثنتين: لا بقول اللّه: "قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ". ولا بقول جرير:

---

[1] البيتان في ديوان الأخطل من قصيدته التي مطلعها: لَقَد جارَيتَ يابنَ أَبي جَريرٍ عَذوماً لَيسَ يُنظِرُكَ المِطالا

[2] انظر: اعتلال القلوب للخرائطي، وتاريخ دمشق لابن عساكر.

[3] في ديوانه. وانظر: المعاني الكبير في أبيات المعاني لابن قتيبة.

[4] الخُشْفُ: ولدُ الظبية أَوَّلَ ما يولد.

[5] يعني أن الظبية تهجر ولدها على عمد وتأتيه خلساً؛ لئلا تستدل السباع عليه بها.

فغضَّ الطّرفَ إنكَ من نُمَيرٍ فلا كَعْباً بلغتَ ولا كِلابا

فاستحيا القوم من كلامها وأطرقوا.

وقال الطائيّ[1]:

مرتِّبُ الحزنِ في القلوبِ وناصرُ العزمِ في الذنوبِ
ما شئتَ من منطقٍ أريبِ فيه ومن منظرٍ عجيبِ
لَمّا رأى رِقبةَ الأعادي على مُعَنًّى به كئيبِ
جَرَّدَ لي من هواهُ طَرْفاً صار رقيباً على الرقيبِ

ويقال: ربّ طَرْفٍ أفصح من لسانٍ.

وقال الشاعر[2]:

ومراقَبَيْنِ يُكتِّمانِ هواهُما جَعَلا الصدورَ لما تُجِنُّ قُبورا
يتلاحظانِ تلاحُظاً فكأنما يتناسخانِ من الجفونِ سُطورا

وقال أعرابيّ[3]:

---

[1] ديوان أبي تمام.

[2] نسبهما محمد بن أيدمر في الدر الفريد وبيت القصيد إلى الرقاشي.

[3] البيت في كتاب الزهرة لابن داود الظاهري، وقبله بيتان:

إنِّي وإن بني بكرٍ علَى خُلقٍ ... عما قليل أراه سوف ينكشفُ
يُرمِّلون جَنينَ الضِّغن بينهمُ ... والضّغنُ أشوهُ أوْ في وجهه كلفُ
إن كاتموا بالقِلى عمّت عيونهُمُ ... والعين تُظهر ما في القلب أوْ تَصِفُ

إنْ كاتَمونا القِلَى نَمَّتْ عيونُهُمُ والعينُ تُظهر ما في القلبِ أو تَصِفُ

وقال آخر[1] في مثله:

إذا قلوبٌ أظهرتْ غيرَ ما تضمِرُهُ أنْبَتْكَ عنها العيونُ

وقال آخر[2]:

أما تبصرُ في عينيَّ عنوانَ الذي أُبدي

وقالت أعرابية[3]:

---

[1] هو محمد بن أبي أمية الكاتب: أحد المتقدمين في الشعر، رقيق الطبع، حسن التصرف فيه، غريب المعاني. وأكثر شعره في الغزل. وكان هو وعلي أخوه يكتبان للفضل ابن الربيع. وهو عم أبي حشيشة الطنبوري. انظر: كتاب الديارات للشابشتي.

[2] البيت بغير نسبة في البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي، ومعه ثلاثة أبيات أخرى:

أما تنظر في عين ... يَّ عنوان الذي أبدي

أما تفهم ما أضم ... ر في إسعاف ما أبدي

وفي دون الذي أظهـ ... ـر ما دل على وجدي

عيوناً تسرق اللحظ ... من المولى إلى العبد

[3] البيت منسوب لعلي بن مهدي في معجم الأدباء لياقوت، ومعه بيتان آخران:

ومودّع يوم الفراق بلحظه ... شرق من العبرات ما يتكلّمُ

متقلّب نحو الحبيب بطرفه ... لا يستطيع إشارة فيسلّمُ

نطق الضمير بما أرادا عنهما ... وكلاهما مما يعاين مفحَمُ

قال ياقوت: علي بن مهدي بن علي بن مهدي الكسروي: أبو الحسن الأصفهاني، معلم ولد أبي السحن علي بن يحيى بن المنجم، أحد الرواة العلماء النحويين الشعراء، مات في أيام بدر المعتضدي على أصبهان.

ومودِّعٍ يومَ الفراقِ بلحظِهِ شَرِقٍ من العَبَراتِ ما يتكلَّمُ

وقال أعرابيّ[1]:

وما خاطبَتْها مقلتايَ بنظرةٍ فتفهمَ نجوانا العيونُ النواظرُ

ولكنْ جعلتُ الوهمَ بيني وبينَها رسولاً فأدَّى ما تُجِنُّ الضمائرُ

ونحوه قول أبي العتاهيّة[2]:

أمَا والذي لو شاءَ لم يَخْلُقِ النَّوى لئنْ غِبْتَ عن عيني لما غِبْتَ عن قلبي

يُوَهِّمُنيكَ الشَّوْقُ حتّى كأنني أُناجيكَ عنْ قُرْبٍ وإنْ لم تكن قُرْبي

وقال أحمد بن صالح بن أبي فنن[3]:

---

[1] هو رَاشِدِ بْنِ إِسْحَاقَ الْكَاتِبِ، انظر: اعتلال القلوب للخرائطي.

[2] والبيتان منسوبان أيضاً إلى العباس بن الأحنف، والقاضي الفاضل. ولمسعود بن بشير كما في أمالي القالي، وشرح شواهد المغني، وشرح الكافية. ولعزّ الدين أبي الفضل محمد بن المفرج بن محمد البروجردي الكاتب كما في مجمع الآداب في معجم الألقاب لابن الفوطي. ولابن المعتز كما

[3] أحمد بن صالح بن أبي فنن: شاعر عباسي، كان مولى لبني هاشم. من الشعراء المشهورين في عصره حيث كان يجتمع مع عدد من شعراء عصره كل جمعة في القبة المعروفة بهم في جامع المدينة في بغداد أمثال علي بن الجهم، ودعبل. له شعر جيد.

دعا طرفُهُ طرفي فأقبلَ مُسرعاً فأثّرَ في خَدَّيْهِ فاقتصَّ من قَلْبي

شكوتُ إليه ما أُلاقي مِنَ الهوى فقال على رُغْمٍ فُتِنْتَ فما ذَنْبي[1]

كان يقال: أربعٌ لا يشبعن من أربع: عينٌ من نَظَر، وأُنثى من ذَكَر، وأرضٌ من مَطَر، وأُذُنٌ من خَبَر.

حدّثني إسحاق بن أحمد بن أبي نَهيكٍ قال: رأيتُ رجلاً في طريق مكة وعديلُه جاريةٌ في المحمِل وقد شدّ عينيها وكشف الغطاء؛ فقلت له في ذلك؛ فقال: إنما أخاف عليها عينيها لا عيونَ الناس.

وكان عند بعض القرشّيين امرأةٌ عربيّةٌ، ودخل عليها خَصِيّ لزوجها وهي واضعةٌ خمارها، فحَلَقَتْ رأسَها وقالت: ما كان ليصحبَني شَعْرٌ نظر إليه غير ذي محرمٍ.

باب القِيان والعِيدان والغناء

قال إسحاق بن إبراهيم (الموصلي): كان رجلٌ من آل جعفر بن أبي طالب يهوى جاريةً، فطال ذلك به، فقال للزّبيريّ: قد شغلتني هذه عن ضيعتي وعن كل أمري، فاذهب بنا حتى نكاشِفَها؛ فقد أجد بعض السّلوّ. فأتيناها؛ فلما أتيناها قال لها الجعفريّ أتغنيّن:

وكنتُ أحبُّكم فسلوتُ عنكمْ عليكمْ في دياركمُ السلامُ

[1] البيتان نسبهما ابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات، والصفدي في الوافي بالوفيات ، والمرزباني في معجم الشعراء، إلى ماني الموسوس من شعراء مصر.

فقالت: لا، ولكني أغنّي:

تحمَّلَ أهلُها منها فباتُوا على آثارِ مَنْ ذَهَبَ العَفاءُ

فاستحيا وأطرق ساعةً وازداد كلفاً، ثم قال: أتغنيّن:

وأخنعُ للعُتبى إذا كنتُ ظالماً وإنْ ظَلَمَتْ كنتُ الذي أتنصّلُ

قالت: نعم، وأغنيّ:

فإن تُقبِلوا بالودِّ نُقْبِلْ بمثلِهِ وننزلُكم منا بأكرمِ منزلِ

فتقاطعا في بيتين، وتواصلا في بيتين، ولم يشعر بهما أحدٌ[1].

وقال أحمد بن صالح بن أبي فنن[2]:

أعددتُ للحربِ شُربَ كأسٍ وميلَ سمعٍ إلى قيانِ

تظلُّ أوتارُهنّ تحكي فصاحةً منطقَ اللسانِ

ما بين يُمنى وبين يُسرى وحيُ بنانٍ إلى بنانِ

ضميرُ قلبٍ بقرعِ كفٍّ أبداه بمّانِ[3] ناطقانِ

وقال بعض الكتّاب[4] وذكر العود:

---

[1] انظر: اعتلال القلوب للخرائطي، وأمالي الزجاجي، والعقد الفريد لابن عبدربه.

[2] شاعر عباسي من المشهورين في عصره كان يجتمع معهم كل جمعة في القبة المعروفة بهم في جامع المدينة في بغداد أمثال علي بن الجهم، ودعبل.

[3] البَمُّ : الوَتَر الغليظُ من أَوتار العُود، ويقابله في العود الحديث: العُشَيران.

[4] نسبهما القالي في أماليه إلى الحمدوني.

وناطقٍ بلسانٍ لا ضميرَ له كأنه فَخِذٌ نِيطَتْ إلى قَدَمِ
يُبدي ضميرَ سواهُ في الكلامِ كما يُبدي ضميرَ سواهُ منطِقٌ لفمِ

وقال آخر يذكر مغنيّة[1]:

ألم تَرَها لا يُبعِدُ اللّهُ دارَها إذا رجَّعتْ في صوتِها كيف تصنعُ
تمدُّ نظامَ القولِ ثم تردُّهُ إلى صلصلٍ في حلقِها يترجَّعُ

وقال بعض المحدَثين في القيان[2]:

إذا رأينَ القيانُ أحمقَ ذا مالٍ يقلِّبنَ نحوَهُ الحَدَقا
وبالتفدِّي وبالتدلُّلِ يَسْـ ـلُبنَ فؤاداً بحبِّهِ عَلِقا
حتى إذا ما سَلَخْنَ جِلدتَهُ سَلْخاً رفيقاً وبدَّدَ الوَرِقا
قلْن ادخلوا، ذا الطُّوَيرُ[3] قد طرح الرّ يشَ، وشُدُّوا من دونِهِ الغَلَقا
فبِتْنَ يَرْعَيْنَ في دراهِمِهِ وبات يَرْعى الهمومَ والأَرَقا

ذُكر عند القاسم بن محمد الغناءُ والسّلو عنه، فقال لهم: أخبروني: إذا مُيِّزَ أهلُ الحقّ وأهلُ الباطل ففي أيِّ الفريقين يكون الغناء؟ قالوا: في فريق الباطل. قال: فلا حاجة لي فيه.

---

[1] المغنية هي سلّامة والقائل هو القس: عبد الرحمن بن أبي عمار. انظر أغاني الأصفهاني ورسائل الجاحظ.

[2] لم أجده.

[3] الطوير: تصغير الطائر.

قدمت سُكينة بنت الحسين مكة، فأتاها الغَريض ومَعْبَد[1] فغنَّياها:

عُوجِي علينا رَبَّةَ الهَوْدَجِ إنكِ إنْ لم تَفْعلي تَحْرُجي[2]

فقالت: والله ما لكما مثلٌ إلا الجَدْيين الحار والبارد لا يُدرى أيهما أطيب[3].

قال بعضهم: ليس يخلو أحدٌ في بيته ولا في سفره إلا وهو يشدو، فإن هو أساء في ذلك ستر الله عليه، وإن هو أحسن فضحه الله.

قال الهيثم: خرج شريحٌ إلى مكة فشيّعه قوم، فانصرف بعضهم من النجف بعد السفرة، ومضى معه قوم، فلما أرادوا أن يودعوه، قال: أما أصحاب النجف فقد قضينا حقَّهم بالطعام، وأما أنتم فأغنِّيكم، ورفع عَقيرته وغنّى:

---

[1] الغريض ومعبد: من أشهر مغني العصر الأموي، الغريض هو أبو يزيد عبد الملك، لُقِّب بالغريض لأنه كان طريّ الوجه نضراً، غض الشباب حسن المنظر، ومعبد بن وهب إمام المغنين العرب.

[2] البيت للعرجي: عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان، شاعر أموي شهير. وحَرِجَ الرَّجُلُ: أَذْنَبَ، أَثِمَ، أَخْطَأَ.

[3] وفي رواية: «ما أشبهكما إلا باللؤلؤ والياقوت في أعناق الجواري الحسان لا يُدرى أيهما أحسن».

إذا زينبٌ زارَها أهلُها حَشَدْتُ وأكرَمْتُ زوّارَها

وإنْ هي زارتْهُمُ زُرْتُها وإنْ لم يكن لي هَوى دارِها[1]

عن عليّ بن هشام قال: كان عندنا بمرو قاصٌّ يقصّ فيبكينا، ثم يخرج بعد ذلك طنبوراً صغيراً من كمّه فيضرب ويغني ويقول:

يا إين تيمار بايد أندكي شادي

معناه: ينبغي مع هذا الغمِّ قليل فرحٍ.

قدم ابن جامع[2] مكة بخيرٍ كثير، فقال ابن عُيينة[3]: علام تعطيه الملوكُ هذه الأموالَ ويُحْبونه هذا الحِباء؟ قالوا: يغنِّيهم. قال: ما يقول؟ فاندفع رجل يحكيه وقال:

أطَوِّفُ بالبيتِ فيمن يطوفُ وأرفعُ من مئزري المسبَلِ

قال: أحسنت، هيه! فقال:

وأسجدُ بالليلِ حتى الصبا حِ أتلو من الْمُحكَمِ المنزَلِ

فقال: جزاه الله عن نفسه خيراً! هيه! فقال:

عسى كاشفُ الكربِ عن يوسفٍ يسخِّرُ لي ربّةَ المَحمِلِ

---

[1] البيتان لشريح القاضي، ولهما قصة مروية في كتب الأدب، انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر، والأغاني.

[2] هو أبو القاسم إسماعيل بن جامع: كان مُغنيًّا ماهرًا ومُلحّنًا بارعًا.

[3] الفقيه سفيان بن عيينة.

فقال: آه! أمسكْ أمسكْ، قد علمتُ ما نحا الخبيثُ، اللهم لا تسخرْها له[1]!

التقبيل

عن ابن أسد قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا اختلى مع نسائه أقعى وقبّل[2].

قالت أمّ البنين[3] لعزّة صاحبة كثيّر: أخبريني عن قول كثيّر:

قَضَى كلُّ ذي دَيْنٍ فوَفَّى غَرِيمَهُ وعزّةُ ممطولٌ معنًّى غريمُها

أخبريني ما ذلك الدَّيْن؟ قالت: وعدتُه قبلةً فحرِجْتُ منها[4].

---

[1] المعنى أن ابن جامع دعا بمحظور في آخر الأبيات.

[2] الحديث من طريق عمر بن الحكيم، عن أبي أُسيد: «فقلت: يا رسول اللّه، قد جئتك بأهلك. فخرج يمشي وأنا معه، فلما أتاها أقعى وأهوى ليقبّلها . وكان يفعل ذلك إذا اختلى النساء . فقالت: أعوذ باللّه منك... الحديث، وفيه: موسى بن عبيدة، وهو ضعيف»(انظر: الإصابة : ١٢/٨).

[3] فاطمة بنت حزام الكُلابيَّة المعروفة باسم أم البنين، زوجة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، تزوَّجها بعد وفاة زوجته فاطمة الزهراء. أنجبت منه أربعة أبناء، أكبرهم أبو الفضل العباس قائد قوَّات الحسين بن علي في معركة كربلاء.

[4] يعني تأثمت.

قالت أم البنين: أنجزيها وعليَّ إثمها[1].

قال رجل لأعرابيّ: ما الزنا عندكم؟ قال: القُبلة والضَّمة. قال: ليس هذا زنا عندنا. قال فما هو؟ قال: أن يجلس بين شُعَبها الأربع ثم يجهد نفسه. فقال الأعرابي: ليس هذا زنا، هذا طالب ولد.

وقال آخر[2]:

فدخلتُ مختفياً أضرُّ[3] ببيتِها حتى ولجتُ على خَفِيِّ المَوْلِجِ

قالت وعيشِ أخي ونعمةِ والدي لأنبِّهنَّ الحيَّ إنْ لم تَخْرُجِ

فخرجتُ خيفةَ قولِها فتبسَّمَتْ فعلمْتُ أنَّ يمينَها لم تَحْرُجِ

فلثمْتُ فاهاً قابِضاً بقرونِها شُرْبَ النزيفِ ببردِ ماءِ الحشرجِ[4]

فتناولتْ رأسي لتعرفَ مسَّهُ بمخضِّبِ الأطرافِ غيرَ مشنَّجِ

---

[1] هذا خبر من أخبار كثيرة يتساهل رواة الأدب في حكايتها، وهي لا تجوز في حق من نُسبت إليهم، وعلمها عند الله. فكيف يُنسب هذا إلى قوم نزل فيهم: (ولا تزر وازرة وزر أخرى) ونزل فيهم: (وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ) إن هذا لبهتان عظيم.

[2] هو جميل بن عبد الله بن معمر، أحد عشّاق العرب المشهورين بذلك، وصاحبته بثينة، وهما جميعاً من عذرة، وكانت بثينة تكنى أمّ عبد الملك. انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة. وقيل إن الأبيات لعمر بن أبي ربيعة.

[3] أضر ببيتها: أدنو منه، دنواً شديداً دون مخالطة.

[4] الحشرج: كوز صغير لطيف.

وقال بعض الشعراء[1]:

وما نلتُ منها مَحْرَماً غيرَ أنني أقبِّلُ بسّاماً من الثَّغْرِ أَبْلَجا

وألثمُ فاهاً تارةً بعدَ تارةٍ وأتركُ حاجاتِ النفوسِ تَحَرُّجا

وقال آخر:

لعمريَ إني ما صَبَوْتُ[2] وما صَبَتْ وإنّي إليها من صِباً لحليمُ

سوى قُبْلةٍ أستغفرُ اللهَ ذَنْبَها وأُطعِمُ مسكيناً بها وأصومُ

وقال أبو نواس[3]:

وعاشقَينِ التفَّ خَدَّاهما عند التثامِ الحَجَرِ الأسودِ

فاشتفيا من غير أنْ يأثَما كأنما كانا على موعدِ

لولا دفاعُ الناسِ إيّاهما لما استفاقا آخرَ الْمُسْنَدِ[4]

قال المتوكل، أو غيره من الخلفاء، لبختيشوع: ما أخفُّ النُّقْل[5] على النبيذ؟ فقال له: نُقْلُ أبي نواس. فقال: ما هو؟ فأنشده:

---

[1] هو ابن ميادة، انظر: المصون في الأدب لأبي أحمد العسكري,

[2] صبا: مال مع النفس فيما تهوى. ومنه قوله تعالى على لسان يوسف: (وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ).

[3] انظر الديوان.

[4] المسند: الدهر.

[5] النُّقل: ما يُتناول مع الشّراب من مخلَّلات وفواكه ومكسّرات وغيرها.

ما ليَ في الناسِ كلِّهمْ مَثَلُ مائيَ خَمْرٌ ونُقْلِيَ القُبَلُ

وقال بعض المحدَثين[1]:

غضبْتِ من قُبْلةٍ بالكُرْهِ جُدْتِ بها فها فمِي لكِ فاقتصِّيهِ أَضْعافا

لم يأمرِ اللهُ إلا بالقِصاصِ فلا تَسْتَجْوِري ما يراهُ اللهُ إنصافا

الدخول بالنساء والجماع

عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: ما تقول في متعة النساء؟ فقد أكثر الناس فيها حتى قال الشاعر. قال: وما قال الشاعر؟ قلت: قال:

قد قلتُ للشيخِ لما طالَ مجلسُهُ يا صاحِ هل لكَ في فتوى ابنِ عباسِ

هل لكَ في رَخْصةِ الأطرافِ آنسةٍ تكونُ مثوايَ حتى رجعةِ الناسِ

قال: فنهاني عنها وكرهها[2].

للأصمعي: أن رجلاً قعد من امرأة مقعد النكاح ثم قال: أبكرٌ أنت أم ثيّبٌ؟ قالت: أنت على المجرَّب.

قال الحَجّاج لأكتل بن شمّاخ العكلي[1]: ما عندك للنساء؟ قال: إني لأطيل الظمأ وأُورَدُ فلا أشرب[2].

---

[1] هو أَبُو رَجَاء أَحْمد بن عَفْو الله الْكَاتِب الشِّيرَازِيّ. انظر: يتيمة الدهر للثعالبي.

[2] جاء في السنن الكبرى للبيهقي: فقالَ ابنُ عباسٍ: ما هَذا أَرَدتُ، وما بِهَذا أفتَيتُ فى المتعَةِ، إنَّ المتعَةَ لا تَحِلُّ إلَّا لمضطَرٍّ، ألا إنَّما هِيَ كالميتَةِ والدَّمِ ولَحمِ الخِنزيرِ.

وقيل لمدني: ما عندك في النكاح؟ قال: إن مُنِعتُ غَضِبتُ، وإن تُرِكتُ عجزْت.

قال الأحنف: إذا أردتم الحُظوة عند النساء فأفحِشوا في النكاح وحسِّنوا الأخلاق.

قال معاوية: ما رأيت منهوماً بالنساء إلا رأيت ذلك في مُنَّتِه[٣].

قال آخر: لذة المرأة على قدْر شَهوتها، وغَيْرتها على قدْر محبتها.

دعا عيسى بن موسى[٤] بجاريةٍ له، فلم يقدر على غشيانها، فقال:

القلبُ يطمعُ والأسبابُ عاجزةٌ والنفسُ تهلِكُ بين العجزِ والطمعِ[٥]

---

[١] أكتل بن شماخ العكلي: شهد معركة الجسر مع أبي عبيد، وأسر مردان شاه وضرب عنقه، وشهد القادسية، وله فيها آثار محمودة. وكان علي بن أبي طالب إذا نظر إليه قَالَ: من أحب أن ينظر إلى الصبيح الفصيح فلينظر إلى أكتل بن شماخ.

[٢] انظر: العقد الفريد.

[٣] المُنَّةُ : القُوَّةُ.

[٤] عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس: أميرٌ عباسي، من الولاة القادة، وهو ابن أخي أبي العباس السفاح، كان يقال له: شيخ الدولة.

٥ عزاه الزمخشري في ربيع الأبرار إلى العتبي. وعزاه ابن قتيبة في الشعر والشعراء إلى الرشيد. وهذا لا يصح؛ فإن عيسى بن موسى كان قبل العتبي وقبل الرشيد.

قال مقاتل بن طَلْبة بن قيس بن عاصم[1]:

رأيت سُحَيْماً فاقَدَ اللهُ بينَها تنيك بأيدِيها وتَعْيا أيورُها

وقال آخر[2]:

ويُبْعثُ يومَ الحشْرِ أمّا لسانُهُ فعَيٌّ وأمّا أيرُهُ فخطيبُ

وقال آخر[3]:

ويُعْجبُني منكِ عند الجماعِ حياةُ اللسانِ وموتُ النظرْ

قال المدائني: أسرت عنزةُ الحارثَ بن ظالم، فمرت به امرأةٌ منهم فرأت كَمَرةً سوداء، فقالت: احتفظوا بأسيركم فإنه ملِكٌ وخِدْنُ ملِك. قالوا: وكيف عرفتِ ذلك؟ قالت: رأيت حَشَفةً سوداء من فُروم النساء.

والفَرْم: ما تُضيِّق المرأةُ به رحمَها من رامكٍ أو عجم زبيب أو غيره.

وكتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج: يابن المستفرِمة بعجم الزبيب.

قال الهيثم: كان امرؤ القيس مُفَرَّكاً[1]، فبينما هو يوماً مع امرأة قالت له: قم يا خير الفتيان قد أصبحْتَ. فلم يقم، فكررتْ عليه، فقام فوجد الليل

---

[1] مقاتل بن طَلَبة بن قيس بن عاصم المنقري: كان شاعراً شريفاً. وسبب البيت أن رجلاً من بني سحيم من بني حنيفة تزوج ابنة مقاتل، وكان شيخاً يقال له بدر فزعموا أنه افتضها بإصبعه فخاصمه أبوها وقال هذا البيت. انظر: أنساب الأشراف للبلاذري، والحيوان للجاحظ.

[2] عزاه ابن المعتز في طبقات الشعراء إلى أبي خالد الغنوي، قاله في البطين المعروف وكان من أهل حمص.

[3] انظر: العقد الفريد.

بحالِهِ، فرجع إليها فقال لها: ما حملكِ على ما صنعتِ؟ قالت: حملني عليه أنّك ثقيل الصدر، خفيف العَجُز، سريع الإراقة، بطيء الإفاقة.

قال أبو عبيدة: وقال لجاريةٍ له: اصدقيني عمّا تكره النساء مني. قالت: يكرهن منك أنك إذا عَرِقتَ فحْتَ بريح كلبٍ. قال: أنت صدقتيني، إن أهلي كانوا أرضعوني بلبن كلبةٍ.

قال الأصمعي: غاضبت امرأة زوجَها، فجال عليها يجامعها؛ فقالت: لعنك الله! كلما وقع بيني وبينك شرٌّ جئتني بشفيعٍ لا أقدر على ردّه!

عن ابن عيّاش قال: كتب عبيد الله بن زياد إلى أسماء بن خارجة والي البصرة يخطب إليه هند بنت أسماء فزوّجه؛ فلقيه عمرو بن حارثة ومحمد بن الأشعث بن قيس ومحمد بن عمير، فقالوا: خطب إليك وليس له عليك سلطانٌ فزوجتَه وقد عرفتَه! فقال: قد كان ما كان. فقال عُقَيِّبة الأسديّ[٢]:

جزاكَ اللهُ يا أسماءُ خيراً كما أرضيتَ فَيْشَلَةَ الأميرِ

بصدعٍ قد يفوحُ المسكُ منهُ عظيمٌ مثلُ كِركِرةِ البعيرِ

لقد زوجتَها حسناءَ بِكراً تجيد الرَّهْزَ من فوقِ السريرِ[٣]

---

[١] مفرك: تبغضه النساء.

[٢] عقيبة بن هبيرة الأسدي؛ شاعرٌ جاهليٌ إسلامي. وفد على معاوية ابن أبي سفيان.

[٣] انظر: الأغاني، والحماسة البصرية، والتذكرة الحمدونية.

فبلغ الخبرُ عبيدَ الله بن زياد، فلما استُعمل على الكوفة تزوج عائشة بنت محمد بن الأشعث، وزوّج أخاه سَلْم بن زيادٍ بنت عمرو بن الحارث بن حريثٍ، وزوّج أخاه عبد الله بن زيادٍ ابنة محمد بن عميرٍ. قال ابن عيّاش: فاشتركوا والله في اللؤم جميعاً.

قال أبو المبارك[1]: ألستم تعلمون أنّي قد أرميتُ[2] على المائة، فينبغي لمن كان كذلك أن يكون وهْنُ الكِبَر، ونفادُ الذّكر، وموت الشهوة، وانقطاع ينبوع النطفة، قد أمات حنينَه إلى النساء وتفكيره في الغزل؟! قلنا: صدقت. قال: وينبغي أن يكون من عوّد نفسه تركهنّ مدداً، وتخلى عنهن سنين ودهراً، أن تكون العادة وتمرين الطبيعة، وتوطين النفس، قد حطّ من ثقل منازعة الشهوة، ودواعي الباءة، وقد علمتم أنّ العادة التي هي الطبيعة الثانية، قد تستحكم ببعض عمد هجر لملامسة النساء. قلنا: صدقت. قال: وينبغي أن يكون من لم يذق طعم الخلوة بهنّ ولم يجالسهنّ متبذلات، ولم يسمع حديثهنّ وخلابتهنّ للقلوب، واستمالتهن للأهواء، ولم يَرَهنّ منكشفات

---

١ أبو المبارك الصابئ: قال عنه الجاحظ في كتابه الحيوان: فأما الصابئون، فإنّ العابد منهم ربّما خصى نفسه، فهو في هذا الموضع قد تقدم الروميَّ، فيما أظهر من حُسْن النيّة، وانتحل من الديانة والعبادة، بخصاء الولد التامّ، وبإدخاله النقص على النّسل، كما فعل ذلك أبو المبارك الصابئ. وما زال خلفاؤنا وملوكنا يبعثون إليه، ويسمعون منه، ويسمر عندهم، للّذي يجدونه عنده من الفهم والإفهام، وطُرَف الأخبار، ونوادر الكتب، وكان قد أربى على المائة، ولم أسمع قطّ بأغزل منه، وإن كان يصدق عن نفسه فما في الأرض أزنى منه.

٢ أرميت: زدت.

عاريات، إذا تقدم له ذلك مع طول التّرك، ألا يكون بقي معه من دواعيهن شيء؟! قلنا: صدقت. قال: وينبغي أن يكون لمن قد علم أنه محبوب، وأنّ سببه إلى خلاطهنّ محسوم، أن يكون اليأس من أمتن أسبابه إلى الزهد والسلوة، وإلى موت الخواطر. قلنا: صدقت. قال: وينبغي أن يكون من دعاه الزّهد في الدنيا، وفيما يحتويه النساء مع جمالهنّ وفتنة النّسّاك بهنّ، واتخاذ الأنبياء لهنّ، إلى أن خصى نفسه، ولم يكرهه عليه أب ولا عدوّ، ولا سباه سابٍ، أن يكون مقدار ذلك الزهد هو المقدار الذي يميت الذّكر لهنّ، ويسرّي عنه ألم فقد وجودهنّ، وينبغي لمن كان في إمكانه أن ينشئ العزم ويختار الإرادة التي يصير بها إلى قطع ذلك العضو الجامع لكبار اللذّات، وإلى ما فيه من الألم، ومع ما فيه من الخطر، وإلى ما فيه من المثلة والنّقص الداخل على الخلقة، أن تكون الوساوس في هذا الباب لا تعروه، والدواعي لا تقروه. قلنا: صدقت. قال: وينبغي لمن سخت نفسه عن السّكن وعن الولد، وعن أن يكون مذكوراً بالعقب الصالح، أن يكون قد نسي هذا الباب، إن كان قد مرّ منه على ذكر. هذا وأنتم تعلمون أنّي سملت عيني يوم خصيت نفسي، فقد نسيت كيفية الصّور وكيف تروع، وجهلت المراد منها، وكيف تراد، أفما كان من كان كذلك حريّاً أن تكون نفسه ساهية لاهية مشغولة بالباب الذي أحتمل له هذه المكاره؟! قلنا: صدقت. قال: أو لو لم أكن هرماً، ولم يكن ها هنا طول اجتناب، وكانت

الآلة قائمة أليس في أنّي لم أذق حيواناً منذ ثمانين سنة ولم تمتل عروقي من الشراب مخافة الزيادة في الشهوة والنقصان من العزم- أليس في ذلك ما يقطع الدواعي، ويسكن الحركة إن هاجت؟! قلنا: صدقت. قال: فإنّي بعد جميع ما وصفت لكم، لأسمع نغمة المرأة فأظنّ مرّة أنّ كبدي قد ذابت، وأظنّ مرّة أنها قد انصدعت، وأظنّ مرّة أنّ عقلي قد اختلس، وربّما اضطرب فؤادي عند ضحك إحداهنّ، حتّى أظنّ أنّه قد خرج من فمي، فكيف ألوم عليهنّ غيري؟!

فإن كان- حفظك الله تعالى- قد صدق على نفسه في تلك الحال، بعد أن اجتمعت فيه هذه الخصال، فما ظنّك بهذا قبل هذا الوقت بنحو ستّين سنة أو سبعين سنة؟! وما ظنّك به قبل الخصاء بساعة؟! وليس في الاستطاعة ولا في صفة الإمكان، أن يحتجز عن إرادة النساء، ومعه من الحاجة إليهنّ والشهوة لهنّ هذا المقدار! الله تعالى أرحم بخلقه، وأعدل على عباده، من أن يكلّفهم هجران شيء، قد وصله بقلوبهم هذا الوصل، وأكّده هذا التأكيد[1].

[1] قدم الجاحظ في كتابه الحيوان لهذا الخبر بقوله: حدّثني محمد بن عباد قال: سمعته يقول (يعني أبو المبارك) - وجرى ذكر النساء ومحلّهن من قلوب الرجال، حتّى زعموا أنّ الرجل كلما كان عليهن أحرص كان ذلك أدلّ على تمام الفحولة فيه، وكان أذهب له في الناحية التي هي في خلقته ومعناه وطبعه، إذ كان قد جعل رجلاً ولم يُجعل امرأةً...

قال رجل لابن سيرين: إذا خلوتُ بأهلي أتكلّم بكلام أستحي منه. قال: أفحشتْه اللّذة.

قال إسحاق بن إبراهيم الموصليّ: كان شُراعة بن الزّندبوذ[1] لا يأتي النساء، وكان يقال: إنه عِنِّينٌ؛ فقال:

قالوا شُراعةُ عِنّينٌ فقلتُ لهمْ اللّه يعلمُ أنّي غيرُ عِنّينِ

فإن ظننتمْ بيَ الظنَّ الذي زَعَموا فقرِّبوني إلى بيتِ ابن رامينِ[2]

وكان ابن رامين صاحب قِيانٍ، وكانت الزرقاء جاريته.

قال إسحاق: أنشدني ابن كُناسة[3]:

لقد كان فيها للأمانةِ موضعٌ وللكفِّ مرتادٌ وللعينِ منظرُ

قلت: ما بقي شيء. قال: فأين الموافقة![4]

---

[1] شُراعة بن عبيد بن الزندبوذ الفارسي: كانت فيه مجانة فارس وكان مولى لبني تيم الله بن ثعلبة، وكان أملح أهل الكوفة. انظر: كتاب المنمق لمحمد بن حبيب البغدادي. وسماه الجاحظ في كتابه المحاسن والأضداد: سراقة بن مرداس البارقي. والله أعلم.

[2] انظر: المحاسن والأضاد للجاحظ، وربيع الأبرار ونصوص الأخيار للزمخشري.

[3] البيت لقيس بن ذريح في لُبْنى من قصيدته التي مطلعها: أَرَى بَيْتَ لُبْنَى أَصْبَحَ اليَوْمَ يُهْجَرُ وهجرانُ لُبْنَى يا لكَ الخيرُ مُنكرُ

[4] في كتاب الزهرة لابن داود الظاهري: قال أبو العباس محمد بن يزيد النحوي: فقلنا له (لقيس) فما الَّذي بقي بعد ما وصفت؟ قال: بقيت الموافقة (يعني أنه برغم فراقه لبنى باق على عهدها).

قال الهيثم: قال لي صالح بن حسّان: مَنْ أفقهُ الناس؟ قلت: اختُلِفَ في ذلك. قال: أفقهُ الناس وضّاحُ اليمن حيث يقول:

إذا قلتُ هاتي نوِّليني تبسّمَتْ وقالتْ معاذَ اللّهِ من فعلِ ما حَرُمْ

فما ناوَلَتْ حتى تضرّعتُ عندَها وأنبأتُها ما رخَّصَ اللّهُ في اللَّمَمْ[1]

قال هشام بن عبد الملك للأبرش الكلبيّ: زوّجْني امرأة من كلب. فزوَّجه؛ فقال له ذات يوم يهزِل معه: وتزوَّجْنا إلى كلب فوجدنا في نسائهم سَعَة. فقال الأبرش: يا أمير المؤمنين، إن نساء كلبٍ خُلقن لرجال كلبٍ.

وسمع رجلٌ من كندة رجلاً يقول: وجدنا في نساء كندة سَعَةً؛ قال الكنديّ: إن نساء كندة مكاحِل فقدتْ مَراوِدَها.

تزوّج أعرابيّ امرأةً، فلما دخل بها عابَثَها فضرطتْ، فخرجت غضبى إلى أهلها، وقالت: لا أرجع حتى يفعل مثلَ ما فعلتُ؛ فقال لها: عودي لأفعل. فعادت ففعل؛ فبينما هو يداعبها إذ حبقتْ[2] أخرى؛ فقال الأعرابي:

طالَبْتِني دَيْناً فلم أَقْضِكِ واللّهِ حتى زِدْتِ في قَرْضِكِ

فلا تلوميني على مَطلِكِ إنْ كان ذا دأبُكِ لم أقضِكِ

---

[1] والله ليس قائل هذا أفقه الناس، بل أفجر الناس. وقد أحسن الكعبي في كتابه قبول الأخبار ومعرفة الرجال إذ بوب على هذا الخبر وأمثاله بقوله: باب ما رووه عن كثير منهم من الركاكة والسخف وقلة المعرفة مما نحن براء من أكثره وهم الذين رووه.

[2] الحبقة: الضرطة.

تزوّج رجلٌ أعرابيّة فعجز عنها؛ فقيل لها في ذلك، فقالت: نحن لنا صدوع في صَفاً، ليس لعاجزٍ فينا حظّ.

قال الهيثم عن ابن عياش: كانت صعبة أمّ طلحة بن عبيد اللّه من بنات فارس، تزوّجها أبو سفيان بن حربٍ فلم تزل به هندٌ حتى طلّقها، فتزوّج بها عبيد اللّه؛ وتتبّعتها نفس أبي سفيان فقال:

وإني وصَعْبَةَ فيما تَرَى بعيدانِ والوُدُّ وُدٌّ قريبْ
فإلّا يكنْ نَسَبٌ ثاقِبٌ فعندَ الفتاةِ جمالٌ وطِيبْ
لها عندَ سِرّي[1] بها نَخْرةٌ يزولُ بها يَذْبُلٌ أو عَسيبْ[2]
فيا لَقُصَيٍّ ألا فاعْجَبُوا فلِلوَبْرِ صار الغزالُ الربيبْ[3]

جلس أعرابيٌ إلى أعرابيّةٍ، وعلمت أنه إنما جلس إليها لينظر ابنتَها، فضربت بيدها على جنبِها وقالت[4]:

وما لَكَ منها غيرَ أنكَ ناكحٌ بعينيكَ عينيْها فهل ذاكَ نافعُ

---

[1] السِّر: الجماع.

[2] يذبل وعسيب: جبلان معروفان.

[3] الوَبْرُ: حيوانٌ من ذوات الحوافر في حجم الأَرنب، أَطحلُ اللون، قصيرُ الذَّنَب، يحرِّك فكَّه السُّفليَّ كأَنه يجترُّ، ويكثر في لُبنانَ. يعني أن هذا الغزال المليح صار من نصيب هذا الوبر القبيح.

[4] انظر: الحيوان للجاحظ.

وقال أيمن بن خُريم[1]:

لقيتُ من الغانياتِ العُجابا لو ادْرَكَ منّي العَذارى الشّبابا

ولكنَّ جمعَ العَذارى الحسانِ عناءٌ شديدٌ إذا المرءُ شابا

يُرَضْنَ بكلِّ عَصا رائضٍ ويُصْبِحنَ كلَّ غداةٍ صِعابا

علامَ يكحِّلنَ حُورَ العيونِ ويُحْدِثْنَ بعدَ الخِضابِ الخِضابا

ويَبْرُزْنَ إلا لما تعلمونَ فلا تَحْرِموا الغانياتِ الضِّرابا

إذا لم يخالَطْنَ كلَّ الخِلا طِ أصبحنَ مخْرَنْطِماتٍ[2] غِضابا

يُميتُ العِتابَ خِلاطُ[3] النساءِ ويُحيي اجتنابُ الخلاطِ العتابا[4]

---

[1] سبقت ترجمته، ولا بأس بإعادتها، قال ابن قتيبة في الشعر والشعراء: أيمن بن خريم بن فاتك، من بنى أسد. وكان أبوه قد صحب النبيّ صلى الله عليه وسلم وروى عنه أحاديث، وكان به برص، وكان أثيراً عند عبد العزيز بن مروان، فعتب عليه أيمن يوماً فقال له: أنت طِرف ملولة! فقال له: أنا ملولة وأنا أؤاكلك! فلحق ببشر بن مروان فأكرمه واختصّه.

[2] مخرنطمات: غاضبات.

[3] الخلاط: الجماع.

[4] قدم ابن عساكر لهذه الأبيات في تاريخ دمشق بمقدمة فقال: جاءت امرأة تخاصم زوجها إلى عبد الله بن تمام الكلاعي وهو يومئذ قاض لعبد الملك بن مروان، فذكرت أن زوجها لا يأتيها، فقضى لها بيوم من أربعة، فقال أيمن بن خريم بن فاتك الأسدي... الأبيات. وقال ابن عساكر بعدها: فكان عبد الملك يقول لأيمن: أنشدني شعرك في النساء، فإذا أنشده قال: ما عامل النساءَ معاملتك أحد قط، ولا أبصر منهن ما أبصر منهن على ما ذكرت.

واعد العرجيُّ امرأة من الطائف فجاء على حمار ومعه غلام، وجاءت المرأة على أتان ومعها جارية؛ فوثب العرجيُّ على المرأة، والغلام على الجارية، والحمار على الأتان؛ فقال العرجيّ: هذا يومٌ غاب عذّاله[1].

باب القيادة[2]

عن ابن أشوع: أنه سئل عن الواصلة فقال للسائل: إنك لمنقِّر، قالت عائشة رضي اللّه عنها: ليست الواصلةُ بالتي تَعنون، وما بأسٌ إذا كانت المرأةُ زعراء أن تَصِلَ شعرَها، ولكن الواصلةَ أن تكون بَغِيّاً في شبيبتها، فإذا أسنَّتْ وصَلَتْه بالقيادة[3].

---

[1] بل هو يوم حل عذابه.

[2] القيادة: من أقدم المهن في التاريخ، وهي الجمع بين الاثنين على الحرام، أي على الزنا أو اللواط أو المساحقة، ويقال لصاحبها قوّاد. وهذا الباب من أقبح الأبواب في كتب الأدب.

[3] علماء الحديث ومنهم أحمد بن حنبل، وعلماء التاريخ ومنهم الطبري ردوا هذه الرواية، قال أحمد بن حنبل لما ذُكر له ذلك: ما سمعت بأعجب من ذلك. أورد ذلك العقيلي في كتابه "الضعفاء"، في ترجمة (شملة بن هزال، راوي هذا الحديث عن ابن أشوع). ويؤكد ذلك ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لعن الله الواصلة والمستوصلة". ولعمري إن هذه الرواية لهي من سقطات ابن قتيبة الكثيرة في هذا الكتاب.

قالوا: كانت ظُلْمَة[1] التي يُضرب بها المثل في القيادة صبيةً في الكُتّاب، فكانت تضربُ دُوِيَّ الصبيانِ وأقلامَهم[2]، فلما شبَّتْ زنتْ، فلما أسنَّتْ قادتْ، فلما قعدتْ اشترت تيساً تنزِّيه على العَنْز.

وذكر المدائنيّ: أنّ رجلاً من السلطان كان لا يزال يأخذ قوّادة فيحبسها ثم يأتيه من يشفع فيها فيخرجها؛ فأمر صاحب شرطته فكتب في قصّتها[3]: فلانة القوّادة تجمع بين الرجال والنساء لا يَتَكلّمُ فيها إلا زانٍ؛ فكان إذا كُلِّم فيها قال: أخرِجوا قصّتَها، فإذا قرِئتْ قام الشفيعُ مستحيياً.

وقال جِران العَوْد[4]:

---

[1] جاء في مجمع الأمثال للميداني: (أَقْوَدُ مِنْ ظُلْمَةَ): هي امرأة من هزيل، وكانت فاجرة في شبابها حتى عجزت، ثم قادت حتى أقعدت، ثم اتخذت تَيْساً فكانت تطرقه الناس، فَسُئِلت عن ذلك، فَقَالت: إني أرتاح إلى نَبِيبه على ما بي من الهرم.

[2] تُدخل القلمَ في الدواة، تفعل بهما فعلاً مستقبَحاً.

[3] القصة: قطعة من قماش بيضاء، يكتب فيها.

[4] سبقت ترجمته. وهذه الأبيات يصف فيها القيادة، وهي من غزليته الطويلة التي مطلعها: (ذكرتُ الصِّبا فاهَلَّتْ العينُ تذرفُ ... وراجعكَ الشَّوقُ الذي كنتَ تعرفُ) وهي كاملة في أمالي المرزوقي، ومجتزأة في حماسة الخالديَيْن.

يُبَلِّغُهُنَّ الحاجَ كلُّ مُكاتَبٍ طويلُ العصا أو مُقْعَدٌ يَتَزَحَّفُ
ومكنونةٌ رمداءُ لا يَحْذَرونَها مكاتَبَةٌ تَرْمي الكِلابَ وتَحْذِفُ
رأتْ وَرِقاً بِيضاً فشدَّتْ حَزيمَها لها فهْي أمضى مِنْ سُلَيْكٍ وألطفُ[1]

وقال الفرزدق[2]:

يُبَلِّغُهُنَّ وحيَ القولِ منّي ويُدخِلُ رأسَهُ تحتَ القِرامِ[3]

وقال حُمَيد بن ثور[4]:

خَليلَيَّ إني مُشْتَكٍ ما أصابَني لتستيْقِنا ما قد لَقِيتُ وتَعْلَما
أَمِنْتُكما إنَّ الأمانةَ مَنْ يخنْ بها يَحْتملْ يوماً مِنَ اللهِ مأثَمَا
فلا تُفشِيا سِرّي ولا تَخْذُلا أخاً أَبَثَّكما منه الحديثَ المكَتَّمَا
لِتَتَّخِذا لي بارِكَ اللهُ فيكما إلى آلِ ليلى العامريَّةِ سُلَّما
وقُولا إذا جاوزتُما أرضَ عامرٍ وجاوزتُما الحَيَّينِ نَهْداً وخَثْعما

---

[1] ومعنى هذه الأبيات الثلاثة مع ما قبلها أن الشاعر يوصل رسائله إلى حبيباته مع عبيد مكاتَبين وإماء مكاتَبات، يركبون الأخطار في إيصال هذه الرسائل في سبيل تحصيل رضا سيِّدهم الذي أرسلهم بها.

[2] انظر: ديوانه، والشعر والشعراء.

[3] والمعنى أن من يوصل رسائله عبد يدخل إليهن في ستورهن من غير حرج.

[4] قدم الخالديان في حماستهما لهذه الأبيات بمقدمة فقالا: وقال حُميد بن ثور الهلالي ووجّه صاحبين له إلى عشيقته فأوصاهما وصيَّة ما فوقها زيادة، وعرَّفهما من التلطّف والحيَل أموراً ما أتى أحد بمثلها ولا قارب.

نزيعانِ من جَرْمِ بنِ ربّانَ[1] إنهم ... أَبَوا أن يُريقوا في الهزاهزِ مِحْجَما

وخُبًّا على نَضْوينِ مُكْتَفِلَيْهما ... ولا تحمِلا إلا زناداً وأسهُما

وزاداً غَريضاً خَفِّفاهُ عليكما ... ولا تُبديا سرّاً ولا تحمِلا دَما

وإن كان ليلٌ فالويا نسبَيكما ... وإن خِفْتُما أنْ تُعرفا فتلَثَّما

وقولا خَرَجْنا تاجِرَيْنِ فأبطأتْ ... ركابٌ تركْناها بتَثليثَ قُيَّما

ولو قد أتانا بَزُّنا ودَقيقُنا ... تموَّلَ منكمْ مَنْ رأيْناهُ مُعْدِما

ومُدّا لهم في السَّومِ حتى تَمَكَّنا ... ولا تَسْتَلِجّا صَفْقَ بيْعٍ فتُلْزَما

فإن أنتما اطمأنَنْتُما فأمِنْتُما ... وأجلبْتُما ما شِئتُما فتكلَّما

وقولا لها ما تأمرينَ بصاحبٍ ... لنا قد تركتِ القلبَ منه متيَّما

أبيني لنا إنّا رَحَلْنا مَطِيَّنا ... إليكِ وما نَرْجوهُ إلا تَلَوُّما

فجاءَا ولَمَّا يَقْضِيَا لِيَ حاجةً ... إليها ولَمَّا يُبْرِما الأمرَ مُبرَما

فما لهما من مرسَلَيْنِ لجاجةً ... أسَافا من المال التِلادِ وأَعْدَما

---

[1] علق الخالديان في الحماسةعلى هذه العبارة فقالا: أما قوله: " وقولا إذا وافيتُما " البيت، وقوله: " نزيعان " البيت بعده فمن طريف الهجاء ودقيقه وممضّه؛ وذلك أنَّه ذكر قوماً فقال: هم لا يقتُلون ولا يقتَلون فليس أحد من العرب يطلبهم بوتر ولا طائلة، فلذلك أمر صاحبيه بالانتساب إليهم لئلا يذكرا غيرهم من القبائل فيكون الَّذي يسألهما عن نسبهما يطلب تلك القبيلة التي ذكراها بطائلة فيقتلهما. وهذا من غريب الهجاء وبديعه.

وقال المأمون لرسول بعث به[1]:

بعثتُكَ مرتاداً ففزتَ بنظرةٍ ... وأخلفْتَني حتى أسأتُ بكَ الظَّنا
وناجيتَ من أهوى وكنتَ مقرَّباً ... فيا ليتَ شِعري عن دنوِّكَ ما أغنى
وردَّدْتَ طَرْفاً في محاسنِ وجهِها ... ومتَّعتَ باستسماعِ نغْمتِها أُذْنا
أرى أثراً منها بعينيْكَ لم يكن ... لقد سَرَقَتْ عيناكَ من حُسْنِها حُسْنا

وقال بعض المحدَثين[2]:

يا سوءَ منقَلَبِ الرّسو ... لِ مخبِّراً بخلافِ ظَنّي
إنّي أعيذُكَ أن تكو ... نَ شَغَلْتَني وشُغِلْتَ عَنّي

وقال زيد بن عمرو في أَمَتِه:

إذا طَمِثَتْ قادتْ وإنْ طَهُرَتْ زَنَتْ ... فهِي أبداً يُزْنَى بها وتَقُودُ

باب الزنا والفسوق

قال العُتبي: قيل لرجل في امرأته وكانت لا تردُّ يدَ لامسٍ: علامَ تحبسُها مع ما تعرف منها؟ فقال: إنها جميلة فلا تُفْرَك وأمُّ عيال فلا تُتْرَك.

---

[1] في تاريخ دمشق لابن عساكر قصة هذه الأبيات قال: كان المأمون يهوى جارية من جواريه يقال لها تشريف، فبعث إليها ليلة من الليالي خادماً يأمرها بالمصير إليه، فصار الخادم إليها فأمرها بذلك فقالت: لا والله لا أجيبه فإن كانت الحاجة له فليصر إليَّ، فلما استبطأ المأمون أنشأ يقول... الأبيات.

[2] انظر: رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة لأبي يعلى بن الفراء.

وقال بعض الأعراب:

أَلِمّا على دارٍ لَواسِعَةِ الحبلِ أَلوفٍ تُسَوِّي صالحَ القومِ بالرَّذْلِ

يبيتُ بها الحُدّاثُ حتى كأنمّا يَبِيتونَ منها في مراتعَ للنحْلِ

ولو شهدتْ حجّاجَ مكةَ كلّهمْ لراحُوا وكلُّ القومِ منها على وصلِ[1]

أنشد الفرزدق[2] لسليمان بن عبد الملك القصيدة التي يقول فيها:

ثلاثٌ واثنتانِ فهنّ خمسٌ وسادسةٌ تميل إلى شِمامِ

فبتْنَ بجانبيَّ مصرَّعاتٍ وبتُّ أفضُّ أغلاقَ الختامِ

كأن مفالقَ الرّمانِ فيها وجَمْرَ غَضىً قعدْنَ عليه حامي

فقال سليمان: أحللت نفسك يا فرزدق: أقررت عندي بالزنا وأنا إمامٌ، ولا بدّ لي من إقامة الحدّ عليك فقال: بم أوجبت ذلك عليّ يا أمير المؤمنين، فقال: بكتاب اللّه، قال: فإن كتاب اللّه يدرأ عنيّ، قال اللّه جلّ ثناؤه: "وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ" فأنا قلت ما لم أفعل.

---

[1] يعني أنها دار سيئة السمعة.

٢ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: هَلْ أَنْتُم عالِجُونَ بِنَا لَعَنَّا ... نَرىَ العَرَصَاتِ أَوْ أَثَرَ الْخِيَامِ

قيل لأبي الطَّمَحان القينيّ: خبِّرنا عن أدنى ذنوبك. قال: ليلة الدَّيْر. قالوا: وما ليلة الدَّيْر؟ قال: نزلت على دَيْرانية فأكلت طَفَيْشَلاً لها بلحم الخنزيرِ، وشربت من خمرها وزنيت بها وسرقت كساءها ومضيت.

وقال عمر بن أبي ربيعة[1]:

يقصِدُ الناسُ للطوافِ احتساباً وذنوبي مجموعةٌ في الطوافِ

وقال جريرٌ[2] في الفرزدق:

لقد ولدتْ أمُّ الفرزدق فاجراً فجاءتْ بوَزْوازٍ قصيرِ القوائمِ
يوصِّلُ حبليْهِ إذا جَنَّ ليلهُ ليرقى إلى جاراتِهِ بالسّلالمِ
وما كان جارٌ للفرزدقِ مسلمٌ لِيأْمَنَ قِرداً ليلُهُ غيرُ نائمِ
أتيتَ حدودَ اللّهِ إذ كنت يافعاً وشبتَ فما ينهاك شيبُ اللّهازمِ
تتبَّعُ في الماخورِ كلَّ مريبةٍ ولستَ بأهلِ المحصناتِ الكرائمِ
هو الرجسُ يأهلَ المدينةِ فاحذَروا مُداخِلَ رجْسٍ بالخبيثاتِ عالمِ
لقد كان إخراجُ الفرزدقِ عنكُمُ طهوراً لما بين المصلَّى وواقمِ
تدلّيتَ تزني من ثمانينَ قامةٍ وقصَّرتَ عن باعِ العلا والمكارمِ

---

[1] لم أجده في ديوانه.

[2] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: أَلا حَيِّ رَبعَ المنزِلِ المتَقادِمِ وَما حَلَّ مُذ حَلَّتْ بِهِ أُمُّ سالِمِ

وقال عمرو بن بحر: قرأ قارئ "قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ" إلى قوله تعالى: "ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ"، قال إسماعيل بن غزوان: لا واللّه ما سمعت بأغزل من هذه الفاسقة.

وسمع بكثرة مراودتها يوسف عنها فقال إسماعيل: أما واللّه بي تمرست.

بات أعرابيّ ضيفاً لبعض الحَضَر فرأى امرأةً فهمّ أن يخالف إليها في أولّ الليل فمنعه الكلب ثم أراد ذلك نصف الليل فمنعه ضوء القمر ثم أراد ذلك في السّحر فإذا عجوزٌ قائمة تصلّي، فقال[1]:

لم يخلقِ اللّهُ شيئاً كنت أكرهُهُ غيرَ العجوزِ وغيرَ الكلبِ والقمرِ

هذا نبوحٌ وهذا يُستضاءُ به وهذه شيخةٌ قوامةُ السَّحَرِ

قال المنصور عن أبيه محمد بن عليّ: حججتُ فرأيت امرأةً من كلبٍ شريفةً قد حجّت فرآها عمر بن أبي ربيعة فجعل يكلّمها ويتبعها كلَّ يومٍ، فقالت لزوجها ذات يوم: إني أحبّ أن أتوكأ عليك إذا رحت إلى المسجد. فراحت متوكئة على زوجها فلما أبصرها عمر ولّى فقالت: على رسلك يا فتى:

تعدو الذئابُ على من لا كلابَ له وتتّقي مربضَ المستأسدِ الحامي[2]

---

[1] انظر: المحاسن والأضداد للجاحظ.

[2] والبيت للنابغة الذبياني.

كان أبو ذؤيب يهوى امرأة من قومه، وكان رسوله إليها رجلاً يقال له خالد بن زهير، فخانه فيها، فقال أبو ذؤيب[1]:

تريدينَ كيما تجمعيني وخالداً وهل يُجمع السّيفانِ ويحكِ في غمدِ

أخالدُ ما راعيتَ منّي قرابةً فتحفظني بالغيبِ أو بعضَ ما تبدي

وكان أبو ذؤيب خان فيها ابنَ عمّ له يقال له: مالك بن عويمر، فأجابه خالدٌ:

ولا تعجبنْ من سيرةٍ أنتَ سرتَها وأوّلُ راضٍ سيرةً من يسيرُها

ألم تتنقّذها من ابن عويمرٍ وأنتَ صَفِيُّ نفسِهِ ووزيرُها

سألت امرأةٌ زوجها الحجّ فأذن لها وبعث معها أخاه، فلما انصرفا عنه سأله عنها، فقال:

وما علمتُ لها عَيْباً أُخَبِّرُهُ إلا اتّهامِيَ فيها صاحبَ الإبلِ

كنا نهاراً إذا ما السَّيرُ جَدَّ بنا يُغَيِّرانِ وما بالرَّحْلِ من مُثُلِ

ويخلُفونَ كثيراً في منازلِنا فلا نزالُ نرى آثارَ مغتَسَلِ

فاللّهُ أعلمُ ما كانت سرائرُهم واللّهُ أعلمُ بالنيّاتِ والعملِ

---

[1] قال أبو عبيد في كتابه الأمثال: ومن أمثالهم في قلى الاتفاق قولهم: "لا يجتمع السيفان في غمد"، ومنه قول أبي ذؤيب... الأبيات. وانظر: ديوان الهذليين.

قال رجلٌ للفرزدق: متى عهدك يا أبا فراسٍ بالزّنا؟ فقال: مذ ماتت العجوز[1].

رمي ببغداد في سوق يحيى قِمَطْرَةٌ فيها صبيٌ وتحته مضرَّبات حرير، وعند رأسه كيسٌ فيه مائة دينار ورقعةٌ فيها: هذا الشقيّ ابن الشقيّة، ابن السِّكباح والقليّة، ابن القَدَح والرّطلية؛ رحم اللّه من اشترى له بهذا الذهب جاريةً تربيه. وفي آخر الرّقعة: هذا جزاء من عضل ابنته[2].

ذكر أعرابيّ رجلاً ماجناً فقال: لو أبصرت فلاناً العيدانُ لتحرّكتْ أوتارُها، ولو رأته مومسة لسقط خمارُها.

قال بعض الأعراب[3]:

ماذا يُظَنُّ بليلى إذ ألـمَّ بها مرجَّلُ الرأسِ ذو بُرْدينِ مزّاحُ

حلوٌ فكاهتُهُ خَزٌّ عِمامتُهُ في كفِّهِ من رُقى إبليسَ[4] مِفتاحُ

ذمّ أعرابيّ رجلاً ماجناً فقال: هو أكثر ذنوباً من الدّهر[5]، تفد إليه مواكب الضّلالة، وترجع من عنده ببدور[6] الآثام.

---

[1] وهو كلام لا يجوز.

[2] عضل ابنته: منعها من الزواج، قال تعالى: (فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ).

[3] انظر: العقد الفريد لابن عبد ربه.

[4] يقال للشِّعر: رُقى إبليس. انظر: ربيع الأبرار ونصوص الأخيار للزمخشري.

[5] انظر: متخير الألفاظ لابن فارس.

[6] بدور: جمع بدرة، وهو الكيس الذي يوضع في المال.

وذكر آخر قوماً فقال: هم أقل الناس إلى أعدائهم، وأكثرهم تجرّماً على أصدقائهم، يصومون عن المعروف، ويفطرون على الفحشاء.

قال الأصمعيّ: قلت لأمَةٍ ظريفة: هل في يديك عملٌ؟ قالت: لا! ولكن في رِجْليّ.

قالت جوارٍ من القيان لأبي نواس: ليتنا يا أبا نواس بناتك! فقال أبو نواس: نعم، ونحن على المجوسية[1].

قال أبو المهند[2]:

وأفجرُ من راهبٍ يَدَّعي بأنَّ النساءَ عليه حَرامْ
يحرِّمُ بيضاءَ ممكورةً ويُغنيهِ في البَضْعِ عنها الغُلامْ
إذا ما مَشى غَضَّ من طَرْفِهِ وفي اللّيلِ بالدَّيْرِ منه عُرامْ
ودَيْرُ العَذارى فَضوحٌ له وعند اللّصوصِ حديثُ الأنامْ

---

[1] انظر: العقد الفريد.

٢ قال ياقوت الحموي في معجم البلدان: وحدّث الجاحظ في كتاب المعلّمين قال: حدثني ابن فرج الثعلبي أن فتياناً من بني ملّاص من ثعلبة أرادوا القطع على مال يمرّ بهم قرب دير العذارى فجاءهم من خبّرهم أن السلطان قد علم بهم وأن الخيل قد أقبلت تريدهم فاستخفوا في دير العذارى فلما حصلوا فيه سمعوا أصوات حوافر الخيل التي تطلبهم وهي راجعة من الطلب فأمنوا فقال بعضهم لبعض: ما الذي يمنعكم أن تأخذوا القسّ وتشدّوه وثاقاً ثم يخلو كل واحد منكم بواحدة من هذه الأبكار فإذا طلع الفجر تفرّقنا في البلاد، وكنا جماعة بعدد الأبكار اللواتي كنّ أبكاراً في حسابنا، ففعلنا ما اجتمعنا عليه فوجدنا كلّهنّ ثيّبات قد فرغ منهنّ القسّ قبلنا، فقال بعضنا... الأبيات.

هؤلاء اللصوص نزلوا دير العذارى ليلاً، فأخذوا القَسّ فشدّوه وثاقاً، ثم أخذ كلُّ رجل منهم جاريةً،، فوجدوهنّ مفتضّاتٍ قد افتضهنّ القَسّ كلّهنّ.

قال سهل بن هارون[1]:

إذا نزل المخنَّثُ في رِباعٍ تحرّكَ كلُّ ذي خَنَثٍ إليهِ

وصارتْ دورُهم مأوى الخَبايا وصار الرَّبْعُ مدلولاً عليهِ

وقال آخر[2]:

أقول لها لما أتتْني تدلُّني على امرأةٍ موصوفةٍ بجمالِ

أصبتِ لها واللّهِ زوجاً كما اشتَهَتْ إنِ اغتفرتْ فيه ثلاثَ خصالِ

فمنهنّ فِسْقٌ لا يُنادى ولِيدُهُ[3] ورِقّةُ إسلامٍ وقِلّةُ مالِ

---

[1] سهل بن هارون: مترجم وفيلسوف وأديب. ولد قرب البصرة في أسرة فارسية الأصل ونشأ فيها وفي بغداد، ثم خدم يحيى البرمكي، وخلفه على ديوان بغداد بعد قتله. ولي مكتبة المأمون، ثم بيت الحكمة البغدادية. وهو أديب وقصاص وشاعر.

[2] قيل هو أبو نواس. وقال ابن عبد ربه في كتابه طبائع النساء: وَعَن الأصمعى قَالَ قَالَ أَبُو مُوسَى: جَاءَت امْرَأَة إِلَى رجل تدله على امْرَأَة يَتَزَوَّجهَا فَقَالَ... الأبيات.

[3] يعني فسق عظيم بلغ الغاية، قال الميداني في الأمثال: (هُم في أَمْرٍ لاَ يُنَادَى وَلِيدُهُ) قَالَ أبو عبيد: معناه أمر عظيم لاَ ينادى فيه الصغار، وإنما يُدْعَى فيه الكهول والكبار، وقَالَ الفراء: هذه لفظة تستعملها العرب إذا أرادت الغاية في الخير والشر.

قال الأصمعيّ: دخلت على ابن روح بن حاتم المهلّبيّ وحضر الإذن وهو عاكفٌ على غلام، فقلت له: عمدت إلى الموضع الذي كان أبوك يضرب فيه الأعناق ويعطي فيه اللّهى[1]، وتركب فيه ما تركب! فقال[2]:

ورثْنا المجدَ عن آباءِ صِدْقٍ أَسَأْنا في ديارِهِمُ الصَّنيعا
إذا الحَسَبُ الرفيعُ تواكلتْهُ بناتُ السّوءِ يوشِكُ أنْ يَضيعا

باب مساوئ النساء

عن وهب بن منبّه قال: عاقب اللّه المرأة بعشر خصال: شدّة النّفاس، وبالحيض، وبالنجاسة في بطنها وفرجها، وجعل ميراث امرأتين ميراث رجل واحد، وشهادة امرأتين كشهادة رجل، وجعلها ناقصة العقل والدّين لا تصلي أيام حيضها، ولا يسلَّم على النساء، وليس عليهنّ جمعة ولا جماعةٌ، ولا يكون منهنّ نبيّ، ولا تسافر إلا بوليّ.

وكان يقال: ما نُهِيتْ امرأةٌ قطّ عن شيء إلا أتته.

---

[1] أَلْهَى الرَّجُلُ: أعْطَى، أجْزَلَ العَطَايَا بِسَخَاءٍ.

[2] البيتان لمعن بن أوس في الأغاني. وقال الراغب الأصفهاني في محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء: قال الأصمعي رحمه الله: دخلتُ خضراءَ روح بن زنباع فإذا أنا برجل من ولده يُفسَق به في موضع كان أبوه يهب فيه المال ويضرب فيه أعناق الرجال، فقلت يا فضيحة! هذا موضع كان أبوك يهب فيه، فأنشد... الأبيات. واختلاف رواية الراغب عن رواية ابن قتيبة في النقل عن الأصمعي يدل على أن بضاعة رواة الأخبار في كتب الأدب مزجاة.

وقال طفيل[1] في هذا المعنى:

إن النساءَ كأشجارٍ نبتْنَ معاً منها الْمُرارُ وبعضُ المرِّ مأكولُ

إنّ النساءَ متى يُنهَيْنَ عن خُلُقٍ فإنّه واقعٌ لا بدَّ مفعولُ

عن رجاء بن حيوة قال: قال معاذ[2]: إنكم ابتليتم بفتنة الضّرّاء فصبرتم، وإني أخاف عليكم فتنة السّرّاء، وإن من أشدّ من ذلكم عندي النساء، إذا تحلّين الذّهب ولبسن ريط الشام وعصب اليمن، فأتعبن الغنيّ، وكلّفن الفقير ما لا يجد[3].

قال بعض الشعراء[4]:

تمتّعْ بها ما ساعَفَتْكَ ولا تكن عليكَ شَجاً يؤذيكَ حين تَبينُ

وإن هي أعطتْكَ اللّيانَ فإنّها لغيرِكَ من خِلاّنها ستلينُ

وإن حلفتْ لا ينقضُ النأيُ عهدَها فليس لمخضوبِ البَنانِ يمينُ

---

[1] هو طفيل الغنوي. انظر: البيان والتبيين للجاحظ.

[2] معاذ بن جبل الصحابي الجليل.

[3] انظر: كتاب اللطائف والظرائف للثعالبي، والعقد الفريد، وطبائع النساء لابن عبد ربه، والزهد والرقائق لابن المبارك.

[4] هو قيس بن ذريح. انظر: الحماسة البصرية، وشرح الحماسة للتبريزي، وشرح الحماسة للفارسي.

قال أبو عليّ الأمويّ: كانت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل، عند عبد اللّه بن أبي بكر الصدّيق رضي اللّه عنه، وكانت قد غلبته في كثيرٍ من أمره؛ فقال له أبوه: طلّقها. فطلّقها[1] وأنشأ يقول:

لها خُلُقٌ سَهْلٌ وحُسْنٌ ومنصبٌ وخَلْقٌ سويٌّ ما يُعاب ومنطقُ

فرُميَ يومَ الطائف بسهم؛ فلما مات قالت ترثيه:

وآليتُ لا تنفكُّ عيني سخينةً عليكَ ولا ينفكُّ جلديَ أغبرا

فللّهِ عينٌ ما رأتْ مثلَهُ فتىً أعزَّ وأحمى في الهياجِ وأصبرا

إذا شرعتْ فيه الأسنّةُ خاضَها إلى الموت حتى يتركَ الرّمحَ أحمرا

---

[1] قال الجاحظ في المحاسن والأضداد: وذكروا أن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه كانت عنده عاتكة بنت زيد بن نفيل فأحبها حباً شديداً فأمره أبوها بفراقها وأن يطلقها تطليقة واحدة، ففعل ثم ندم على فعله فقال:

فلم أر مثلي طلق اليوم مثلها ... ولا مثلها في غير جرمٍ تطلقُ

لها خلقٌ سهلٌ وحسنٌ ومنصبٌ ... وخلقٌ سويٌّ ما يعاب ومنطقُ

أعاتك قلبي كل يومٍ وليلةٍ ... إليك بما تخفي القلوب معلقُ

أعاتك ما أنساك ماذر شارقٌ ... وما لاح نجمٌ في السماء محلقُ

فسمع أبو بكر ذلك فرق له، وأمره بمراجعتها.

ثم خطبها عمر بن الخطّاب، فلما أولم قال عبد الرحمن بن أبي بكر: يا أمير المؤمنين أتأذن لي أن أدخل رأسي على عاتكة؟ قال: نعم، يا عاتكة استتري. فأدخل رأسه فقال:

وآليتُ لا تنفكُّ عيني قريرةً عليكَ ولا ينفكُّ جلديَ أغبرا

فنشجت نشجاً عالياً؛ فقال عمر: ما أردتَ إلى هذا! كلّ النساء يفعلن هذا! غفر اللّه لك. ثم تزوّجها الزّبير بعد عمر وقد خلا من سنّها، فكانت تخرج باللّيل إلى المسجد ولها عجيزةٌ ضخمة؛ فقال لها الزّبير: لا تخرجي؛ فقالت: لا أزال أخرج أو تمنعني. وكان يكره أن يمنعها، لقول النبيّ صلى اللّه عليه وسلم: "لا تمنعوا إماء اللّه مساجد اللّه"[1]، فقعد لها الزّبير متنكراً في ظلمة اللّيل، فلما مرّت به قرص عجيزتها؛ فكانت لا تخرج بعد ذلك؛ فقال لها: ما لك لا تخرجين؟ فقالت: كنت أخرج والناس ناسٌ، وقد فسد الناس فبَيْتي أوسع لي[2].

قال المدائنيّ: احتُضر رجلٌ من العرب وله ابن يدبّ بين يديه؛ وأم الصّبيّ جالسةٌ عند رأسه؛ واسم الصبيّ مَعْمَر فقال:

وإنّي لأخشى أن أموتَ فتَنْكِحي ويُقْذَفُ في أيدي المراضعِ مَعْمَرُ

---

[1] الحديث: لا تَمْنَعُوا إماءَ اللهِ مساجِدَ اللهِ، ولَكِنْ لِيَخْرُجْنَ وهنَّ تَفِلاتٌ. رواه أبو هريرة وصححه الألباني.

[2] انظر: ربيع الأبرار للزمخشري، وخزانة الأدب للبغدادي.

وتُرخى ستورٌ دونَهُ وقلائدٌ ويشغلُكُمْ عنه خَلوقٌ ومِجْمَرُ

فما لبث أن مات، ثم تزوّجت، ثم صار معمرٌ إلى ما ذَكَر.

عن الحسن: أنّ شابّين كانا متآخيين على عهد عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه، فأغزى أحدهما، فأوصى أخاه بأهله؛ فانطلق في ليلةٍ ذات ريح وظلمةٍ إلى أهل أخيه يتعهّدهم، فإذا سراجٌ في البيت يَزْهَر، وإذا يهوديٌّ في البيت مع أهله وهو يقول:

وأشعثَ غرَّهُ الإسلامُ منّي خلوتُ بعِرْسِهِ[1] ليلَ التِّمامِ

أبيتُ على ترائبِها وأضحى على جرداءَ لاحقةِ الحزامِ

كأنّ مجامعَ الرَّبَلاتِ[2] منها فئامٌ ينهضونَ إلى فئامِ

فرجع الشابّ إلى أهله، فاشتمل السيف حتى دخل على أهل أخيه فقتله ثم جرّه وألقاه في الطريق؛ فأصبح اليهود وصاحبهم قتيلٌ لا يدرون من قتله، فأتوا عمر بن الخطاب فدخلوا عليه وذكروا ذلك له، فنادى عمر في الناسّ: الصلاة جامعةً، فاجتمع الناس فصعد المنبر فحمد اللّه وأثنى عليه، ثم قال:

---

[1] العرس: الزوجة.

[2] الرّبلات: أصول الأفخاذ. (لسان العرب).

أنشد اللّه رجلاً علم مِنْ هذا القتيل عِلماً إلا أخبرني به. فقام الشابّ فأنشده الشعر وأخبره خبره؛ فقال عمر: لا يقطع اللّهُ يدَك، وهَدَرَ دَمَه[1].

كان ابن عباس يقول: مثل المرأة السّوء: كان قبلكم رجلٌ صالح له امرأة سوءٍ فعرض له رجل فقال: إني رسول اللّه إليك بأنّه قد جعل لك ثلاث دعوات فسل ما شئت من دنيا أو آخرة ثم نهض. فرجع الرجل إلى منزله؛ فقالت له امرأته: ما لي أراك مفكراً محزوناً؟ فأخبرها؛ فقالت: ألست امرأتك وفي صحبتك وبناتُك منيّ! فاجعل لي دعوة. فأبى، فأقبل عليه ولده وقلن: أُمَّنا، فلم يزلن به حتى قال: لكِ دعوةٌ؛ فقالت: اللهم اجعلني أحسن الناس وجهاً. فصارت كذلك، وجعلت توطئ فراشها وهو يعظها فلا تتّعظ، فغضب يوماً فقال: اللهمّ اجعلها خنزيرةً فتحوّلت كذلك؛ فلما رأين بناته ما نزل بأمِّهن بكين وضربن وجوههن ونتفن شعورهن، فرّق لهن قلبه فقال: اللّهم أعدها كما كانت أولاً؛ فذهبت دعواته الثلاث فيها[2].

---

[1] انظر: كتاب محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابن المبرد، وفي هامشه: والأثر في ابن أبي شيبة: المصنف ٤٠٤/٩، وفيه انقطاع بين الشعبي وعمر، الشعبي لم يدرك خلافة عمر، ولم يصرح بمن روى عنه.

[2] انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر. والقصة عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى: (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها) قال هو رجل كان في بني إسرائيل أعطي ثلاث دعوات... القصة.

قال عبد اللّه بن عكرمة: دخلت على عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزوميّ أعوده، فقلت: كيف تجدك؟ فقال: أجدني واللّهِ للموتِ، وما موتي بأشدّ عليّ من تمتّع أمّ هشام، أخاف أن تتزوّج - يعني امرأته - . فحلفتْ له وآلتْ ألا تتزوّج بعده، فغشِيَ وجهَه نورٌ، ثم قال: شأن الموت أن ينزل متى شاء. ثم مات. فتزوّجت بعمر بن عبد العزيز؛ فقلت:

فإن لقِيَتْ خيراً فلا يَهْنِئَنَّها وإن تعِسَتْ فلليدينِ وللفمِ

فبلغها، فكتبت إليّ: قد بلغني بيتك الذي تمثّلت به، وما مثلي ومثل أخيك إلاّ كما قال الشاعر:

وهل كنتُ إلا والهاً ذاتَ ترحةٍ قضتْ نحبَها بعد الحنينِ المرجَّعِ
متى تسلُ عنه تدَّكِرْ بعدَ طِيّةٍ من الأرضِ أو تقنعْ بإلفٍ فتربعِ
فدعْ عنكَ من قد وارتِ الأرضُ شخصَهُ وفي غيرِ من قد وارتِ الأرضُ فاطمعِ[1]

فبلغ ذلك منّي كلّ غيظٍ، واحتسبتُ حسابها، وإذا هي قد أعجلتْ عدَّتها، وقد بقي عليها أربعةُ أيّام، فدخلتُ على عمر فأخبرتُه بذلك، فنُقِض النّكاحُ وعُزِلَ عمرُ عن المدينة[2].

---

[1] في أمالي الزجاجي: " أخبرنَا ": أَبُو إِسْحَاق الزجَّاج قَالَ أخبرنَا أَبُو الْعَبَّاس المبردُّ قَالَ حدثَّ الْمَدَائِنِي عَنِ الْعجْلَانِي عَن إِسْمَاعِيل بْن يسارٍ قَالَ: مَاتَ ابنٌ لارطاةِ بْن سهية المريِّ فَلَزِمَ قَبره حولا يَأْتِيهِ بالغداةِ فيقف عَلَيْهِ فَيَقُول: أَي عَمْرو هَل أَنْت رائحٌ معي إِن أَقمت عَلَيْك إِلَى العشيِّ، ثمَّ يَأْتِيهِ بالمساء فَيَقُول مثل ذَلِك... ثمَّ انْصَرف عَن قَبره وَأَنْشَأَ... الأبيات.

[2] انظر هذه القصة بتمامها في تاريخ دمشق لابن عساكر، ومرآة الزمان في تواريخ الأعيان

كان صخر بن الشّريد أخو الخنساء خرج في غزوةٍ فقاتل فيها قتالاً شديداً فأصابه جرحٌ رغيبٌ، فمرض فطال مرضه وعاده قومه، فقال عائدٌ من عوّاده يوماً لامرأته سلمى: كيف أصبح صخرٌ اليوم؟ قالت: لا حيًّا فيرجى ولا ميتاً فيُنسى. فسمع صخرٌ كلامها فشقّ عليه، وقال لها: أنت القائلة كذا وكذا؟ قالت: نعم غير معتذرةٍ إليك. ثم قال عائدٌ آخر لأمّه: كيف أصبح صخرٌ اليوم؟ فقالت: أصبح بحمد اللّه صالحاً ولا يزال بحمد اللّه بخيرٍ ما رأينا سواده بيننا. فقال صخر:

أرى أمَّ صخرٍ ما تملُّ عيادتى ومَلَّتْ سُليمى مضجعى ومكاني
وما كنتُ أخشى أن أكونَ جِنازةً عليكِ ومن يغترَّ بالحدثانِ
فأيُّ امرئٍ ساوى بأمٍّ حليلةً فلا عاش إلاّ في أذىً وهوانِ
أهمُّ بأمرِ الحزمِ لو أستطيعُهُ وقد حيل بين العَيْر والنَّزَوانِ
لعمري لقد أنبهتُ من كان نائماً وأسمعتُ من كانت له أذنانِ

فلما أفاق عمد إلى سلمى فعلّقها بعمود الفسطاط حتى فاضت نفسها، ثم نكس من طعنته فمات[1].

وقرأت في سِيَر العَجَم أنّ أردشير سار إلى الحَضْر[2]، وكان ملك السّواد متحصناً فيها، وكان من أعظم ملوك الطوائف، فحاصره فيها زماناً لا يجد

لسبط ابن الجوزي.

[1] انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة، والحماسة البصرية، وخزانة الأدب للبغدادي.

[2] الحضر: مدينة بالعراق.

إليه سبيلاً، حتى رقيت ابنة ملك السّواد يوماً، فرأت أردشير فعشقته فنزلت وأخذت نشابةً وكتبت عليها: إن أنت شرطت لي أن تتزوّجني دللتك على موضع تفتتح منه هذه المدينة بأيسر حيلةٍ وأخفّ مؤونةٍ. ثم رمت بالنشّابة نحو أردشير؛ فكتب الجواب في نشّابةٍ: لك الوفاء بما سألت. ثم ألقاه إليها؛ فكتبت إليه تدلّه على الموضع؛ فأرسل إليه أردشير فافتتحه ودخل هو وجنوده، وأهل المدينة غارّون، فقتلوا ملكها وأكثر مقاتلتها وتزوّجها؛ فبينما هي ذات ليلةٍ على فراشه أنكرت مكانها حتى سهرت لذلك عامّة ليلتها، فنظروا في الفراش فوجدوا تحت الْمِحْبَس ورقةً من ورق الآس قد أثّرت في جلدها، فسألها أردشير عند ذلك عما كان أبوها يغذوها به؛ فقالت: كان أكثر غذائي الشهد والزّبد والمخّ. فقال أردشير: ما أحدٌ ببالغٍ لك في الحِباء والإكرام مبلغ أبيك، ولئن كان جزاؤه عندك على جهد إحسانه مع لطف قرابته وعظم حقّه جهد إساءتك، ما أنا بآمنَ لمثله منك. ثم أمر بأن تعقد قرونها بذَنَب فرسٍ شديد الْمِراح جموحٍ ثم يُجرى؛ ففعل ذلك حتى تساقطت عضواً عضواً[1].

قال العتبي: سمعت أبي يحدّث عن ناسٍ من أهل الشأم: أن أخوين كان لأحدهما زوجة وكان يغيب ويخلفه الآخر في أهله، فهويته امرأة الغائب، فأرادته على نفسها فامتع؛ فلما قدم أخوه سألها عن حالها، فقالت: ما

[1] انظر: المعارف لابن قتيبة، والبلدان لابن الفقيه.

حال امرأة تراوَد في كلّ حينٍ! فقال: أخي وابن أميّ! وإني لا أفضحه! ولكن للّه عليَّ ألا أكلِّمه أبداً. ثم حجَّ وحجَّ أخوه والمرأة، فلما كانوا بوادي الدَّوْم هلك الأخ ودفنوه وقضوا حجّهم ورجعوا؛ فمرّوا بذلك الوادي ليلاً فسمعوا هاتفاً يقول:

أَجِدَّكَ تَمضي الدَّوْمَ ليلاً ولا تَرى عليك لأهلِ الدَّوْمِ أن تتكلَّما

وبالدَّوْمِ ثاوٍ لو ثويتُ مكانَهُ ومَرَّ بوادي الدَّوْمِ حيّاً لسلَّما

فظنتّ المرأة أنّ النداء من السماء، فقالت لزوجها: هذا مقام العائذ، كان من أخيك ومنيّ كيت وكيت. فقال: واللّه لو حلّ قتلك لوجدتني سريعاً. ففارقها وضرب خيمةً على قبر أخيه وقال:

هجرتُكَ في طولِ الحياةِ وأبتغي كلامَكَ لما صرْتَ رمْساً وأعظُما

ذكرتُ ذنوباً فيكَ كنتُ اجترمتُها أنا منكَ فيها كنتُ أسْوا وأظلَما

ولم يزل مقيماً حتى مات ودفن بجنب أخيه، فالقبران معروفان[1].

وقال الأخطل[2]:

المهدياتُ لمن هوين مسبةً والمحسناتُ لمن قلين مقالا

---

[1] انظر: اعتلال القلوب للخرائطي، والممتع في صنعة الشعر للنهشلي القيرواني، وهواتف الجان لابن أبي الدنيا.

[2] انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة، والعروض لابن جني، والقسطاس في العروض للزمخشري، والعقد الفريد لابن عبد ربه.

يرعين عهدَك ما رأينك شاهداً وإذا مَذِلْتَ يكنّ عنك مذالا

وإذا وعدنك نائلاً أخلفنه ووجدت دون عداتهن مطالا

وإذا دعونَكَ عمَّهُنَّ فإنّهُ نَسَبٌ يزيدُكَ عندَهُنَّ خَبالاً

عن يحيى بن طفيلٍ الجشميّ قال: كان عند رجلٍ من قريش امرأة يحبّها، فسافر عنها، فقالت له: أشيِّعُك، فشيعته ثلاث مراحل؛ فلما مضى قالت لخادمها: ناولني بعرةً وروثةً وحصاةً. فناولها، فألقت الروثة وقالت: راث خبرك؛ وألقت البعرة وقالت: وعر سفرك؛ وألقت الحصاة وقالت: حصّ أثرك. فسمعها رجل على الماء فلحقه، فقال له: ما هذه منك؟ قال: امرأتي وأعزّ الناس إليَّ. فأخبره بالخبر، فقام على الماء، فلما أمسى أقبل نحو منزله فوجد معها رجلاً، فقتلهما جميعاً.

باب الولادة والولد

خاصمت أمّ عوفٍ- امرأة أبي الأسود الدؤلي- أبا الأسود عند زياد في ولدِهما قبل أن تضعه، فقال أبو الأسود: أنا أحق به منه؛ حملتُه قبل أن تحمله، ووضعتُه قبل أن تضعه. فقالت أمّ عوفٍ: وضعتَه شهوةً ووضعتُه كُرهاً، وحملتَه خِفاً وحملتُه ثِقلاً. فقال زياد: صدقتِ، أنتِ أحقُّ به فدفعه إليها[1].

[1] في كتاب آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني رواية أخرى لهذه القصة قال: احتكم إلى الملك عمليق رجل وامرأة في مولود بينهما، فقال الزوج واسمه قابس: أيها الملك أعطيتها المهر كاملاً ولم

أنشدنا الرّياشي[1]:

غَلَبَتْ أُمُّهُ أباه عليهِ فهْو كالكابُليِّ أشبَهَ خالَهْ[2]

وقال آخر[3]:

واللّهِ ما أشبَهَني عِصامُ لا خُلُقٌ منه ولا قَوامُ

أصب منها طائلاً إلا ولداً جاهلاً، فافعل ما كنت فاعلاً! فقالت الزوجة واسمها هزيلة: أيها الملك هذا ولدي حملته تسعاً ووضعته دفعاً وأرضعته شبعاً، ولم أنل منه نفعاً، حتى إذا تمت فصاله واشتدت أوصاله أراد زوجي أخذه كرها وتركي ولهى! فقال الزوج: إني حملته قبل أن تحمله وكفلت أمه قبل أن تكفله! فقالت الزوجة: إنه أيها الملك حمله خِفاً وأنا حملته ثِقلاً، ووضعه شهوةً وأنا وضعته كُرهاً! فلما رأى الملك متانة حجتها تحير، ورأى أن يجعل الغلام في جملة غلمانه حتى يتبين له الرأي فيه، فقالت له هزيلة:

أتينا أخا طسمٍ ليحكم بيننا ... فأظهر حكماً في هزيلة ظالما

ندمتَ ولم أندم وإنّي بعثرتي ... وأصبح بعلي في الحكومة نادما

فلما سمع عمليق ذلك غضب على نساء جديس، وأمر ألا تزوج بكر من نساء جديس حتى تدخل عليه فيكون هو مفترعها! فلقوا من ذلك ذلاً.

[1] البيت لابن قيس الرقيات، في زياد بن عمرو العتكي، قاله المبرد في الكامل.

[2] في هامش تحقيق الكامل قال أبو الفضل إبراهيم نقلاً عن المرصفي: يريد أن شهوة أمه سبقت شهوة أبيه فسرت أعراقها فيه، فلم يشبه أباه في صلابة عوده ونجابته.

والكابُلي: منسوب إلي مدينة كابُل.

[3] هو الشاعر خطام الكلب الفزاري: بجير بن رزام الفزاري. شاعر جاهلي، يكنى خطام الكلب وهو من بني ذبيان. له شعر في كتاب شعراء قبيلة ذبيان في الجاهلية. انظر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي، والمؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء للآمدي، أبو القاسم.

نمتُ وعِرْقُ الخالِ لا ينامُ

وقال بعض بني أسدٍ – والقيافة فيهم: لا يخطئ الرجل من أبيه خَلَّةً من ثلاثٍ: رأسه أو صوته أو مشيته.

قيل لرجل: ما أشبه ولدك بك! قال: من تُرِكَ وأهلَه أشبهه ولدُه.

قال رجل للجمّاز: ولدت امرأتي لستة أشهر؛ فقال الجمّاز: كان أبوها ضارباً.

عيّرت نَوَار– امرأةُ الفرزدق– الفرزدقَ بأنه لا ولدَ له[1]؛ فقال الفرزدق:

وقالت أراهُ واحداً لا أخَا له يؤمِّلُهُ في الوارثينَ الأباعدُ

لعلّك يوماً أن تَرَيْني كأنما بَنِيَّ حواليَّ الأسودُ الحوارِدُ[2]

فإنَّ تميماً[3] قبلَ أن يَلِدَ الحَصى[4] أقام زماناً وهو في الناسِ واحدُ[1]

---

[1] قال ابن قتيبة في الشعر والشعراء: ومكث الفرزدق زماناً لا يولد له، فعيّرته امرأته النّوار بذلك... فوُلِد له بعد ذلك لَبَطَة وسَبَطَة وخَبَطَة وزَكَضَة من النّوار، وزُمْعة ، وليس لواحد من ولده عقب إلا من النساء.

[2] الحوارد: الغِضاب، يقال «حرد الرجل فهو حَرِد وحارد» إذا اغتاظ فتحرش بالذى غاظه وهم به. ومنه قيل «أسد حارد وليوث حوارد».

[3] هو تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ينسب إليه قبيلة تميم أكثر قبائل العدنانية عدداً.

[4] قيل إن أولاد تميم كانوا بعدد الحصى لكثرتهم، وفي ذلك قال الشاعر في بني سعد بن تميم: (يزيدُ بنو سعدٍ على عددِ الحصى ... وأثقلُ مِن وزنِ الجبالِ حلومُها).

فولد بعد ذلك ولده: سَبَطَة ولَبَطَة وحَبَطَة[2] وغيرهم.

بلغني عن الزّياديّ قال: كنت مئناثاً[3]، فقيل لي: استغفرْ إذا جامعْتَ، فوُلِد لي بضعة عشر ذكراً.

عن ابن عبّاس قال: مرّ عيسى عليه السلام على بقرة قد اعترض ولدُها في بطنها؛ فقالت: يا كلمة الله، ادع الله أن يخلّصني؛ فقال: يا خالق النّفس من النفس ويا مخرج النفس من النفس خلّصها؛ فألقت ما في بطنها. فإذا عسر على المرأة ولادتها فليُكتب لها: باسم الله، لا إله إلّا هو الكريم، سبحان الله ربّ العرش العظيم، والحمد لله ربّ العالمين، (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحاها)، (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ ما يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا ساعَةً مِنْ نَهارٍ).

باب الطّلاق

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «إنّ أبغض الحلال إلى الله الطّلاق»[4].

---

[1] الأبيات للفرزدق في ديوانه ١٧٢، ١/١٤٦ (طبعة دار صادر)، ولابن عنقاء الفزاري في معجم الشعراء ١٩٩، ومعاهد التنصيص ١/٣٠٤.

[2] أسماء بنات الفرزدق.

[3] المئناث: الذي يلد الإناث كثيراً.

[4] رواه أبو داود وابن ماجه، وصححه الحاكم، ورجح بعض أهل العلم أنه مرسل، وضعفه الشيخ الألباني في إرواء الغليل.

قال الأصمعيّ: كان بالمدينة قاض، يقال له: فلان بن المطّلب بن حَنْطب المخزوميّ قد أدركتُه (وأمّ المطّلب: أخت مروان بن الحكم) ، فخاصمتْ إليه امرأةٌ زوجَها، وكانت قالت: أَجَعْتَني وأسأتَ إليَّ، والله ما تستطيع فئران بيتك أن يمشين من الجَهْد وما يُقِمْن إلّا على الوطن[1]! فقال: أنت طالق إن كنّ ما يُقِمن إلّا على الوطن، فخبّرتْه بما قالت وقال؛ فقال ابن المطّلب يطلب له المعاذير: وربِّك إنّ الإبل لتكون بالمكان الجديب الخسيس المرعى فتقيم به لحبِّ الوطن؛ فقال الزوج حين رآه يحتال لئلّا يفرّق بينهما: كأنما أشكَلَتْ عليكَ، هي طالق عشرين.

طلّق رجل امرأةً عددَ نجوم السماء؛ فقال ابن عبّاس: يكفيه من ذلك هَقْعَة الجوزاء[2].

وطلّق رجل من الأعراب امرأةً، وكان له منها ابن يقال له حمّاد، وندم فقال:

---

[1] يعني حباً في المكان الذي تعودن عليه.

[2] هَقْعة الجوزاء: ثلاثة كواكب معروفة متجاورة. ويريد ابن عباس أنها تبين منه — طالق – بعدد كواكب الهَقْعة. وإنما سُمّيت هقعة تشبيهاً بهقعة الفَرَس، وهي دائرة تكون بِعُرْض زَوْر الفَرَس، أَو بحيث تصيب رِجْلُ الفارس، يُتَشاءَم بها وتُكرَه.

فَدَيْتُ بالأمِّ حمّاداً وقلتُ له أنتَ ابنُ ذلفاءَ منّي فادنُ يا ولدي

لا يقربنَّ (ثلاثاً)[1] منكمُ أحدٌ إني وجدتُ (ثلاثاً) أشأمَ العددِ

وقال عليّ بن منظور[2]:

ما للطلاقِ فقدتُهُ وفقدتُ عاقبةَ الطّلاقْ

طلّقتُ خيرَ حليلةٍ تحتَ السمواتِ الطّباقْ

كان الأصمعيّ طلّق امرأة ثم تبعتها نفسه؛ فكتب إليها:

وهل رأيتمْ بعدَنا مثلَنا فما رأيْنا بعدَكم مثلَكمْ

نَصِيبُ من يُعْجبُنا خلوةٌ منه ولا نجمعُ ما عندَكمْ

قد اتخذْنا بعدَكم مبدِعاً لصونِكم وليس من شكلِكمْ

إنْ شئتمْ لم نتخذْه وكا ن الصونُ والبذلُ جميعاً لكمْ

وقال أعرابيّ لامرأته:

تمنَّيْنَ الطلاقَ وأنتِ منّي بعيشٍ مثلِ مَشْرِقةِ الشَّمالِ[3]

وطلّق أعرابيّ امرأته وقال[4]:

---

[1] يعني لا يطلق أحدكم زوجته ثلاث طلقات.

[2] في أنساب الأشراف للبلاذري اسمه علباء ابن منظور، وذكر البيتين. وأورد له ابن عساكر في تاريخ دمشق ترجمة: علباء بن مر بن عائذة الضبي، له صحبة واستُشهد يوم مؤتة.

[3] قال الزمخشري في ربيع الأبرار: يعني بعيش طيب، فإن المشرقة الشمالية يعدلها التقاء الحر والروح عليها.

[4] انظر: شرح الحماسة، للفارسي، والتبريزي، والمرزوقي.

رحلتْ أميمةُ بالطّلاقِ وعتقتُ من رقِّ الوثاقِ
بانتْ فلم يألم لها قلبي ولم تبكِ المآقي
لو لم أُرَحْ بطلاقِها لأَرَحْتُ نفسي بالإباقِ
ودواءُ ما لا تشتهيـ ـه النفسُ تعجيلُ الفِراقِ
والعيشُ ليس بطيب بيـ ـن اثنينِ في غيرِ اتفاقِ

كانت لمحمد بن كناسة[1] امرأة يبغضها، فمرّ بمصلوب فقال:

أيا جِذْعَ مصلوبٍ أتى دونَ صلبِهِ ثلاثونَ حولاً كاملاً هل تبادلُ
وما أنتَ بالحِمْلِ الذي قد حملتَهُ بأضجرَ منّي بالذي أنا حاملُ

وقال آخر[2]:

بتُّ بخسفٍ في شرِّ منزلةٍ لا أنا في لذّةٍ ولا فَرَسي
هذا على الخسفِ لا قَضِيمَ[3] لهُ وأنا ذا لا يَسوغُ لي نَفَسي
تَجَهَّزي للطّلاقِ وارتحِلي ذاكَ دواءُ الجوامِحِ الشُّمُسِ[4]
لَلَيْلتي حين بِنْتِ طالقةً ألذُّ عندي من ليلةِ العُرُسِ

---

[1] قال عنه الوزير المغربي في أدب الخواص: محمد بن كناسة هذا شاعر محسن، وأهل النقد يستحسنون شعره. وانظر: الورقة لمحمد بن داود بن الجراح.

[2] هو قتادة بن مغرّب اليشكريّ، انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة.

[3] القضيم: طعام الفرس وهو الشعير.

[4] الجوامح الشمس: جمع جامح شموس، وهي الدابة النفور، وقد وصف بهما زوجته لأنها كانت تركب رأسها.

عن عيسى بن عمر قال: شكا الفرزدق امرأته، فقال له شيخ من بني مضر كان أسنّ منه: أفلا تكسعها بالْمُحرِجات! يعني الطلاق؛ فقال: قاتلك اللّه! ما أعلمَكَ من شيخ!

قال خالد بن صفوان: ما بتُّ ليلةً أحبَّ إليَّ من ليلةٍ طلّقت فيها نسائي، فأرجع والستور قد هُتكت، ومتاع البيت قد نُقل، فتبعث إليَّ إحداهن بسُلَيلةٍ مع بنتي فيها طعامي، وتبعث لي الأخرى بفراشٍ أنام عليه.

قيل لامرأة كانت تطلّق كثيراً: ما بالك تطلّقين؟ قالت: يريدون الضيق، ضيَّق اللّه عليهم!

طلّق رجل امرأته؛ فقيل له: ما صنعت؟ قال: طلّقتها والأرض من ورائها.

أي لا أقرب ناحيةً هي بها.

وقال أعرابيّ لامرأته:

أنوّهتِ باسميَ في العالمينَ وأفنيتِ عمريَ عاماً فعاما

فأنتِ الطلاقُ وأنتِ الطلاقُ وأنتِ الطلاقُ ثلاثاً تماما[1]

قال الأصمعيّ: أتى رجلٌ أبا حازم فقال: إنّ الشيطان قد أُولِع بي يوسوس لي ويحدّثني أني طلّقتُ امرأتي. فقال له: وأنا أحدِّثك أنك قد طلقتها، أوَما فَعَلْت؟ فقال: سبحان اللّه يا أبا حازم! أفتكذّبني وتصدّق الشيطان![2]

---

[1] أوردت كتب الفقه هذا البيت كثيراً لبيان حكم طلاق الثلاث في واحدة.

[2] قيل: فانتبه الرجل وذهبت وسوسته.

وقال أعرابيّ وقد طلق امرأته:

وما أنا إذ فارقتُ أسماءَ طائعاً بخيرٍ من السّكرانِ رأياً ولا عقلا

وما زال صرفُ الدهرِ حتى رأيتُني أبيتُ بها ضَيْفاً كأنْ لم أكن بَعْلا

وقال آخر[1]:

لئن كان يُهدَى بردُ أنيابِها العُلا لِأَفْقَرَ منّي إنني لفقيرُ[2]

لقد كَثُرَ الأخبارُ أنْ قد تزوّجتْ فهل يأتيَنِّي بالطلاقِ بشيرُ

باب العشّاق

قال محمد بن قيس الأسديّ: وجّهني عامل المدينة إلى يزيد بن عبد الملك وهو خليفة فخرجت، فلما قربت المدينة بليلتين أو ثلاث إذا أنا بامرأةٍ قاعدةٍ على قارعة الطريق، وإذا رجلٌ رأسه في حجرها كلّما سقط رأسه أسندته، فسلّمت فردّت ولم يردّ الشاب؛ ثم تأمّلتني فقالت: يا فتى، هل لك في أجرٍ لا مَرزِئَةَ فيه؟ قلت: سبحان اللّه! وما أَحَبَّ الأجرَ إليَّ وإن رزئتُ فيه! فقالت: هذا ابني، وكان إلفاً لابنة عمّ له تربيّا جميعاً، ثم حُجبت عنه، فكان يأتي الموضع والخباء، ثم خطبها إلى أبيها فأبى عليه أن يزوّجها؛ ونحن نرى عيباً أن تزوّج المرأة من رجل كان بها مغرماً، وقد خطبها ابن عمّ لها

---

[1] هو أبو دهبل الجمحي، والبيتان في ديوانه.

[2] قال الفارسي في شرح الحماسة: يصف حاجته إلى ترشف رضابها، ويصف حاجته إلى تطليق زوجها إياها فلعله يصل إليها.

وقد زُوّجت منذ ثلاثٍ، فهو على ما ترى لا يأكل ولا يشرب ولا يعقل، فلو نزلت إليه فوعظته! فنزلت إليه فوعظته؛ فأقبل عليّ وقال:

ألا ما للحبيبة لا تعودُ أبخلٌ بالحبيبة أم صدودُ
مرضتُ فعادني قومي جميعاً فما لكِ لم تُرَيْ فيمن يعودُ
فقدتُ حبيبتي فبليتُ وجداً وفقْدُ الإلفِ يا سَكَني شديدُ
وما استبطأتُ غيرُكِ فاعلميهِ وحولي من بني عمّي عديدُ
فلو كنتِ السّقيمةَ جئتُ أسعى إليكِ ولم يُنَهْنهني الوعيدُ

قال: ثم سكن عند آخر كلمته؛ فقالت العجوز: فاضت واللّه نفسه ثلاثاً! فدخلني أمرٌ لا يعلمه إلاّ اللّه، فاغتممت وخفت موته لكلامي. فلما رأت العجوز ما بي قالت: هوّن عليك! مات بأجله واستراح ممّا كان فيه، وقدم على ربّ كريم؛ فهل لك في استكمال الأجر؟ هذه أبياتي منك غير بعيدة، تأتيهم فتنعاه إليهم وتسألهم حضورهم. فركبت فأتيت أبياتاً منها على قدر ميلٍ، فنعيته إليهم وقد حفظت الشعر، فجعل الرجل يسترجع. فبينما أنا أدور إذا امرأة قد خرجت من خبائها تجرّ رداءها ناشرةً شعرها، فقالت: أيها النّاعي، بفيك الكَثْكَث، بفيك الحَجَر! من تنعَى؟ قلت: فلان بن فلان. فقالت: بالذي أرسل محمداً واصطفاه، هل مات؟ قلت: نعم. قالت: فماذا الذي قال قبل موته؟ فأنشدتها الشعر، فو اللّه ما تنهنهت أن قالت:

عداني أن أزورَكَ يا حبيبي معاشرُ كلُّهم واشٍ حسودُ

أشاعوا ما سمعتَ من الدواهي وعابونا وما فيهم رشيدُ

وأمّا إذ ثويتَ اليومَ لحداً فدورُ الناسِ كلِّهِمُ لحودُ

فلا طابتْ ليَ الدنيا قُواقاً ولا لهمُ ولا أثرى العبيدُ

ثم مضت معي ومع القوم تولول حتى انتهينا إليه، فغسّلناه وكفّنّاه وصلّينا عليه، فأكبّت على قبره؛ وخرجتُ لطيَّتي[1] حتى أتيت يزيد بن عبد الملك، وأوصلت إليه الكتاب؛ فسألني عن أمور الناس، قال: هل رأيت في طريقك شيئاً؟ قلت: نعم، رأيت واللّه عجباً. وحدّثته الحديث؛ فاستوى جالساً، ثم قال: للّه أنت يا محمد بن قيس! امض الساعة قبل أن تعرف جواب ما قدمتَ له، حتى تمرّ بأهل الفتى وبني عمّه، وتمرّ بهم إلى عامل المدينة، وتأمره أن يثبتهم في شرف العطاء، وإن كان أصابها ما أصابه، فافعل ببني عمّها ما فعلت ببني عمه ثم ارجع إليَّ حتى تخبرني بالخبر، وتأخذ جواب ما قدمتَ له. فمررت بموضع القبر، فرأيت إلى جانبه قبراً آخر، فسألت عنه فقيل: قبر المرأة، أكبّت على قبره، ولم تذق طعاماً ولا شراباً، ولم ترفع عنه

[1] لطيتي: لحاجتي.

إلى ثلاثة أيام إلا ميتةً. فجمعت بني عمّها وبني عمّه، وأثبتّهم في شرف العطاء جميعاً[1].

عن هشام بن حسّان عن رجل من بني تميم قال: خرجت في طلب ناقةٍ لي، حتى وردت على ماءٍ من مياه طيّئ، فإذا أنا بعسكرين بينهما دعوة فإذا أنا بفتى شابٍّ وجاريةٍ في العسكر، وإذا هو قد سمع نبرةً من كلامها وهو مريض، فرفع عقيرته وقال:

ألا ما للمليحةِ لا تعودُ أبخلٌ بالمليحةِ أم صدودُ

فلو كنتِ المريضةَ كنتُ أسعى إليكِ ولم ينهنهني الوعيدُ[2]

فسمعت صوته فخرجت تعدو، فأمسكها النساء، وأبصرها فأقبل ينشد، فأمسكه الرجال فأفلت وأفلتت، فاعتنقا وخرّا ميتين؛ فخرج شيخ من تلك الأخبية حتى وقف عليهما، فاسترجع لهما، ثم قال: أما واللّه لئن كنتما لم تجتمعا حييّن لأجمعنّ بينكما ميّتين. قال: فقلت: من هذا؟ قال: هذا ابن أخي، وهذه ابنتي. فدفنهما في قبر ولحد.

عن ابن سيرين قال: قال عبد اللّه بن عجلان[1] صاحب هند[2] التي عشقها وكانت تحبّه فطلّقها:

---

[1] الصنعة ظاهرة على هذه القصة وما فيها من شعر؛ ففي شذرات الذهب لابن العماد رواية أخرى لهذه القصة، بما يؤكد ما ذهبنا إليه.

[2] تكرر هذا البيت في القصة السابقة، وهو ما يؤكد الصنعة في القصتين جميعاً,

ألا إنّ هنداً أصبحتْ لك مَحْرَماً وأصبحْتَ من أدنى حُمُوَتِّها حَمَا

وأصبحتَ كالمقمورِ جفن سلاحِهِ يقلِّبُ بالكفّين قَوْساً وأسهُما

ومدّ بها صوته ثم مات.

قال الأصمعيّ: فيه قال الشاعر:

وإن متُّ من الحبِّ فقد مات ابنُ عجلانِ

قيل لأعرابيّ من العذريينّ: ما بال قلوبكم كأنها قلوب طيرٍ تنماث كما ينماث الملح في الماء! أما تَجَلَّدون؟ فقال: إننا ننظر إلى محاجر أعينٍ لا تنظرون إليها.

---

١ قال ابن قتيبة في الشعر والشعراء: عبد الله بن عجلان، هو نهدي جاهليّ، وهو من عشّاق العرب المشهورين الذين ماتوا عشقاً.

٢ في تاريخ دمشق أنها هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، العبشمية القرشية، أم معاوية بن أبي سفيان من النسوة اللائي بايعن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وأسلمت يوم فتح مكة، وشهدت اليرموك، وقدمت على ابنها معاوية في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وقال ابن عساكر إن الذي قال هذا الشعر هو مسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس من فتيان قريش جمالاً وسخاء وشعراً، فعشق هند بنت عتبة حتى اشتهر أمرهما، فاستحيا، وخرج إلى الحيرة ليسلوها، فنادم عمرو بن هند، وكان له مكرماً، ثم تزوج أبو سفيان هنداً في غيبة مسافر، ثم خرج أبو سفيان إلى الحيرة تاجراً، ولقي مسافر بن أبي عمرو، فسأله مسافر عن مكة، وأخبار قريش، فأخبره ثم قال: وإني تزوجت هنداً، فأسف مسافر، ومرض حتى سقى بطنه فقال... البيتين.

وقيل لأعرابيّ: ممّن أنت؟ فقال: من قوم إذا أحبوّا ماتوا. فقالت جارية سمعَتْه: عذريٌّ وربِّ الكعبة!

عن عبد الملك بن عمير قال: كان أخوان من بني كنّة من ثقيف، أحدهما ذو أهل[1]، والآخر عَزَبٌ، وكان ذو الأهل إذا غاب خلفه العزب في أهله؛ فغاب غيبةً له؛ فجاء العزب يوماً فطلعت عليه امرأة الأخ، وهي لا تعلم بمكانه، وعليها درع يشفّ، فسترت وجهها بذراعيها، فوقعت في قلبه، وجعل يذوب حتى صار كأنه خيطٌ، فقدم أخوه فقال: يا أخي، ما لك؟ قال: لا أدري. واستحيا أن يذكر ما به؛ فانطلق أخوه إلى الحارث بن كَلَّدَة طبيب العرب، فوصفه له؛ فقال: احمله إليَّ. فلما نظر إليه قال: أمّا العينان فصحيحتان وأما الجسم فذائب ولا أظن أخاك إلا عاشقاً قال: ترى أخي بالموت وتزعم أنه عاشق! قال: هو ما أقول لك فاسقه الشراب فسقاه الخمر، فقال الشعر ولم يكن الشعر من شأنه فقال:

أَلِمّا بي إلى الأبيا تِ بالخيفِ أزرْهنَّه
غزالٌ ما رأيتُ اليو مَ في دورِ بني كُنَّه
غزالٌ أكحلُ العينِ وفي منطقِهِ غُنَّه

فقال أخوه: واللّه ما أراه إلا كما قال ولكن لا أدري من عَنَى فسقاه شربةً أخرى فقال:

---

[1] يعني متزوج.

أيها الحيُّ اسلَموا اسلَموا ثُمَّتَ اسلَموا
لا تولُّوا وتعرِضوا واربَعوا كي تُكَلَّموا
خرجتْ مزنةٌ من ال بحرِ ريّا تُحَمْحِمُ
هي ما كَنّتي وتز عمُ أني لها حَمُ

قال: يا أخي هي طالقٌ ثلاثاً، فإن شئت فتزوجها. قال: وهي طالقٌ إن تزوجتها. قال غيره. فلما أفاق ذهب على وجهه حياءً ولم يرجع، فهو فقيد ثقيف[1].

عن أبي مسكين قال: خرج أناس من بني حنيفة يتنزهون إلى جبل لهم، فبصر فتى منهم يقال له عباس بجاريةٍ فهويها، وقال لأصحابه: والله لا أنصرف حتى أرسل إليها. فطلبوا إليه أن يكفّ وأن ينصرف معهم فأبى، وأقبل يراسل الجارية حتى وقع في نفسها، فأقبل في ليلةٍ إضحيانةٍ متنكباً قوسه وهي بين إخوتها نائمةٌ، فأيقظها؛ فقالت: انصرف وإلا أيقظت إخوتي فقتلوك! فقال: والله للموت أيسر مما أنا فيه، ولكن لله عليَّ إن أعطيتني يدك حتى أضعها على فؤادي أن أنصرف. فأمكنته من يدها، فوضعها على فؤاده ثم انصرف؛ فلما كان من القابلة أتاها وهي في مثل حالها، فقالت له مثل مقالتها، وردّ عليها وقال: إن أمكنتيني من شفتيك

[1] في جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري: (أَتْيَهُ من فقيدِ ثَقِيف) وَهُوَ من التيه، والتيه التحيُّر، وَهُوَ رجل من أهل الطَّائِف... وذكر القصة.

أرشفهما انصرفت ثم لا أعود إليك. فأمكنته من شفتيها فرشفهما ثم انصرف؛ فوقع في قلبها منه مثل النار؛ ونَذِر به الحي[1]، فقالوا: ما لهذا الفاسق في هذا الجبل! انهضوا بنا إليه حتى نخرجه منه. فأرسلت إليه: إن القوم يأتونك فاحذر، فلما أمسى قعد على مَرْقَب ومعه قوسه وأسهمه، وأصاب الحي من آخر النهار مطرٌ وندىً فلهوا عنه؛ فلما كان في آخر الليل وذهب السحاب وطلع القمر، خرجت وهي تريده وقد أصابها الطل، فنشرت شعرها وأعجبتها نفسها ومعها جاريةٌ من الحي، فقالت: هل لك في عباسٍ؟ فخرجتا تمشيان، ونظر إليهما وهو على المرقب، فظن أنهما ممن يطلبه، فرمى بسهم فما أخطأ قلب الجارية ففلقه! وصاحت الأخرى، فانحدر من الجبل وإذا هو بالجارية في دمها؛ فقال:

نَعَبَ الغرابُ بما كرِهْـ ـتَ ولا إزالةَ للقدرْ

تبكي وأنت قتلتَها فاصبرْ وإلا فانتحرْ

ثم وجأ في أوداجه بمشاقصه، وجاء الحي فوجدوهما مقتولين فدفنوهما![2]

قال خلاد الأرقط: سمعت مشايخنا من أهل مكة يذكرون أن القَسَّ[3]، وهو مولى لبني مخزوم، كان عند أهل مكة بمنزلة عطاء بن أبي رباح، وأنه مرّ يوماً

---

[1] يعني انتبهوا إليه.

[2] انظر: العقد الفريد لابن عبد ربه.

[3] القس: عبد الرحمن الجشمي، الملقب بالقس، لكثرة عبادته.

بسلّامة وهي تغني، فوقف يسمع؛ فرآه مولاها فدنا منه فقال: هل لك في أن تدخل وتستمع؟ فأبى، ولم يزل به فقال: أقعدُك في موضع لا تراها ولا تراك. ففعل، ثم غنت فأعجبته؛ فقال: هل لك في أن أحوّلها إليك؟ فتأبّى. ثم أجاب، فلم يزل به حتى شغف بها وشغفت به. وعلم ذلك أهل مكة. فقالت له يوماً وقد خلوا: أنا والله أحبك؛ فقال: وأنا والله أحبك. قالت: فأنا أحب أن أضع فمي على فمك؛ قال: وأنا والله. قالت: وأنا والله أحب أن أضع صدري على صدرك؛ قال: وأنا والله. قالت فما يمنعك؟ والله إن الموضع لخال! فأطرق ساعةً، ثم قال: إني سمعت الله يقول: "الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ"، وأنا والله أكره أن تكون خلّة ما بيني وبينك عداوةً يوم القيامة. ونهض وعاد إلى طريقته التي كان عليها. وفيه قيل:

لقد فتنتْ ريّا وسلّامةُ القَسّا ولم تتركا للقَسِّ عقلاً ولا نَفْسا

ومن شعره فيها:

أهابُكَ أن أقولَ بذلتُ نفسي ولو أني أطيعُ القلبَ قالا
حياءً منكِ حتى شفَّ جسمي وشقَّ عليَّ كتماني وطالا

وهو القائل:

قد كنتُ أعذلُ في السفاهةِ أهلَها فاعجبْ لما تأتي به الأيامُ
فاليوم أرحمُهم وأعلمُ أنما سبلُ الغَوايةِ والهدى أقسامُ

وهو القائل:

أ لم ترها لا يبعد اللهُ دارَها إذا مرحتْ في صوتِها كيف تصنعُ

تمدُّ نظامَ القولِ ثم تردُّهُ إلى صلصلٍ في حلقِها فترجِّعُ[1]

كتبت مُنْية إلى قابوس[2]:

من سن سُنة فليرض بأن يُحكم عليه بها.

ومن سأل مسألة فليرض من العطية بقدر بذله.

لكل عملٍ ثوابٌ، ولكل فعل جزاء.

ومن بدأ بالظلم كان أظلم.

ومن انتصر فقد أنصف.

والعفو أقرب إلى العقل.

وغير مسيءٍ من أعتب.

وغير مذنبٍ من تطوّل[3].

مع المخض تبدو الزبدة.

عند تناهي البلاء يكون الفرج.

---

[1] سبق ذكر الشعر والخبر في هذا الكتاب.

[2] قال الرافعي رحمه الله في كتابه أوراق الورد: رسالة منية إلى صاحبها قابوس، وهما من أعلام العشق والأدب، ثم جواب قابوس عليها، ثم رسالة أخرى منه فكتبت منية إلى حبيبها... وقال الوشاء في كتابه الموشى، في باب من اشتهر بالعشق: وقابوس عَشِقَ منية.

[3] من امتن وتفضل.

كل ذي قرحٍ يشتهي دواء قرحه.

كل مطمَع منتَظر.

كل آتٍ قريب.

مع كل فرحةٍ ترحةٌ.

من خبث سنخه غلظ كبده ونام حقده.

الموت أروح من الهوى.

اليأس أول سبب الراحة.

السحر أنفذ من الشعر.

دواء كل محب حبيبه.

مع اليوم غدٌ.

كما تدين تدان.

استشف الله لما بك، واسأله المدافعة عنك.

فأجابها:

من الكرام تكون الرحمة، ومن اللئام تكون القسوة.

من كرم أصله لان قلبه ورق وجهه.

ومن عاقب بالذنوب ترك الفضل. ومن ترك الفضل أخطأ الحظ.

ومن لم يغفر لم يُغفر له.

ومن حقد واضطغن اكتسب الأعداء.

أولى الناس بالرحمة من احتاج إليها فحُرمها.

لكل كربٍ فرجٌ، ولكل عمل ثوابٌ.

من أحب رقّ لكل محب.

لا داء أدوى من الهوى، ولا أوهن منه لذي القوى.

لا ملكة أكرم من ملكة كريم، ولا قدرة ألأم من قدرة لئيم.

ملكتِ فأسجحي: قدرتِ فاعفي.

ويلٌ للشجيّ من الخليّ.

من كان في نعمةٍ لم يدر قدر البلية.

من سها عقله فسد عيشه، ومن فسد عيشه كان الموت راحته.

الآمال مبسوطة، والآجال معدودة.

والمتوقع الموت.

وحسرة الموت من مات بغصةٍ.

خير الخير أعجله.

من أراد معروفاً فلا يتطول.

الحب أثقل محمول.

وكتب إليها أيضاً:

قلّ من حبيبٍ كتاب، وعظم من محب مصاب.

لكل آخر أوّل، مرقاةٌ إلى مرقاة.

قد ينمو القليل فيكثر، ويضمحل الكثير فيذهب.

من طلب وجد.

ومن أدمن الاستفتاح فتحت له الأغلاق.

أولى الأمور بالنجاح المواظبة.

قد يتبع الظفر البصر، ويتبع البصر التغير والاستثقال، ويتبع الاستثقال الاستبدال؛ ولن يدوم شيء على حال.

ولكل همّ فرجٌ.

والعناء مقرونٌ بالرجاء.

قد يستخرج بالكلمة الحية، وتنشأ من الحبة الشجرة.

وفي اللقاء شفاء الغليل، وتنفس الهموم.

ارتاد امرءٌ قبل حلوله، وتثبت قبل إقدامه.

مع العجلة تكون الندامة، وفي التثبت تكون السلامة.

العاقل من ابتدأ عملاً في غير حينه فبلغ في حين وقته.

لا ينال بغير دواء شفاء.

الصعب يمكَن بعد منع.

الرفق سبب القدرة.

الخرق مفتاح الحرمان.

من أسر أسراره دامت له لذاته.

ربّ أكلةٍ تمنع أكلات، ولُقية تصدّ عن لقيات.

أبياتٌ في الغزل حسانٌ:

يُقِرُّ بعيني أن أرى مَنْ مكانُهُ ذُرى هَضَباتِ الأبرقِ المتقاودِ
وأنْ أَرِدَ الماءَ الذي شربتْ به سُليمى فقد ملَّ السُّرى كلُّ واخدِ[1]
وأُلْصِقُ أحشائي ببردِ ترابِهِ وإن كان مخلوطاً بسُمِّ الأساودِ[2]

قال أبو صخر الهذلي:

أما والذي أبكَى وأضحَك والذي أمات وأحيا والذي أمرُه الأمرُ
لقد تركتْني أحسدُ الوحشَ أن أرى أليفينِ منها لا يروعُهما الذعرُ
فيا هجرَ ليلى قد بلغْتَ بيَ المدى وزدْتَ على ما لم يكن بلغ الهجرُ
ويا حبَّها زدْني جوىً كلَّ ليلةٍ ويا سلوةَ الأيام موعدُكِ الحشرُ
وصلتُكِ حتى قيل لا يعرفُ القِلى وزرتُكِ حتى قلتِ ليس له صبرُ
عجبتُ لسعيِ الدهرِ بيني وبينَها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهرُ
إذا ذُكرتْ يرتاحُ قلبي لذكرِها كما انتفض العصفورُ بلَّلهُ القَطرُ
هل الوجدُ إلا أنَّ قلبيَ لو دنا من الجمرِ قِيدَ الرمحِ لاحترقَ الجمرُ

---

[1] الواخد: المشتد في السير. وفي رواية: كل واجد، بالجيم: العاشق.

[2] الأسود: جمع أسود، وهو الثعبان الكبير.

وقال آخر[1]:

أيا خُلّةَ النفسِ التي ليس دونها لنا من أخلاّءِ الصفاءِ خليلُ
ويا من كتمْنا حبّه لم يطع به عدوٌّ ولم يؤمن عليه دخيلُ
أما من مقامٍ أشتكي غربةَ النوى وجورِ العِدا فيه إليك سبيلُ
وكنتُ إذا ما جئتُ جئتُ بعلةٍ فأفنيتُ علاتي فأيْشُ أقولُ
وما كلُّ يومٍ لي بأرضِكِ حاجةٌ وما كلُّ يومٍ لي إليكِ رسولُ[2]

وقال المجنون:

وإني لأستغشي وما بي نعسةٌ لعل خيالاً منك يلقى خياليا
وأخرج من بين الجلوس لعلني أحدّث عنكِ النفسَ في السرِّ خاليا

وقال أيضاً:

فأدنيتِني حتى إذا ما ملكتِني بقولٍ يُحِلُّ العُصْمَ سهلَ الأباطحِ
تجافيتِ عني حين لا لَي حيلةٌ وخلَّفتِ ما خلَّفتِ بين الجوانحِ

---

[1] هو يزيد بن الطَّثرية: ت ١٢٦ هـ، شاعر أموي من بني قشير بن كعب، له شرف وقدر في قومه، كان حسن الشعر، حلو الحديث، شريفاً، متلافاً للمال، صاحب غزل وظرف وشجاعة وفصاحة. قتله بنو حنيفة في موقعة لهم يوم الفَلَج من نواحي اليمامة. وقال ياقوت في معجم الأدباء: ابن الطثرية، وطثرة اللبن زبدته: وكان يلقب مورقاً لحسن وجهه وشعره وحلاوة حديثه، وكان يعشق جارية من جرم يقال لها وحشية، وله فيها أشعار حسنة.

[2] انظر: الحماسة المغربية للجراوي، والحماسة البصرية لصدر الدين البصري، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي، وشرح حماسة أبي تمام للفارسي.

ونحوه قول العباس بن الأحنف:

أشكو الذين أذاقوني مودّتهم حتى إذا أيقظوني في الهوى رقدوا
واستنهضوني فلما قمتُ منتهضاً من ثقلِ ما حمّلوني في الهوى قعدوا

وقال بعض المحدَثين:

من كان يبكي لما بي من طولِ وجدٍ رسيسِ
فالآن قبل وفاتي لا عطر بعد عروسِ

وقال العباس بن جرير من ولد خالد بن عبد الله:

ظلّت الأحزان تَكْحَلُني مضضاً طالتْ له سِنتي
مِنْ هوى ظبي كأن له أرباً بالصدِّ في ترِتي
قد حمى عيني محاسنَهُ وحمى تقبيلَهُ شَفَتي
شَرِكَتْ عيناهُ ظالمةً في دمي من عظْمِ ما جَنَتِ

وقال ابن الطثرية:

وإن كنتمُ ترجون أن يذهبَ الهوى يقيناً ونُروى بالشراب فنَنْقَعا
فردّوا هبوبَ الريح أو غيّروا الجَوَى إذا حلّ ألواذَ الحَشا فتمنَّعا
تلفَّتُ نحو الحيِّ حتى وجدتُني وجعتُ من الإصغاء لِيتاً وأَخْدَعا

وقال ابن ميادة:

بنفسي وأهلي من إذا عرضوا له ببعضِ الأذى لم يدرِ كيف يجيبُ
ولم يعتذرْ عذرَ البريء ولم يزل له سكتةٌ حتى يُقالَ مريبُ

وقال عليّ بن الجهم في رقعة أتته بخطّ جاريةٍ:

ما رقعةٌ جاءتكَ مَثْنِيَّةً كأنها خدٌّ على خدِّ
نَبْذُ سوادٍ في بياضٍ كما ذُرَّ فتيتُ المسكِ في الوردِ
ساهمةُ الأسطرِ مصروفةٌ عن مُلَحِ الهزلِ إلى الجِدِّ
يا كاتباً أسلَمَني عتْبُهُ إليه حسبي منكَ ما عندي

وقال جريرٌ:

أتجمعُ قلباً بالعراقِ فريقُهُ ومنه بأظلالِ الأراكِ فريقُ
أوانسُ أمَّا مَنْ أردْنَ عناءَهُ فعانٍ ومَنْ أطلقْنَ فهْو طليقُ
دعونَ الهوى ثم ارتمَيْنَ قلوبَنا بأسهُمِ أعداءٍ وهنّ صديقُ

وقال آخر[1]:

إلفانِ تُضنيهما للبينِ فرقتُهُ ولا يملّانِ طولَ الدهرِ ما اجتَمَعا
مستقبلانِ بساهٍ من شبابِهما إذا دعا دعوةَ الداعي الهوى سمعا
لا يعجبانِ لقولِ الناسِ عن غرضٍ بل يعجبانِ لما قالا وما صَنَعا

وقال أعرابيّ[2]:

---

[1] هو عروة بن أذينة، انظر: الحماسة المغربية للجراوي، والحماسة البصرية لصدر الدين البصري، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي، وشرح حماسة أبي تمام للفارسي.

[2] هو أبو حية النميري، انظر: ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (ألا يا انْعَمي أطلالُ خنساءَ وانْعمي ... صباحاً وإمساءً وإنْ لم تَكلَّمي) وانظر الحماسة وشروحها.

وقلن لها سرّاً وقيناكِ لا يقم صحيحاً فإن لم تقتليه فألمِمي
فأذرتْ قناعاً دونَهُ الشمسُ واتّقتْ بأحسنِ موصولينِ: كفٍّ ومِعْصَمِ
فراح وما أدري أفي طلقةِ الضّحى تَروَّحَ أم داجٍ من الليلِ مظلمِ

وقال آخر:

يا أحسنَ الناسِ من قَرْنٍ إلى قَدَمِ لم ألقَ مثلَكَ في حِلٍّ ولا حرمِ
يا من تلبّس حسنُ الغانياتِ به قد خُطَّ قبلَكَ فيما خُطَّ بالقلمِ

وقال ذو الرمةّ:

وقد كنتُ أبكي والنّوى مطمئنةٌ بنا وبكم من عِلْمِ ما البينُ صانعُ
وأُشفق من هجرانِكم ويشُقُّني مخافةَ وشْكِ البينِ والشملُ جامعُ
وأهجرُكم هجرَ البغيضِ وحبُّكم على كبدي منه شؤونٌ صوادعُ

وقال أيضاً:

وقد كنتُ أُخفي حبَّ مَيٍّ وذكرُها رسيسُ الهوى حتى كأنْ لا أريدُها
وما زال يغلو حبُّ ميّةَ عندَنا ويزدادُ حتى لم نجدْ ما يَزيدُها

وقال:

وما زلتُ أطوي النفسَ حتى كأنها بذي الرِّمثِ لم تخطر على بالِ ذاكرِ
حياءً وإشفاقاً من الركبِ أن يروا دليلاً على مستودعاتِ الضمائرِ

وقال آخر:

قل لحادي المطيِّ روِّحْ قليلا نجعلِ العيسَ سيرَهنّ ذَميلا
لا تَقِفْها على السبيلِ ودعْها يهدِها شوقُ من عليها السّبيلا

وقال آخر:

فإن يرتحل صحبي بجثمانِ أعظُمي يقم قلبيَ المحزونُ في منزلِ الرّكبِ

ونحوه:

جسدٌ مقيمٌ في الدّيا رِ وروحُهُ في الطاعنينْ

وقال آخر[1]:

لعمرُ أبي المحصين أيّامَ نلتقي بما لا نُلاقيها من الدّهرِ أكثرُ
يعدُّون يوماً واحداً إنْ أتيتُها وينسَونَ ما كانت منَ الدهرِ تَهْجرُ

وقال حميد بن ثور:

وقلن لها قومي فدَيناكِ فاركبي فأومتْ بلا لا غيرَ ما أنْ تَكَلَّما
فهادَيْنَها حتى لوتْ بزمامِهِ بَناناً كهدّابِ الدِّمَقْسِ ومِعْصَما
من البيضِ عاشتْ بينَ أمٍّ عزيزةٍ وبين أبٍ بَرٍّ أطاع وأكرما
منعّمةٌ لو يصبحُ الذَّرُّ سارياً على جلدِها نضَّتْ مدارجُهُ دَما

وقال قيس بن ذريح:

---

[1] هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود: أحد الفقهاء السبعة بالمدينة توفي سنة ٩٨؛ وكان ضريراً. انظر: أمالي الشريف المرتضى، ومعهما بيت ثالث: فإن يكن الواشون أغروا بهجرِنا فإنّا بتجديد المودّة أجدرُ

تَعَلَّقَ روحي روحَها قبلَ خَلْقِنا ومِن بعدِ ما كنّا نِطافاً وفي المهدِ

فزاد كما زدنا فأصبح نامياً فليس وإن متنا بمنفصم العهدِ

ولكنّه باقٍ على كلِّ حادثٍ وزائرُنا في ظُلمةِ القبرِ واللّحدِ

يكاد حباب الماء يخدش جلدَها إذا اغتسلتْ بالماء من رقّةِ الجِلدِ

ولو لبست ثوباً من الورد خالصاً لخدَّش منها جلدَها ورقُ الوردِ

يثقِّلُها لبسُ الحريرِ للينِها وتشكو إلى جاراتِها ثِقَلَ العِقْدِ

وأرحمُ خَدَّيها إذا ما لَحَظْتُها حذاراً للحْظي أن يؤثرَ في الخَدِّ

=========

تم كتاب النساء، وهو الكتاب العاشر من عيون الأخبار، لابن قتيبة رحمة اللّه عليه.

المحتويات

تمهيد ٤
ثناء العلماء عليه ٥
كتاب عيون الأخبار ٦
كتاب النساء : ٧
كتاب النساء ٩
في أخلاقهن وخلقهن وما يُختار منهن وما يُكره ٩
في أصناف النساء والرجال ٩
في أنواع النساء ١١
في البكر والثيب ١٥
أقوالهم في المرأة ١٦
رغبة الناس بالسراري ١٧
أشهى النساء وأسوأهن ١٩
الأكفاء من الرجال ١٩
الحضّ على النكاح وذمّ التبتّل ٢٩
باب الحُسن والجمال ٣٠
أبيات في الحسن والجمال ٣٢
باب القُبح والدَّمامة ٤٨
باب السّواد ٥٨
باب العجز والمشايخ ٦١
باب الخَلق: الطول والقِصر ٧٦
اللِّحى ٧٩
العيون ٨١

الأنوف ٨٤
البَخَر والنَّتْن ٨٦
البرص ٨٩
العرج ٩٤
الأدر ٩٥
الجُذام ٩٦
باب المهور ٩٨
أوقات عقد النكاح ١٠٠
خطب النكاح ١٠١
وصايا الأولياء للنساء عند الهِداء ١٠٥
باب سياسة النّساء ومعاشرتهنّ ١٠٦
محادثة النساء ١١١
باب النظر ١١٤
باب القِيان والعِيدان والغناء ١١٩
التقبيل ١٢٤
الدخول بالنساء والجماع ١٢٧
باب القيادة ١٣٨
باب الزنا والفسوق ١٤٢
باب مساوئ النساء ١٥٠
باب الولادة والولد ١٦٠
باب الطّلاق ١٦٣
باب العشّاق ١٦٨
أبياتٌ في الغزل حسانٌ: ١٨١

المراجع

في مواضعها من الهوامش

للمراسلة والتواصل:

محمد علي حسين

mali_111@hotmail.com

الكويت 98866903

مصر 01099694140